سماریدس

سماريدس

رواية

رياض العربي

اسم الكتاب: سماريدس
اسم الكاتب: رياض العربي
تدقيق لغوي: فريق المكتبة العربية
تصميم الغلاف: محمد سعد الشحات
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
الطبعة / الأولى – يناير ٢٠٢٠ م
رقم الإيداع: 2020 / 4390

Arabiclibrary2017@gmail.com
Facebook.com/arabiclibrary2017

جميع الحقوق محفوظة للمكتبة العربية للنشر والتوزيع، ولا يجوز استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كليا أو جزئيا، في أي شكل وبأي وسيلة، سواء بطريقة إلكترونية أو آلية، بما في ذلك الاستنساخ الفوتوغرافي، أو التسجيل أو استخدام أي نظام من نظم تخزين المعلومات واسترجاعها، دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

شكر و تقدير و احترام

كل الشكر و التقدير و الاحترام:

الكاتب الدكتور / تامـــر عطية

الكاتب الأستاذ / جمال عبد الرحيم

الصديق الدكتور / السيد رمضان

دار المكتبة العربية للنشر و التوزيع

الإهـــداء

إليها ؛ فهى من :

ساندت ، شجعت ، ناقشت ، حاورت ، و حاولت

حتى يخرج هذا العمل الأدبى للنور ، فشكرًا لها على كل مناقشة مثمرة معها ، و طرحها للعديد من الأفكار والأحداث التى طورت الرواية.

أرى منها مساندة دائمة ، و تشجيعًا مستمرًا ، و إيمانًا منقطع النظير بموهبتى المتواضعة .

لا ينكر الفضل إلا الجاحد ، ولا يتكبر إلا الصغير ، و لا يتباهى بموهبته إلا الفاشل.

لذا ؛ وجب شكرها عرفانًا بالفضل ، و ردًا للجميل .

"رياض العربى"

المقـــدمة

إن السماء تبكى بدموع الغمام ، و يخفق قلبها بلمعان البرق ، و تصرخ بهدير الرعد ، و إن الأرض تئن بحفيف الريح ، و تضج بأمواج البحر ، و ما بكاء السماء و لا أنين الأرض إلا رحمة بالإنسان ، و نحن أبناء الطبيعة فلنجارها فى بكائها و أنينها .

إن اليد التى تصون الدموع ، أفضل من اليد التى تريق الدماء ، و التى تشرح الصدور أشرف من التى تبقر البطون

فالمحسن أفضل من القائد و أشرف من المجاهد ، و الفرق كبير بين من يحيى الميت و من يميت الحى .

إن الرحمة كلمة صغيرة و لكن بين لفظها ومعناها من الفرق مثل ما بين الشمس فى منظرها و الشمس فى حقيقتها.

الأديب

"مصطفى لطفى المنفلوطى"

مالت الشمس للغروب فألقت بأشعتها التى تميل إلى الإصفرار على مملكة "أقناموس" فأصبغت قصر الملك"برقان"باللون الذهبى، حيثُ كان يحتفل بانتصاره على الممالك المجاورة، وكانت مملكة"أقناموس"تطل على البحر الكبير، ذات أطراف مترامية تضم العديد من المدن الكبيرة.

وكان الملك"برقان" يتميز بالقوة والشجاعة، ورث الملك عن أبيه الملك"سلوان"فلم يدخر جهدًا فى الحفاظ على مملكته، وصد أى هجوم عليها وعاش الشعب تحت ظله فى عدل وأمان.

لكنه لم يُرزق إلا بولد واحد سماه"ساران" فكان يحبه حبًا شديدًا وأوصى بتعليمه إلى أفضل حكماء المملكة، فنشأ فارسًا يعرف الكثير من العلم والحكمة، ولما اشتد ساعده وحاز من القوة والبأس أوصى له بالمُلك من بعده.

أشار عليه وزيره بأن يتزوج من أخرى حتى ينجب ولدًا يقف بجوار أخيه ويصد عنه نوائب الزمن، فرفض الزواج لكنه اتخذ الكثيرمن الجوارى والمحظيات، وشاءت الأقدار أن تحمل منه جارية من جواريه ففرح بذلك وصاريحسن إليها، فأعتقها وقررالزواج منها بعد أن تضع حملها.

الجارية تدعى" مِيرة "وكانت هدية أرسلها له ملك"بنى دهمان"ضمن مجموعة من الجوارى ومعهن الكثير من التحف والجواهر.

كانت "مِيرة"تتميز بالشباب والجمال وفصاحة اللسان وكأنها وُلدت فى بيت ملوك قبل أن تصبح جارية، أرسلها الملك إلى مدينة بعيدة عن الأعين حتى يتم

حملها و تضع مولودها خوفًا على شعور ابنه الوحيد الأمير"ساران"وحتى لا يظن أن الجارية ستأتى بمن ينازعه المُلك.

مرت أشهر الحمل، وحان وقت الولادة، فوضعت"مِيرة"أنثى جميلة فطار الخبر ليبشر الملك"برقان"، ولكن وصل الخبر إلى ابنه"ساران"فغضب من والده أنه أخفى عليه أمر حمل الجارية، ولكنه فرح بأن المولود أنثى.

سافر الملك"برقان"ليطمئن على الجارية وابنتها، ففوجىء بأنها وضعت مولودًا ذكرًا، لكن البشير تعجل الأمرولم يعرف أن الجارية وضعت توأمًا.

فرح الملك فرحًا شديدًا بالمولودين الجميلين فقد كانا يشبهان البدر فرحت الجاريه وفرح كل من حضر، وأطُلقت الزغاريد فى القصر.

فرح الملك"برقان"واستبشروقام ودخل عليها وقبل رأسها ونظرإلى المولود وانحنى وقبله، وضربت الجوارى بالدفوف وأمر الملك أن يسموا المولود"سارى"وأخته"سماريدس"قرر الملك أن تظل الجارية وولديه بعيدًا عن ابنه"ساران" الذى لم يعلم بأن والده رزق بولد، لأنه كان مشغولًا فقد ترك له والده أمور تنظيم الجيش، وصد أى هجوم تتعرض له المملكة.

كان الملك"برقان"يزور ولديه كل مدة، حتى صار لديهما من العمر أربعة أعوام فكلف من يحسن تربيتهما وتعليمهما.

فى أحد الأيام كان الملك"برقان"يجلس مع وزيره الحيكم"يوشهور" فإذا بالحاجب يخبره بقدوم رسل من عند الملك"مُرة الأحمر"وكان بينهما معاهدة وحلف، فأذن لهم الملك بالدخول وسألهم عن سبب قدومهم.

فقالوا:

- أيها الملك المعظم"برقان" لقد أرسلنا الملك"مُرة الأحمر" ليعلمك أن"بنى دهمان" هاجموا مراكبنا واستولوا على ما فيها من أموال وثلاث جواهرمباركات ليس لهن مثيل ولا نظير.

قال الملك"برقان" لهم:

- وكيف حدث هذا؟!

فقال كبيرهم:

- كانت الهدايا فى المراكب متوجه إلينا، حتى خرج عليها بعض قطاع الطرق وفيهم عساكر"بنى دهمان"فأخذوا جميع ما فى المراكب من التحف والأموال والذخائر والجواهر المباركات، وقتلوا جميع الرجال.

تعجب الملك من كلامهم، ثم قال:

- وماذا يطلب منا الملك"مُرة الأحمر"؟

قالوا:

- الملك"مُرة الأحمر"يريد المساعدة فى تأديب ملك"بنى دهمان" ويرجو من الملك"برقان" أن يرسل معنا المدد والعون.

وقف الملك"برقان"وقال بحزم:

- ألا يعلم الملك"مُرة الأحمر"أننا على مسافة واحدة من ممالككم، لاختلاف عرقنا عن عرقكم ودمائنا عن دمائكم.

لاحظ الملك أن الوزير يشير له برأسه ففهم أن لديه رأيًا آخرًا، فأمر باستضافة الرسل وإكرامهم حتى يتشاور مع وزرائه، وما إن خرجوا حتى نظر لوزيره الحكيم وقال له:

- هل لك رأيًا فيما قاله الرسل أيها الوزيرالحكيم؟

فانحنى الوزير تحية للملك، وقال:

- عفوًا يا جلالة الملك، لكننى أرى أن نساعد الملك"مُرة الأحمر" لأنه استجار بنا، وبيننا وبينه معاهدة، فلو هزمنا"بنى دهمان"ينسب النصر لنا وتصل أخبار هذا الانتصار للجميع فيحسبوا لقوتنا ألف حساب ويسرعوا للدخول فى طاعتنا وهم محملون بالهدايا والأموال.

استحسن الملك رأى وزيره الحكيم، وأمرباستدعاء ولده"ساران"وإبلاغ الرسل موافقته على طلبهم، وعندما حضر الأمير"ساران"أخبره والده بما قاله الرسل وبما أشار به الوزير، فأيد"ساران"رأى الوزير وطلب من والده أن يجعله على رأس الجيش، رحب الملك بالفكرة وقرر أن يرافقه الوزير حتى يكون مستشارًا له أثناء الحرب، كما أمر بالاستعداد الجيد وتجهيز الجيش بكل ما يحتاج إليه.

وبعد ثلاثة أيام كان الجيش جاهزًا للتحرك، يتقدمه الأمير"ساران" بزيه العسكرى وبجواره الوزير الحكيم، وخلفهم ترفرف رايه المملكة وكان الملك"برقان" فى وداعهم وأوصاهم بأخذ الحيطةوالحذر، وأوصى ولده بمشاورة الوزيرالحكيم.

دقت الطبول فسارالجيش، ورسل الملك"مُرة الأحمر"دليلهم فى الطريق.

و كانوا كل ثلاثة أيام ينزلون للراحة والمبيت، حتى مر على سيرهم عشرة أيام ولم يعد يفصلهم عن بلاد"بنى دهمان"إلا غابة كثيفة الأشجار والنباتات، فأمر"ساران" الجنود بأقامة معكسر على مشارف الغابة، فنزل الجند وأقاموا الخيام وتفرقوا طلبا للراحة.

فأراد الأمير"ساران"استكشاف هذه الغابة الكثيفة الأشجار، حتى يؤمن الجيش كما أوصاه والده الملك"برقان" فأسرللوزير بما ينوى فعله فطلب منه الوزير أن يأخذ بعض الحراس معه لأن الليل قد اقترب، لكنه رفض وطمأنه بأنه لن يتأخر، فنزل الوزير على رأيه، فامتطى"ساران" فرسه وبدأ يتجول فى جنبات الغابة، فضل طريق العودة وظل سائرًا بفرسه على غيرهدى، حتى مضى نصف الليل فظهر عليه التعب والإرهاق وقرر أن يبيت ليلته فى الغابة حتى بزوغ الفجر فيستطيع تحديد الوجهة التى قدم منها، فنزل من على فرسه وربطه فى شجرة واستلقى بجسده وراح فى نوم عميق.

استيقظ الأميرفوجد نفسه محاطًا بالأشجارالكثيفة من كل ناحية، فأيقن أنه أصبح فى غياهب الغابة وبعد مدة بزغ القمروأضاء ما حوله، لكنه متحير لايدرى أين هو ولا إلى أى اتجاه يجب أن يسير فيه ليعود للجيش.

وسط حيرته سمع صوت ضحكات رقيقة تنم عن الرقة والدلال وفعرف أنها ضحكات بعض النساء، فمشى فى اتجاه الصوت حتى سمع امرأة تقول لمن معها:

- اسرعن فقد قرب موعد شروق الشمس وقد يمر أحد من هنا فيرانا.

اقترب الأمير"ساران" أكثر وأكثر اتجاه الصوت، فرأى نهرًا كبيرًا تحيط الأشجار شاطئيه ومن خلف الأشجار تظهر قلعة شاهقة فى الهواء ساعدته تباشير الصباح على رؤية بخارالماء وهويتساقط على القلعة.

أخذ يبحث عن مصدر الصوت الذى توقف لكنه بعد لحظات أبصر بعض الفتيات قد أتين من بين الأشجار ونزلن النهروتعالت ضحكاتهن عندما بدأن برش المياه فيما بينهن.

لفت نظره فتاة بينهن كأنها البدر فى ليلة تمامه، عندما يتلاقى الماءمع خصرها تزداد حسنًا وجمالًا، فاختبأ خلف شجرة وظل يراقب الحركات المضحكة للفتيات، دون أن يحدث صوتًا أويلفت النظرإليه.

فحدث نفسه قائلًا:

- ربما ساقتنى الظروف إلى هنا لكى أفوز بتلك الجارية الحسناء وتكون غنيمة لى هى ومن معها من الجوارى.

فقرر المجازفة رغم أنه فى أرض غير أرضه ، فعاد للمكان الذى ترك فيه فرسه وركبه وعاد حيث الفتيات، وصاح بأعلى صوته وهو يشهر سيفه لأعلى:

- ما أجملكن من فتيات! هيا فقدأصبحتن من الآن ملكى.

أخذت الفتيات تعدل من ملابسهن، وقالت الفتاة الجميلةبكبرياء وشجاعة:

- من أنت يا هذا حتى تقتحم خلوتنا، وتتفوه بمثل هذا الكلام؟!

ثم أردفت وهى تخرج من الماء وتبتعد عنه يتبعها باقى الفتيات:

-اذهب من هنا أيها الفارس، قبل أن يأتى من لا يرحمك وأنت لا حول لك.

فأثر كبرياؤها فى نفس الأمير"ساران"وأعجب بها، فأراد أن يطيل الحوار معها حتى يتحقق أكثر من حسنهاوجمالها، فقال مناديًا:

- أتتركين عابر سبيل انقطع به الطريق بمفرده فى هذا المكان؟

فالتفتت إليه وهى تبتسم وقالت:

- وماذا أتى بعابر السبيل إلى هنا؟وما هى حاجته؟

فنزل"ساران"من على فرسه، وبدا بجسمه الطويل الممشوق وزى الفارس الذى زاد من وسامته، فأشرق وجهه بالابتسامة وهويقول لها:

- انقطع الطريق بعابر السبيل فأصبح بلاطعام أوشراب.

فقالت له الفتاة:

- على الرحب والسعه أيها الفارس، اركب فرسك وسرخلفنا، فأنت فى ضيافتى.

ابتسم لها الأمير"ساران"وركب فرسه وسار خلفهن بين الأشجارحتى وصلوا إلى القلعة التى شاهدها منذ قليل، وعند البوابة الكبيرة ترجل ووقف بجوارها، فأمرت الحارس أن يأخذ الفرس، فقال"ساران"للفتاة وهما يدخلان من البوابة:

-أتمنى أن تأتى إلى بلادنا حتى تعرفى من أنا ونكرمك وترى خيراتنا وقوتنا.

فتوقفت ونظرت له وقالت وهى تضحك:

- أنا لا أكرمك لشخصك حتى لو كنت الملك"برقان" أو ابنه الأمير"ساران"فلا أنتظر منك رد الجميل، إنما أكرمتك لأن هذه طبيعتنا مع ضيوفنا.

أحرج كلامها الأمير"ساران"وقال فى نفسه لعلها عرفتنى وعلمت سبب حضورى، فأراد أن يطمئن فقال لها:

- وهل تعرفين الملك"برقان"وابنه الأمير"ساران"؟

فقالت وقد ظهر الجد فى كلامها:

- بالطبع أعرفه عنهما كل شىء، وأعرف أن جيشهم الآن على مقربة من ديارنا لولا أخاف أنا يقال أنى قتلت ضيفى لقتلتك، وكم أتمنى أن يلقى الحظ بأميركم بين يدى فأبارزه وأأسره وأجعله فى الأغلال.

أثار كلامها فى نفسه الحمية والغيرة وأراد أن يظهر نفسه ويبطش بها لكن رده عنها خوفه أن ينكشف سره، فتبعها حتى وصلا إلى باب كبير فتحته ودخلت وهو معهاوسارا فى نفق طويل على جانبيه يشتعل القناديل كاشتعال الشمس فاستقبلتها الجوارى فى أخر النفق ومع نهاية النفق ظهرت حديقة واسعة فى وسطها نافورة كبيرة تتساقط المياة على مجموعة من الزهور الجميلة،كان"ساران"يتلفت يميناً ويسارًا ليشاهد هذه المناظر الخلابة، ثم دخلوا إلى القصر الموجود بداخل القلعة الشاهقة صعدت الفتاة سلالم القصر و"ساران" خلفها، ثم توقفت وأمرت إحدى الجوارى باصطحاب الضيف إلى غرفته، ومضت هى فى طريقها ولم تلتفت إليه.

تعجب"ساران"من تصرفها، وسأل الجارية عنها، فأخبرته أنها ذهبت لغرفتها وستعود بعد قليل، ولابد له من بعض الراحة فى غرفة الضيافة. دخل"ساران"غرفته فقدمت له الجارية الطعام والشراب وتركته بمفرده ورحلت، فأخذ فى استكشاف ملامح الغرفة فوجدها كبيرة ومنظمة يتوسطها

سرير كبير طرحت عليه الستائر الوردية وعلى الحائط علقت مرآة كبيرة ، وعلى الحائط المقابل علقت بعض أدوات الحرب من سيوف و خناجر و سهام، وفى الجانب المقابل للسرير يوجد باب صغير فتحه فوجد خلفه حمامًا يتوسطه حوض كبير مملوء بالمياة، فخلع ملابسه وألقى بجسده المرهق داخل حوض المياه، وبعد دقائق خرج عائدًا إلى الغرفة، فجلس و تناول بعضًا من الطعام الذى أتت به الجارية،ثم صعد السرير واستلقى عليه وظل يفكر فى تلك الفتاة الجميلة التى لا يعرف حتى اسمها، وفجأة تذكر أنه ترك جيشه فلم يعد يعلم عنه شيء وظلت الأفكارترواد عقله حتى هزمه التعب والإرهاق فاستسلم للنوم.

أيقظه من نومه صوت ضحكات عالية تقترب من غرفته، هب مسرعًا من فوق السرير وجرى نحو الباب وفتحه فرآها تقف وسط بعض الجوارى ترتدى فستانًا من اللون الأسود عليه بعض الرسومات الذهبيه، أظهر الفستان مفاتن جسمها، فازداد إعجابها بها ولم يدرى بنفسه حين قال:

- لم أكن أعلم أنك بهذا الجمال!

فابتسمت بخجل وتوردت وجنتاها، وضاعت الحروف فى طريقها لشفتيها الورديتين المرتعشتين، فشغلت أصابعها المرتعشة بخصلات شعرها تسويها وظلت تنظر إليه طويلًا وتدقق النظر؛ حتى تبسمت وقالت وهى تقترب منه وتبحث عن رد لكلامه:

- هل أزعجناك يا أمير"ساران"!، هل يصح منك الكذب يا فارس يا همام، نحن نعلم حقيقتك جيدًا.

ألجمته كلماتها وأيقن أن سره قد انكشف أمامها، لكنه قال فى شجاعة:

- بالفعل أنا"ساران" ابن الملك"برقان"، لم أخطط للمجىء إلى هنا فافعلى بى ما شئت فلن ألومك على شىء.

فأطرقتك برأسها إلى الأرض برهة ثم نظرت إليه وقالت:

- اتبعنى إلى غرفة الطعام، فلابد أنك الآن جائع، بعدما قضيت اليوم كله فى النوم.

نظر"ساران"من النافذة فوجد الشمس قد مالت إلى المغيب ثم تبعها دون أن ينطق وحين وصل إلى غرفة الطعام رأى المائدة قد امتلئت بكل ألوان الطعام، فجلس وهو لا زال صامتًا، فتوجهت إليه قائلة:

- أنت الآن ضيفى ولك عندى العهد والأمان، ولو كنت أريد قتلك ما منعنى أحد.

وأشارت له بأن يتناول الطعام، فهدأت نفس"ساران"وأقدم على المائدة وتناول طعامه وهويختلس النظرلها وهى تتناول طعامها، وما إن فرغا من الطعام حتى تشجع وقال لها:

- أشكر لك كرمك، إن كان لى عندك العهد والأمان فأرجو أن تسمحى لى بالعودة من حيث جئت، قبل أن ينشراللليل ظلامه على الكون فأضل الطريق مرة أخرى.

ابتسمت حتى تزيل الرهبة التى ظهرت على وجهه منذ حدثته بحقيقته وقالت: لابد أن الأمير"ساران"يعلم جيدًا أن أقامة الضيف ثلاثة أيام أم يرد الأمير أن نظهر فى نظره أننا لا نعرف حق الضيافة، ويتهمنا بالبخل.

مد يده لكأس ثم تناول بعضًا مما فيه، ونظرلها وقال:

- بالطبع لم أقصد هذا، ولكن.....

فقاطعته قائلة:

- ولكن تخشى أن يشعر الجيش بغيابك، فترتبك الصفوف، اطمئن فالوزير الحكيم "يوشهور" معهم وهو يحسن التصرف جيدًا فى مثل هذه الأمور.

زاد تعجبه منها وشعر أنها تعرف كل شىء عنهم وعن تحرك الجيش لمحاصرتهم؛ لكن الغريب أنها لم تقدم إليه أى إساءة وهوعدو لهم ، وجدها تشير للجوارى وتطلب منهن أن ينشدن بعض الأغانى احتفالًا بوجود الأمير "ساران" بينهن.

ظلت الجوارى يرددن الأغانى حتى منتصف الليل، فاستاذنت منه وقامت إلى غرفتها بعد أمرت جارية باصطحابه مرة أخرى إلى الغرفة التى قضى نهاره نائمًا بها، وما أن وصل الغرفة كرر ما فعله فدخل الحمام و اغتسل وعاد إلى السرير واستلقى عليه وهو يفكر فى تلك الفتاة الغامضة التى تعرف عنه الكثيروهولايعرف عنها شىء.

وفى الصباح أقبلت إحدى الجوارى وأخبرته أن سيدتها تنتظره فى حديقة القصر ليتناول الفطور معها، فطلب منها أن تنتظرحتى يغتسل ويبدل ثياب نومه، وبعد دقائق خرج وسار خلف الجارية، وأخذ يتفحص المكان وما فيه من أشياء ثمينة، حتى مر من الباب الخارجى للقصر، فلمحها تجلس بالقرب من النافورة وبجوارها بعض الجوارى فلما وصل عندها قامت وأحسنت استقباله وأجلسته بجوارها وسألته عن ليلته، ثم جلسا يتحدثان وأمامها ما لذ وطاب.

وبعد مدة من جلوسه معها، سمعا ضجة كبيرة ثم ظهر من النفق المؤدى للحديقة بعض الرجال فى زى الجند وفى أيديهم السيوف تلمع فى ضوء الشمس، مقبلين عليهما وهم يقولون:

- أخيراً وقعت فى أيدينا يا"ساران"!

نظر لها "ساران" معاتبًا فقد ظن أنها خدعته وأبقت عليه للصباح حتى يأتى الجنود ويقبضون عليه ويصبح أسيرًا لديهم يساومون أبيه عليه، فلام نفسه أنه صدقها على الرغم من أنها منهم ومن جنسهم، لكنه رأى منها ما يضاف لغموضها، فقد هبت واقفة وأخذت تصيح فى الجنود وتقول:

- تبًا لكم من حمقى، كيف تدخلون هنا هكذا دون أن يُأذن لكم؟

ألا تعرفون من أنا أيها الأغبياء؟!

فظهر الاضطراب على وجه الجنود وتقدم قائدهم وانحنى برأسه ثم أشار بيده نحو"ساران"وقال:

- عذرًا أيتها الأميرة، ولكن هل تعرفين حقيقة الجالس معك؟!

فقالت بغضب:

- كل ما أعرفه أنه ضيفى، وأنتم اقتحمتم قصرى، وهتكتم سترى وستعرفون كيف يكون عقابكم.

فرفع القائد رأسه وقال وهو ما زال يشير نحو"ساران"الذى لم يتفوه بكلمة:

- إن الذى يتناول معك الطعام أيتها الأميرة هو المجرم"ساران" وقد أتى بجيشه لمحاصرة بلادنا، وقد وصل أمره للملك وأمرنا بالقبض عليه وأسره، وها أنت قدمت لنا خدمة عظيمة بأن تحفظتى عليه عندك.

رواد الشك عقل الأميرة، فأردات التحقق من الأمر، فقالت للقائد:

- ما اسمك أنت؟

- عبدك مارز بن عبدك مازور، يا سيدتى.

- وكيف دخلت هنا بغير إذنى؟

- مولاتى الأميرة، عندما وصلت إلى البوابة لم يمنعنى أحد بل أخبرونا بمكان وجدكم هنا فى الحديقة، وليس هذا وقت الكلام فالملك منتظرعودتنا إليه بهذا المجرم حتى نأسره، ويرحل جيشه عن محاصرتنا.

انتفضت الفتاة وقالت بحدة:

- ليس صحيحًا ما تقوله، كذب من أخبر الملك أن الأمير"ساران " عندى؛ لكنه مجرد عابر سبيل قدم علينا

وطلب الضيافة، وحتى أن كان ما تقوله صحيحًا فلا يليق بى أن أغدر بشخص دخل فى عهدى وذمتى، فلا تخونونى فى ضيقى ولا تجلبوا لى العار، ارجعوا إلى الملك وأخبره أن ما وصله مجرد كذب وافتراء.

- أيتها الأميرة المبجلة، لاأستطيع العودة إلى الملك إلا وهذا المجرم معى.

- هو مجرد رجل وأنتم مجموعة من الجند، فتقدموا له واحدًا بعد واحد ليعرف الملك من هو البطل فيكم.

فاضطرب الرجل و قال و هو يتعلثم:

- سيدتى؛ ليس هناك داعى للمبارزة، فأنا أقول الحق.

نظرت إلى"ساران"الجالس على الأرض، وقالت له:

- ما رأيك فى هذا الكلام يا أيها الغريب؟

فهم"ساران"ما ترمى إليه، وعلم أنها لم تخبرأحد بوجوده، وإنما وصل أمره للملك دون علمها، وعندما وجدها تطيل النظرنحوه فهم أنها تشجعه على قتالهم، فوثب فجأة من جلسته وأشهر سيفه فتقدم له القائد وبارزه فضربه"ساران"ضربة حاسمة فأسقطه قتيلًا، فتراجع باقى الجنود وانسحبوا إلى خارج القصر.

ظهرت السعادة على وجه الأميرة مما قام به"ساران"، وقالت له:

- بمثلك تفتخر الفرسان الأقوياء، والآن أيها الفارس المغوار، بعدما شاهدتُ قوتك،لم يتبق إلا أن أحكى لك الحقيقة كاملة.

أمسكت بيده وأجلسته وأمرت الجوارى بإحضار الشراب.

ثم نظرت له وقالت:

- أنا"سيلين"ابنة الملك"ميمون أبا نوخ"صاحب التاج الأسود، ملك بنى دهمان، وكبيرأسرة الميامين، ومن أرسل هؤلاء الجند للقبض عليك هى جدتى"دنهش"ونطلق عليها"نائلة أم الشعورالمائلة" ولابد أن لها هنا جاسوسًا أخبرها بوجودك، فهى تكرهنى لأنى أفضل عليها جدى والد أمى"ست المحاسن" الملك"شمهورش" قاضى الجن صاحب التاج الأبيض ملك بنى النعمان، وقضيت هناك معظم سنوات عمرى وتعلمت على يديه وهى دائمًا ما تدبر الخطط للتخلص منى وقد زادت الخصومة الآن بعدما قتلت أنت قائد الجند فلابد من ترك الإقامة هنا، وأريدك أن ترد لى الجميل.

كبرت فى عينى"ساران"بعد كلامها، فقال لها:

- لا تخافى من أحد وأنا معك سأدافع عنك بروحى؛ لكن هل تريدين مرافقتى حقًا، وترك قومك؟

- نعم ،لم يعد لى مكان بينهم بعد ما حدث، ولكن عليك الآن أن تعود بجيشك إلى بلادك.

تعجب من طلبها، وقال:

- ولكن أبى أرسلنى لمساعدة"بنى الأحمر"فى قتال قومك بسبب هجومهم على جنود الملك "مُرة الأحمر"والاستيلاء على الأموال والجواهر.

فضحكت من رده وقالت:

- لقد خدعكم الملك"مُرة الأحمر"وأنا سأخبرك بالحقيقة كاملة.

فهز رأسه وظل منصتًا، فأردفت قائلة:

- لنا عيد يقام كل سنة يسمى"عيد القرابين" يجتمع فيه ملوك الممالك السبعة من بنى جلدتنا، ملوك(بنى الأحمر، بنى القماقم، بنى النعمان، بنى قيعان، بنى غيلان، بنى الطماطمة وبنى دهمان) فيأتى الملوك وبنات الأكابر والتجار

ويمكثون سبعة أيام وأنا من جملتهم فلما وقعت بيننا العدواة منعنى أبى من الحضورمدة سبع سنين وفى إحدى المرات وبعد انتهاء أيام العيد، انصرف الناس.

ظهرت الدهشة على وجه"ساران" ، فعقبت قائلة:

- فأرادت"ميرة"ابنة الملك"مُرة الأحمر" أن تعود فى البحر، فجهزوا لها مركبًا فنزلت فيه هى وجواريها وأحلوا القلاع وساروا، وإذا بريح عاتية قد هبت فأخرجت المركب عن طريقها ولحظهم العثر قابلهم مركب من قطاع الطرق

ومعهم العدة والسلاح، فانقضوا على المركب وفيه"ميرة"ومن معها، وقصدوا مكان بجزيرة نائية،لكن للمرة الثانية تغير الريح وجهتهم وجذبتهم إلى مضيق مزق قلوع مراكبهم وقربهم من حراس مديتنا، فأخدوا المركب وقتلوا الرجال وأسروا البنات وغنموا ما معهم من الأموال والتحف.

فاختار أبى بعض الجوارى وفرق الباقى على حاشيته وأرسل خمس جوارى هدية لوالدك الملك"برقان"وكان من ضمن الجوارى"ميرة" فقبل والدك الهدية وعلمنا بعد ذلك أنه اصطفى"ميرة"من بين الجوارى.

تعجب"ساران"مما سمعه، فأول مرة يعرف أن"ميرة"محظية والده التى أنجب منها هى نفسها بنت الملك"مُرة الأحمر"وأردفت قائلة:

- فغضب والدها غضبًا شديدًا وأرسل لأبى يتوعده ويهدده، ويطلب منه إعادة ابنته"ميرة" حتى لا يلحق به العار بين الملوك، وإلا جاء بجيش وحاربنا ولم نكن نعرف أن"ميرة" من ضمن الجوارى الهدايا وزاد الأمر صعوبة عندما علمنا أن الملك"برقان" أنجب منها فأرسل والدى للملك"مرة" يقسم له أنه لا يعرف عن ابنته شيئا.

قال"ساران "وهو يتعجب من كلامها:

- ولماذا لم يخبر والدك الملك"مُرة الأحمر"بحقيقة ماحدث؟

نهضت من جلستها وسارت بعضة خطوات ثم التفتت نحوه، وقالت:

- ليس الأمربهذه السهولة، فالممالك السبعة لها قانون خاص لا يسرى إلا على بنى جنسنا ، وينص القانون على إنه إذا تزوجت فتاة منا بأى رجل منكم، فسوف تضيع نصف قوتنا، وإن أنجبت منه سُلبت منا كل قوتنا وصرنا

مثلكم ولا نتميز عنكم فى شىء، فما بالك أن من سببت هذا العار هى سليلة الملوك.

ظهر على وجه الأمير"ساران"عدم تصديق ما تقوله، فأردفت قائلة:

- أرأيت عندما سمحت لك بمبارزة قائد الجند وقتله، لقد كنت أود أن أتاكد بنفسى، فوجدتك تقضى عليه بسهولة ولو كان فى كامل قوته ما قدر عليه جيش كامل من بنى جنسكم ولابد أنك لاحظت أنه كان يرفض المبارزة لأنه على علم بالحقيقة لكنك باغته وقتلته.

وقف الأمير"ساران"واقترب منها، وقال:

- أظن أن أبى لا يعلم الحقيقة ولا يعرف شئيا عن هذا القانون، وإلا ما كان قدم على الإنجاب من"ميرة".

قالت الأميرة"سيلين":

- أنا متأكدة من ذلك، خصوصًا أن"ميرة"تتكتم على سرها، لأنها تعرف أن حظها ازاد سوءً بعدما أنجبت أنثى.

استفسر"ساران" قائلًا:

- وهل هناك فرق أن يكون المولود ذكرًا أوأنثى؟

أشارت له الأميرة"سيلين"بيدها، فلحق بها وسارا سويا فى الحديقة، ثم قالت:

- بالطبع هناك فرق كبير، لأن الشق الثانى من القانون يوضح كيفية إعادة القوة لنا إن كانت المولودة أنثى، وهو إما تتزوج هذه الأنثى من جنسنا مرة أخرى أو تُقتل وتُقدم دماؤها الساخنة قربانًا.

ظهرت الحيرة على وجه الأمير"ساران"، فنظرت له وأردفت:

- عندما علم الملك"مُرة الأحمر"بالأمر قرر أن يخدع والدك وأغراه بحكاية الأموال والجواهر المباركات، وأرسل يطلب منه المساعدة فى حربنا، فيأتى جيشكم إلى هنا فيتم القبض عليكم وطبعًا كل هذا التخطيط من حيل جدتى"دنهش"فهى بمثابة الملكة المقدسة للممالك السبعة والكل يأتمر بأمرها.

ثم ارتفع صوت ضحكتها وهى تقول:

- الجواهر المباركات معى الآن، وليس لدى مانع من إعطائها لك ولكن عليك أن تسرع إلى جيشك والعودة به قبل أن تجهز لكم جدتى حيلة جديدة.

اقترب منها الأمير"ساران"وأخذ بيدها وقبلها، وقال لها:

- لقد أسرتنى بكرمك، ولكننى أخاف أن أتركك فيصيبك منهم أذى إن علموا بما فعلتيه معى.

فقالت له وهو ما زال ممسكًا بيدها:

- اذهب أنت الآن إلى جيشك واقبض على رسل"مُرة"ولا تقلق فأنا سأتدبرأمرى جيدًا وألحق بكم بعد ثلاثة أيام.

فارقها"ساران"وخرج من القلعة الشاهقة، بعدما أعادوا له فرسه، وسار به حتى وصل الأشجار الكثيفة، وعندما خرج من الغابة لمح بعض الفرسان تقترب ، فتوقف حتى يستعلم أمرهم، ولما اقتربوا منه عرفوه وعرفهم وكان بينهم الوزير"يوشهور" فترجل"ساران" وهو يبتسم، ففعل مثله الوزير واستقبله فاتحًا ذراعيه، ثم قال وهو يحتضنه:

- أين كنت أيها الأمير؟! لقد زاد قلقنا عليك، وجئنا للبحث عنك.

فترك الأمير"ساران"عنان فرسه للجنود المصاحبة للوزير ثم أخبره بكل ما حدث له منذ غاب عنهم، وطلب منه القبض على رسل"مُرة الأحمر" وأن يسرع الجيش بالعودة إلى"أقناموس".

أسرع الجيش بالتحرك وبعد أن ساروا عدة أيام وأصبحوا على مسيرة يومين من بلادهم قرر الأمير"ساران"أن يتأخر قليلًا مع مجموعة من الفرسان لحماية مؤخرة الجيش.

ولما اطمأن الأمير"ساران" أنه لم تلحق بهم جنود العدو، أمر الفرسان بالسير للحاق ببقية الجيش، وعندما وصلوا وادى بين جبلين أبصروا مجموعة من الفرسان تعدو خلفهم، وعندما لحقوا بهم وكانوا فرسان ملثمة، أمر كبيرهم الأمير"ساران"بأن ينزلوا عن خيولهم ويسلموا أنفسهم حتى لايقتلوهم جميعًا.

غضب الأمير"ساران"، وقال موجهًا كلامه لكبيرهم:

- كيف تخاطبوننا بهذا الخطاب، وأنتم فى بلادنا، هل تظنون أن نترككم تعودون إلى بلادكم!

ثم صاح فى فرسانه أن تقدموا، وهجم عليهم واشتد القتال بينهم، وكانت الفرسان الملثمة تفر كلما شعروا بقرب هزيمتهم، فتعجب"ساران"ومن معه منهم، وظلوا هكذا حتى غابت الشمس، فانفصل الفريقان طلبًا للراحة على وعد بلقاء فى اليوم التالى.

مع بزوغ فجر اليوم الجديد واستعداد الشمس لنشرأشعتها على الكون ركب الأمير"ساران"فرسه ومعه فرسانه وصاح فى الفرسان الملثمة وقال:

- مثلكم لا يريد القتال فكلما اقتربنا من هزيمتكم تفرون ثم تعودون وانقضى الأمس ولم نظفر منكم بالمبارزة.

فقال كبيرهم للأمير"ساران":

- يا"ساران" يا ابن الملك؛ أنت سيد قومك وأنا سيد قومى، أقدم لى فى المبارزة، فمن كانت له الغلبة دخل الجميع فى طاعته.

هز"ساران"رأسه موافقًا على اقتراح الفارس الملثم، وقد امتلأ قلبه غيظًا منه، فتقدم نحوه وبدأت المبارزة بينهما، أظهرفيها"ساران"القوة والمهارة، وعندما أراد الملثم لكز فرسه وجذب اللجام فتعثرالفرس وسقط الفارس من فوقه، فأراد"ساران" القضاء عليه فصاح الملثم وقال وهوخائف:

- بمثلك تفتخر الفرسان الأقوياء.

لما سمعه"ساران" توقف عما كان ينوى فعله، فكشف الفارس الملثم عن وجهه فعرف الأمير"ساران"أن من كان يبارزه هى الأميرة"سيلين"فألقى سيفه ومد لها يده وساعدها على النهوض، ثم هز رأسه متعجبًا وقال:

- منذ عرفتك وأنت لا تكفين عن الأفعال الغريبة، لماذا فعلت هذا؟

اقتربت منه"سيلين"ووضعت يدها على كتفه بدلال، وقالت:

- ولن أكف أبدًا، فقط أردت اختبار قوتك وهؤلاء الفرسان الملثمة ما هن إلا بعض الجوارى، وكنت سأهزمك لولا تعثر فرسى.

تبسم"ساران"من قولها، وقال:

- أهلا بالأميرة"سيلين" فى بلادنا، حسنًا فعلت حتى نرد لك جميلك.

تقدم الأمير"ساران" فرسانه وبصحبته الأميرة"سيلين" وجواريها حتى اقتربوا من مشارف المدينة، فأمر أحد فرسانه أن يسرع ويخبرالملك "برقان" بقدومه وأن يرسل موكب استقبال يليق بمقام الأميرة"سيلين" ابنة ملك"بنى دهمان".

وفى الصباح أقبل الوزير"يوشهور"ومعه ألف فارس لاسقبال الأميرة وأخبرها بأن الملك"برقان"أمر أن تنزل فى قصر الضيافة لتستريح على أن يتشرف بمقابلتها فى المساء.

دخل الأمير"ساران"على والده بعدما أوصل الأميرة"سيلين"إلى مكان إقامتها، فاستقبله والده فرحا بعودته فأخذه بين أحضانه وهو يربت على ظهره ويقول:

- أنى لسعيد حقًا بعودتك سالمًا، وقد حكى لى الوزير كل ما حدث معكم لكنى لم أفهم جيدًا الأمر المتعلق بـ"ميرة".

فقال الأمير"ساران"لوالده:

- إن الأميرة" سيلين"أخبرتنى أن القانون عندهم لا يسمح بزواج بنات جنسهم من رجالنا، وإن حدث فهذا إضعاف لقوتهم وعليهم الانتقام لرد شرفهم حتى لا يلحق بهم العاروخصوصاً أن"ميرة" من بيت ملوك وأولى الناس باحترام قانون بنى جنسها أن تحافظ على عاداتهم وتقاليدهم.

لم يخبر"ساران"والده بالشق الثانى من القانون حتى لا يقلقه على ابنته "سماريدس"بينما أخبره باتفاقه مع الأميرة"سيلين" أن تنزل فى ضيافتهم

وحمايتهم وأنه أعطاها العهد بالحماية فلولاها لكان الآن أسيرًا بينهم يساومون على حريته.

وعندما سمع الملك"برقان"هذا الكلام أعجب بها وبشجاعتها وقوتها وتمنى أن يراها فأمر بدعوتها لتناول العشاء معهم ليشكرها على ما قامت به مع ولده.

فى المساء أقبلت الأميرة"سيلين" فاستقبلها الملك"برقان" أحسن استقبال وأمر بتجهيز أفخر ألوان الطعام، وجلسوا على المائدة فأثنى على ما قامت به وشكرها، فأبدت الأميرة"سيلين"إعجابها بحكمة الملك"برقان"وحسن ضيافته.

وبعد الانتهاء من تناول الطعام أمر الملك بالشراب، وسأل الأميرة عن أحوال قومها واتفاقهم لمحاربته.

لما تحدثت أعجب الملك بكلامها وحسنها وجمالها، وتعهد بحمايتها من أى خطر تتعرض له وأنها ستكون ضيفة معززة مكرمة مهما طالت مدة إقامتها بينهم، فقامت وأعطته الجواهر المباركات التى أغراه الملك"مُرة الأحمر"بالحصول عليهم عندما يساعده.

وبعدما انصرفت عائدة إلى قصر ضيافتها، ظل يتحدث عن حسنها و جمالها أمام ولده "ساران"و لما زاد فى الإطراء عليها، لعبت الظنون برأس"ساران"وخاف عليها من طمع والده فى الفتيات الحسناوات، وهم بالانصراف فمد له والده يده بإحدى الجواهر المباركات وقال له:

- هذه لك يا ولدى فاحتفظ بها وسأعطى واحدة لأخيك"سارى" أما الأخيرة ستكون من نصيب أختك"سماريدس".

فقال الأمير"ساران"متعجبًا:

- ألك ولد غيرى؟!

- نعم يا ولدى، أخوك"سارى"ولد مع"سماريدس" فى بطن واحدة وله من العمر الآن ست سنوات وقد أخفيته عن العيون خوفًا عليه.

فقال الأمير"ساران" وهو يمد يده ليأخذ الجوهرة من والده، وقد تغير وجهه:

- أحسنت صنعا يا أبى.

وأراد أن يستأذن والده فى المغادرة، لكن استوقفه الملك، وقال له:

- مالى أراك و قد تغير وجهك، أنت صاحب المُلك من بعدى فلا تجعل فى قلبك ضغينة لأخوتك بل كن لهما العون والسند.

انصرف"ساران"وهو يتميز من الغيظ لأن والده أخفى عنه هذا السر فترك أثرًا عميقًا فى قلبه، فتوجه إلى غرفته وأغلق الباب وأخذ فى نزع ثيابه وهو غارق فى التفكير فيما حدث فى ذلك اليوم، مرت كل الأحداث بعقله فجلس على فراشه وهو ما يزال يفكر.

ثم نهض من فراشه وتمشى فى الغرفة لحظات وهو غارق فى التفكير كانت الشمس قد مالت إلى الغروب فعزم أن يقضى باقى اليوم مرتاحًا بعد سفره الطويل مع الجيش وقرر أن يذهب لمقابلة"سيلين" فى الصباح ليبث لها شكوكه وأفكاره، فحاول النوم لكنه فشل لشدة ما جاش فى صدره واستولى عليه الأرق.

فلما أسدل الليل نقابه، ارتدى ملابسه وخرج يتجول فى فناء القصر، كان الجو صحوًا والقمر قد تكبد السماء وظهرت الطبيعة بأبهى ما يكون من الجلال والهيبة،

ويحلو للمفكر فى مثل تلك الليالى أن يقف فى الفضاء الواسع يناجى نفسه فى هدوء وسكينة كأنه يعهد بسره للقمر.

فجلس بالقرب من بوابه القصر الخارجية، وظل صامتًا كأنه يتأمل مناظر الطبيعة وأفكاره تنتقل به من موضوع لموضوع ومن هاجس لهاجس وضوء القمر يكبر أشباح الفكر فتكثرالأوهام.

بينما هو ساكت إذ سمع أصواتًا متداخله، ثم سمع قهقهة على مقربة منه فالتفت فلم ير أحدًا، فظن أن الصوت من أصوات الجان، لكنه سمع وقع أقدام خلف السوارالمقابل له فسكت حتى يتيقن من الحقيقة، فعلم أن الحراس يتسامرون وقبل أن ينصرف سمع رجلًا يقول لمن معه:

- عجبًا لأمر الملك"برقان" لقد تيم بالأميرة التى اصطحبها معه الأمير"ساران" وأظن أنه عقد العزم على ضمها لجواريه.

فرد عليه آخر قائلًا:

- هذه مبالغة منك كيف يطمع الملك فى ضيفة ولده.

ضحك الرجل وقال:

- هذا الكلام عن ثقة، فقد سمعته إحدى الجوارى وهو يبث إحاسيسه نحوها ويطلب من الوزير إيجاد حيله لوصلها، بعدما أسره جمالها.

لما سمع"ساران"هذا الحوار زادت الشكوك فى عقله وعقد العزم على الذهاب إلى"سيلين"ليحذرها من والده الملك"برقان" فتصنع وصوله المفاجئ فهبت الحرس واقفة عند خروجه من البوابة متوجهًا للقصر التى تنزل فيه"سيلين".

ظل سائرًا حتى دخل قصر"سيلين"فلما رأته نهضت واقفه لاستقباله وشكرته على ما فعله معها ودعت له ولوالده الملك، ثم جلست وأجلسته وأمرت الجوارى بإحضار الشراب والفاكهة، ولاحظت الغضب والغيظ على وجهه فسألته عن السبب فأخبرها بأن له أخًا ذكرًا عكس ما كان يظن وأن الملك احتفظ بجوهرتين لولديه، ثم أخبرها بخوفه عليها من والده وحكى لها ما سمعه من كلام الحراس،فطمأنته"سيلين"وقالت:

- والدك أكرمنى بضيافته لى، لكن ما له حكم على ولا يقدر أن يأخذنى بغير رضاى وموافقتى، أما موضوع أخيك فأنا عرفت منك أنه أوصى لك بالمُلك من بعده، فلا داعى للقلق.

ثم تنهدت وقالت:

- ما أخاف منه أنا ليس موضوع والدك الملك، إنما خوفى من أن يتفق أبى مع الملك"مُرة الأحمر"فيأتيان إليكم بجيش جرارفلقد أصبح لكل منهما ثأر عندكم.

ذكرها"ساران"بما قالته، فقال لها:

- لقد علمت منك أن قوة بنى جنسكم قد سلبت فأصبحتم مثلنا فى كل شىء، لما الخوف إذن ونحن نستطيع هزيمتهم بسهولة.

فقالت وهى شاردة الذهن تفكرفى كل ما حدث :

- لقد سُلبت قوتهم نعم، ولكن ألا تعلم أن الكثرة تهزم القوة ، عموما سنرى ما يحدث وأتمنى أن يكون خيرًا.

فستأذن منها"ساران "وتركها غارقة فى بحرأفكارها، بينما هو يصارع أمواج أفكاره.

بمجرد أن فارقها الأمير"ساران"حتى استدعت جاريتها، وقالت كأنها تتحدث مع نفسها:

- لن أسمح أن يحدث معى كما حدث مع"ميرة"فلست بهذا الغباء ولابد لى الآن من العودة فورًا قومى وعشيرتى، حتى لا يقع ما يتوقعه الأمير"ساران"فأصبح معيرة بين الجوارى.

- عليك الأمر يا مولاتى وعلينا السمع والطاعة.

فقالت لها الأميرة"سيلين":

- لابد من مغادرة القصر بأسرع وقت ممكن والعودة إلى ديارنا.

ثم صمتت برهة، واقتربت من الجارية وقالت لها:

- ابحثى لنا عن عبد قوى أمين، يسافر معنا ويحرسنا فى الطريق.

انحنت الجارية، ثم رفعت رأسها وقالت وهى تبتسم:

- ليس هناك أقوى من"ميشلان"ذلك العبد الأسود الذى عهد إليه الملك "برقان" بحراستنا، سأخرج إليه وأغريه بالمال حتى يكون طوع أمرنا فلا تقلقى يا مولاتى.

استدعى الملك "برقان" زوجته "ميرة" فلما دخلت عليه رحب بها واحتضن ولديه وقبلهما وأعطى جوهرة لكل منهما ففرحا بها، ففطنت"ميرة" للجوهرتين وعرفت أن الملك أصبح على علم بحكايتها، لكنها ظلت صامتة.

فقال لها الملك:

- لماذا لم تخبرينا بحقيقتك حتى نزيد فى إكرامك ورفع مقامك وحمايتك من أى خطرقد يحيط بك أوبأولادى.

فقالت له"ميرة":

- أيها الملك المعظم ، وماذا أريد أكثرمن هذا وأنا أعيش تحت رعايتك وحمايتك وقد رزقت منك بأولاد.

فأمرالملك أن تنقل إلى قصر شديد الحراسة، وأن يتعهد الحكماء والأدباء بتربية أولاده وتعليمهم أحسن التعليم، شكرته "ميرة" على اهتمامه بهم، واستأذنت منه متوجه إلى قصرها الجديد بصحبة ولديها، بينما كان عقل الملك"برقان"مازال مشغولًا بأمر "سيلين" بعدما أسره حسنها وجمالها، فظل يفكر فى كيفية تملكها ووصلها بعدما زاد إعجابه وشغفه بها.

فقرر أن يذهب للجلوس معها فى قصرالضيافة، ليروى ظمأه لها ويسعد بالقرب منها لعه يجد وسيله لوصلها، لكن الحارس أخبره بأنها خرجت منذ مدة مع جارية لها يصحبهم العبد"ميشلان"فظن أنها خرجت للتنزه فدخل القصروطال انتظاره، وعندما لم تعد زاد قلقه وخشى أن يكون أصابها مكروه، فأمر الحراس بالبحث عنها فلم يعثروا لها على أثر.

فنهرهم وقال بصوت عال:

- كيف تخرج الجارية من القصر و لم يعلم بها أحد، فإن كانت مملكتى على هذا الأمرمن الفوضى فأنها ضائعة لا محالة.

جاء الأمير"ساران"مسرعًا عندما علم بما حدث، فأخبره والده أن الأميرة التى أستضافوها وأكرموها هربت من القصر دون حتى الاستئذان منهم.

حزن"ساران "وظن أنها فكرت فى كلامه وخافت على نفسها فقررت الهرب، وزاد من همومه وأحزانه أنه أصبح على علم بالاهتمام الزائد من والده بولديه، فصار يضمر لهما الحقد والحسد، فتكالبت عليه الهموم وطرحته فى الفراش.

فقال له والده عندما ذهب لزيارته والاطمئنان عليه:

- مالى أراك تزداد وهنًا و ضعفًا! أكل هذا من أجل جارية ليست من جنسنا.

فقال لوالده وهويبتعد بنظره عنه:

- ليس كما تظن يا أبى، لكنها أكرمتنى ودافعت عنى فلولاها لكنت الآن أسيرًا عندهم.

مط الملك شفتيه وقال، بعدما شعرأن ولده يلمح لشىء:

- ونحن أيضا لم نقصر معها وأكرمناها ولم نقدم لها إلا الخير انساها يا ولدى وانهض من فراشك.

اعتدل"ساران"من نومه، وقال لوالده بعد تردد:

- أشعر بأن الحسد يكبر بداخلى تجاه إخوتى، و أخاف أن تسول لى نفسى بقتلهما، فتقتلنى أنت مقابل فعلتى، فتخسرنا جميعا، فأرى أن تعطنى مدينة على الثغورأقيم فيها.

أيقن الملك"برقان"سرتغيرولده"ساران"فقال له:

- يا ولدى يعز على فراقك لكن أنت وما ترى، ولن أرغمك على شىء وليس هناك أكبرمن مدينة"زغدانة"اذهب إليها حتى تبرأ من علتك وبعدها تقرر أن كنت ستعود إلى"أقناموس"أم تظل هناك.

امتثل الأمير"ساران"لأمر والده الملك"برقان"وبعدما مر ثلاثة أيام كان الأمير"ساران"فى طريقه إلى مدينة "زغدانة"حيث اختارأن يهرب هناك بأحزانه وهمومه بعدما صار كل مكان فى"أقناموس"يذكره بـ"سيلين".

و كان والده والوزيروالأمراء وأكابر الدولة فى وداعه، فاحتضن والده ثم سار بمن معه من الفرسان.

استقبل أهالى"زغدانة"الأمير"ساران" بالترحاب والزينات، وسار فى موكب عظيم حتى دخل إلى القصر الكبير الذى يطل على ساحل البحر.

****

مر على هروب الأميرة"سيلين" ثلاثة أيام قضوها فى السير ليل نهار كما أمرت حتى يكونوا فى مأمن من أن تلحق بهم جنود الملك"برقان" إن فكر فى البحث عنها وبعدما حل عليهم التعب أمرت العبد"ميشلان"بنصب خيمة لهم لترتاحوا فيها حتى الصباح وفنفذ العبد أمرها ونصب الخيمة وأشعل أمامها النار فقد أتى الليل يحمل معه بعض النسمات الباردة وبعدما تناولوا الطعام، دخلت الأميرة"سيلين" خيمتها بصحبة جاريتها بينما جلس العبد بالخارج لحراستهما وبعدما تأكد من استغراقهما فى النوم، دخل الخيمة فلعبت الظنون برأسه عندما أغراه جمال الأميرة وهى نائمة فاقترب منها أكثر وكاد يلمس جسدها لولا أن استيقظت فجأة وصرخت فى وجهه قائلة:

- ماذا تفعل هنا يا عبد السوء؟!

ثم ألقت فى وجهه ببعض الرمال، فتراجع إلى الخلف، ونهض واقفًا وأشهر سيفه وقال وهو مازال يتفحص جسد الأميرة:

- يا سيدتى انعمى علي بوصلك، فقد لقيت من سفرنا هذا نصبًا.

أيقظت الأميرة جاريتها، وصرخت فى وجه العبد قائلة:

- هل أصابك الجنون يا أحمق، كيف تنطق بمثل هذا الكلام، ألا تعرف من أنا أيها العبد القبيح؟!

قامت الجارية ووقفت فى وجهه ودفعته من صدره وهى تصرخ وتقول:

- أنها الأميرة"سيلين" ابنة الملك"ميمون أبان نوخ" أيها العبد الغبى.

أخرجت الأميرة"سيلين" خنجر كانت تحتفظ به تحت فراشها، نهضت واقفةوقالت وهى تشير ناحية العبد بخنجرها:

- حتى نصل إلى بلادنا لا أريد منك أن تتفوه بمثل هذا الكلام مرة أخرى، لك المال الذى اتفقنا عليه وإلا قتلتك أيها الملعون الحقير.

قالت الأميرة"سيلين" للعبد هذا الكلام حتى يتبعد عنها، وهى تعلم جيدًا أنها لا تقدر عليه فقد كان ضخمًا عريض الصدر له من القوة ما يفوقها لكنها تظل أنثى سلبت قوتها، فلجأت لتهديده فقط لعله يكف عما يقوله.

لكنها لم تكن تعلم أنه عبد عنيد، لما سمع منها هذا التهديد والوعيد غضب غضبًا شديدًا وتقدم نحوها وهو يشهر سيفه، فتقدمت الجارية لتقف فى وجهه فلطم خدها لطمة قوية أسقطها أرضا، وضرب الأميرة"سيلين" ضربة قوية بالسيف فقتلها على الفور فسقطت وتخضبت الأرض بدمائها فأخذت الجارية تلطم وتبكى وتضع التراب فوق رأسها وهى تقول:

- كيف تقتل سيدتى أيها العبد الأسود؟!

فأخذ العبد الأسود ما قدر على حمله من الأموال والجواهر، وخرج مسرعًا من الخيمة فلحقت له الجارية وأرادت أن تمسك به فركلها برجله عندما لمح فرسان أتية من بعيد وخاف أن تكون الفرسان هم جنود الملك"برقان"جاءت للبحث عن الأميرة.

هرب العبد الأسود وترك خلفه الأميرة تسبح فى دمائها، والجارية بجوارها تبكى و تصرخ تلطم وجهها، اقتربت الفرسان من الجارية وما أن نظرت إليهم فعرفت أنه الملك"ميمون أبانوخ" والد الأميرة"سيلين" جاء يبحث عنها بعدما

علم بهروبها مع الأمير"ساران" فلما رآها على الأرض والدماء حولها ألقى بنفسه من فوق فرسه، واحتضن ابنته وبكى وصرخ على الجارية فمثلت بين يديه، فجذبها من شعرها وقال لها:

- من فعل هذا بابنتى أيتها الحقيرة؟

قالت الجارية وهى تحاول تخليص شعرها من يد الملك:

- استأجرنا عبدًا من عبيد الملك"برقان" ليحرسنا فى طريق العودة لكنه طمع فى الأميرة ولما رفضت طلبه قتلها وأخذ ما معنا من أموال وجواهر وفر هاربًا، عندما رآكم قادمون نحونا.

أسودت الدنيا فى وجه الملك"ميمون أبا نوخ" بعدما سمع كلام الجارية وصرخ بأعلى صوته قائلا:

- لم يعد هناك إلا العبيد ليطمعون فى بنات الملوك، أقسم أننى سأنتقم من"برقان"وابنه"ساران"فهما السبب فى قتل ابنتى.

ثم أمر جنوده بحمل ابنته القتيلة للعودة بها إلى ديارهم لتدفن بجوار والدتها الملكة"ست المحاسن".

عندما وصل الملك"ميمون أبا نوخ" بجثمان ابنته إلى بلاده ودخل القلعة كان خبر مقتل الأميرة قد انتشر، فجاءت أمه"دنهش"مسرعة تتصنع البكاء على الأميرة الراحلة، وظلت تبكى وتقول لابنها"ميمون":

- لا تحزن يا ولدى، أقسم أنى سأخذ بثأرالعزيزة"سيلين"ممن قتلوها.

أمر الملك"ميمون أبا نوخ" الجوارى بتجهيز الأميرة"سيلين" للدفن.

ثم التفت لأمه وقال والدموع تترقرق فى عينيه:

- عن أى ثأر تتحدثين يا أماه، دعى الثأرللرجال، سأجهزجيشًا لا قبل للملك"برقان" به وأقضى عليه وأجعله عبرة بين الملوك.

تعجبت الملكة"دنهش"من كلام ابنها، وقالت له:

- من الواضح أن مقتل العزيزة"سيلين"أفقدك عقلك يا بنى، هل نسيت ما نعانيه منذ أن تزوجت الملعون"ميرة"من الملك"برقان" وأنجبت منه ابنتها تلك المعلونة الصغيرة.

لم يهتم الملك"ميمون"بما قالته أمه الملكة المقدسة، وقال بحزم:

- لقد أقسمت ولن أتراجع فيما عزمت عليه، لابد من قتل"برقان" وابنه"ساران"أما الملعونة"ميرة"سأعلق رأسها على بوابة قلعة أبيها "مُرة الأحمر" لأنها السبب فيما وصلنا إليه من الضعف والهوان.

اقتربت منه أمه وأخذت تربت على كتفه وتقول:

- لا تجعلك حالتك تؤثر على عقلك، فلابد من التروى والتفكير حتى نأخذ بثأرنا منهم، وأى حرب معهم سنخرج منها مهزومين ونزيد جراحنا.

التفت"ميمون أبان نوخ" لأمه وعرف أنها تفكر فى حيلة جديدة، فقال:

- وما الحل إذن أيتها الملكة المقدسة"دنهش"؟

- هيا بنا لنحضر دفن العزيزة"سيلين"، وبعده سأخبرك بما أخطط له لكن لابد أن تنفذ كل ما أطلبه منك، وسترى كيف سأنتقم من"برقان"وابنه"ساران"حتى لا يفكرا مرة أخرى فى انتهاك أعراض بناتنا أوقتلهن.

كان الملك"برقان" مولعًا بالصيد، ولا يتركه فى إقامته ولا فى سفره حتى بلغ به حب الصيد أنه لو شاهد سربًا من الغزلان فى طريقه وهو سائر مع الجيش، فكان يترك السير ويذهب خلف هذا السرب ولا يعود إلا وقد أصاب من الغزلان شيئا فيأمر رجاله بحمله.

كثيرا ما نصحه الحكيم"يوشهور"وحذره من نتيجة هذا الخطر الذى يقدم عليه فكان يثنى على رأى الوزير وما يلبث أن يعود سيرته الأولى.

وقد انتقل حب الصيد لولده الصغير"سارى" فكان دوما يصحب والده فى الصيد، حتى بدا للحراس أن الولد يشبه والده كثيرًا فى عشقه للصيد.

فى إحدى مرات الصيد لاح للملك"برقان"غزال شرد عن قطيعه، فجرى خلفه والحراس تنتظر ومعهم ولديه"سارى"و"سماريدس".

وإذا بأرنب برى منطلق بين الحشائش فى أسفل الجبل، فبصر به"سارى" عن جنب والحراس عنه غافلون، فانطلق"سارى"خلفه ومن ورائه أخته حتى غابا فى منعطف خلف الجبل ولم ينتبه لهما أحدٌ من الحراس لأنه صار مألوفًا عندهم ما يقوم به الأمير الصغير.

تزامن فى هذا الوقت وجود سبعة أفراد من قطاع الطرق خلف الأشجار الكثيفة، قد لمحوا الطفلين يطاردان الأرنب البرى، فخرجوا لهم فجأة وأحاطوا بهما وتلقف أحدهم"سارى" وأنزله من على فرسه وكتم فاه وصنع أخرمع"سماريدس"ما صنع بـ"سارى" وهددوهما بالقتل أن صدر منهما أى صياح أوحاولا الفرار.

حملوا الطفلين حتى وصلوا سفح الجبل، ومضوا فى منعطفات الجبال وسلكوا الأوديه الضيقة، حتى وصلوا لكهف لهم فى أعلى جبل آخر، كان ينتظرهم فيه بعض قطاع الطرق، كانوا يقطعون الطرق على القوافل فينهبونها، ويقتلون المسافرين ويخطفون الأطفال والنساء لبيعهم لتجار الرقيق الذين يحملون ما غنموا إلى أسواق الرقيق بالمدن المجاورة.

كان"سارى" فى تلك المدة يلعن خاطفيه ويسبهم ويعلن أنه ابن الملك وأن من باعهما أو اشتراهما فسيتم عقابه من الملك، وكان يضرب بيده أو يركل برجله أى أحد من هؤلاء، لكنهم كانوا يعاقبونه بالضرب الموجع ليمتنع عما يفعل.

أما"سماريدس" كانت تواصل البكاء فلا ينقطع دمعها ولا تقرب الطعام حتى نحل جسمها واصفر وجهها فلما خلا ببعضهما قال لها"سارى":

- نحن نمتلك من الذكاء والفطنة ما يجعلنا متفوقين على هؤلاء الخاطفين، فنحن أبناء الملوك ولا بد أن نصبر صبر الملوك ولابد أن نخفى حقيقتنا عن التاجرعندما يأتى لشراءنا وسنصبر حتى نهتدى لحيلة نهرب بها من بين أيديهم.

وبعد مرورأسبوع على وجودهما مع قطاع الطريق جاء أحد تجار الرقيق إلى الجبل واشتراهما وأعد العدة للسير إلى المدينة ليبيعهما فى سوق الرقيق وما أن وصلوا المدينة ونزلوا فى خان هناك واستأجرالتاجر حجرة لعدة أيام يواصل بعدها سيره إلى السوق، لكن ظهرت بوادرالحمى على"سماريدس"فجلس أخوها بجوارها حتى شفيت، لكن الحمى انتقلت لأخيها وزادت عليه واشتد به المرض فظلت أخته بجواره، فخشى التاجر على نفسه وتشائم منهما ، فتركهما على حين غرة وهرب.

أصبحت"سماريدس" فى حيرة من أمرها، فلقد صارت وحيدة مع أخيها المريض لا يملكون من المال ما يقيمون به صلبهم، وقد زاد الضعف بأخيها و هى تخدمه و تنفق عليه و على نفسها حتى نفذ ما معهما من المال القليل، ففكرت أن تبيع الجوهرة التى أخذتها من أبيها وهى صغيرة، لكنها تراجعت عن الفكرة لأن أبيها أوصاه بالحفاظ عليها وعدم التفريط فيها مهما حصل فهى جوهرة مباركة.

حتى مر عام كامل وهى تستجدى الفتات من الناس لتنفق على أخيها المريض وفى يوم قررت أن تبحث عن عمل، فقالت لأخيه لتأخذ رأيه:

- إذا استمر بنا الحال هكذا سنموت من الجوع، ولقد قررت أن أبحث عن أى عمل يساعدنا على المعيشة، حتى لو أخدم فى البيوت.

فقال لها أخوها "سارى"وقد اشتد به المرض:

- ما هذا الكلام يا أختى، هل يصح بابنة الملوك أن تكون خادمة!

لكنها كانت اتخذت القرار وصممت عليه، فخرجت فى الصباح بعدما قبلت رأس أخيها وكان نائمًا فلم ينتبه لها.

مر النهار ولم تأتى وأخوها يظن أنها نفذت قرارها وخرجت تبحث عن عمل لكنها لم تأتى، فمر اليوم الثانى ولم تعد فاشتد خوفه عليه واشتد به الجوع فتحامل على نفسه وخرج من حجرته وصاح بأعلى صوته ربما يسمعه أحد فينقذه.

****

الطرقات خالية من الناس ، والبلاد غريبة عنها، وهى فتاة صغيرة لا حول لها ولا قوة، سارت وهى دامعة العين تنظر يمينًا ويسارًا لعلها تجد من ينتشلها من عثرتها فقد تركت خلفها أخًا مريضًا لا يقوى على خدمة نفسه وليس عنده من الطعام أوالشراب ما يسد به رمقه.

كانت"سماريدس"فتاة جميلة، نحيلة بعض الشيء، متوسطة الطول، تظهر عليها أثر المعيشة فى بيت الملوك، لكن تبدل حالها منذ أن تركت بلادها وفارقت بيت أبيها حتى قابلها رجل عجوز ولاحظ أنها تبكى وتمسح دموعها بطرف شال كانت تضعه فوق رأسها، فاقترب منها وسألها:

- من أنت أيتها الفتاة؟ وما الذى يبكيك؟

قالت له وهى تمسك بدموع عينها خوفًا من الانهيار أمام الرجل :

- أنا غريبة عن البلاد وانقطعت بى السبل، وأخى مريض فخرجت أبحث عن عمل يساعدنا على قضاء حوائجنا.

فرق الرجل العجوز لحالها، وقال لها:

- لا تبكى يا بنيتى؛ فعندى بنت مريضة، وأحتاج لمن يقوم على خدمتها لأنى تاجر ومشغول دائما عنها.

فرحت"سماريدس"وظنت أنها وجدت العمل المناسب، فقالت له:

- أنا مستعدة لخدمتها، لكنى لابد أن أعود ليلا إلى أخى لأنه مريض ونحن غرباء عن المدينة.

هز العجوز رأسه موافقًا، وأخذ يشير بيده ويقول:

- حسنًا ، حسنًا يا بنيتى، وليس عندى مانع من أن تنقلى أخيك عندنا.

تعاملت معه"سماريدس"بحسن نيتها ونقاء قلبها، فهى لم تخبر الحياة ولم تعرف الأخلاق السئية للبعض، فقد كان الرجل لئيمًا خبيثًا، قاطع طريق ليس لديه بيت ولا بنت مريضة كما ادعى، لكنه عندما شاهدها وحيدة طمع فيها و قرر الفوز بها وبيعها فى سوق الرقيق.

كان بصحبته بعض زبانيته من قطاع الطرق، فحملوا"سماريدس"على الجمل، وهى ما زالت تظن أنه سوف يتوجه بها إلى بيته، لكن بعد مدة من سيرهم فطنت أنهم متوجهون بها خارج المدينة.

فبكت وصرخت وأخذت تلعنهم وتصيح فيهم عندما وجدتهم قاصدين الجبال فهى تعرف أنها مأوى لقطاع الطرق، حتى قالت لهم وهى فوق الجمل:

- هل من النخوة أن تضحكوا على فتاة وحيدة مثلى!

سحقًا لكم من أناس قدت قلوبهم من حديد.

عندما قرروا الحصول على بعض الراحة أنزلوها من فوق الجمل، فقال لها العجوز يهددها، والشرر يتطاير من عينيه:

- ما هذا البكاء يا وجه الشؤم، إن لم تكفى عن البكاء ضربتك حتى أقتلك.

فقالت له وهى تبكى وتحمى رأسها بيدها خوفًا أن يضربها:

- يا عجوز السوء، كيف أعاملك بحسن نية وأنت تخدعنى؟

ضحك العجوز بسخرية عندما سمع كلامها، ثم قال:

- حسن نية ! ما أنت إلا جارية تباع وتشترى، فاصمتى وإلا قطعت لسانك.

و عندما وجدها تنظر إليه بغيظ، وتردد لعنهم، أمسك بسوط وانال عليها ضربًا وهى تتلقى الضربات بيدها لتحمى جسمها ورأسها، لكنه كان رجلا غليظًا فضربها على جسمها و ظهرها، فعلا بكاؤها أكثر عندما تذكرت أخيها المريض، وسقطت أرضًا من شدة الضرب فكف عنها، وقدم لها بعض الخبز فاعفته ولم تمد يدها عليه فقال لها العجوز:

- لقد أثرتى غضبى وغيظى بكلماتك لذلك ضربتك، فاصمتى حتى أرى ما أنا فاعل بك.

و استكملوا رحلتهم وعادت"سماريدس" إلى مكانها فوق الجمل وعندما نهشها الجوع أكلت من الخبز الذى كانت تحتفظ به، استمرت رحلتهم أكثر من أسبوع كامل و هى بين الحزن على حالها والحزن على حالة أخيها المريض الذى تركته ولم تعد تعرف عنه شيء.

عرفت من كلام العجوز مع رجاله أنهم على وشك دخول المدينة فنظر لها الرجل ضاحكًا وقال:

- عندما ندخل المدينة سوف أبيعك لرجل جيد فلا تقلقى.

فنظرت له وهى فى قمة غضبها منه لما فعله معها:

- خير جميل تفعله معى، فقد كرهت النظر إلى وجهك القبيح.

ازدات ضحكات الرجل على كلامها، فقال لها بسخرية:

- يا لك من جارية ناكرة للجميل!

ظهر الشحوب على وجهها وتغير من أثر الحزن وكثرة البكاء وتعب السفر، وبدت أكثر نحولا عن ذى قبل لكنها حتما ستباع طالما وقعت فى يد هذا العجوز الغليظ.

دخلوا سوق المدينة فهبط الجمل بها، وأمسك العجوز بيدها وتوجه ناحية المكان المخصص لتجارة الرقيق، فعرضها على جميع التجار، ويرد على أسئلتهم عن عمرها وأصلها فكان يخبرهم بأنها بالغة تقترب من الثامنة عشر، ذات عقل وجمال، لكن مسيرة شهر كامل أثرت عليها.

حتى تقدم منها تاجر رأى أنها جميلة فأخذ يتطلع لها ويتفحصها بعينيه وقال لها:

- كيف حالك يا بنيتى؟

فرفعت رأسها بعدما كانت تنظر إلى الأرض خجلًا من الوضع الذى صارت فيه فبعدما كانت بنت ملك تأمر فتطاع أصبحت جارية تباع وتشترى كأنها سلعة يتداولها الناس بين أيديهم، ورغم كل ما تمر به لكنها لا تستطيع أن تبوح بحقيقة أمرها وأنها ابنة الملك"برقان" فلن يصدقها أحد بل سيؤدى ذلك إلى السخرية منها وربما اتهمها بعضهم بالجنون، فنظرت ناحية الرجل الذى سألها عن حالها، فوجدته رجلا ذو هيبة ووقار، تظهر على وجهه الطيبة والسماحة، فاستبشرت خيرًا وقالت فى نفسها، أظن أن هذا الرجل جاء ليشترينى وعلى أى حال أفضل من هذا العجوز الظالم، فردت عليه بكل أدب ومنطق، فإعجب التاجر ببلاغتها

وفصاحتها، وجمالها الذى يتوارى خلف الحزن الظاهرفى عينيها فاستبشرخيرًا بها وهو ينوى أن يبيعها لملك المدينة.

ثم التفت إلى العجوز وقال له:

- أنا أشترى منك هذه الجارية، كم تطلب فيها؟

فقال له العجوز الماكر بعدما لاحظ إعجاب التاجر بها:

- يعز على بيعها لما تتمتع به من جمال وأدب، ولكن هذه مهنتى أبيع جارية ولأبحث عن غيرها.

فطن التاجرأن الماكر يريد أن يزيد فى ثمنها، فقال له:

- أنا أدفع لك فيها مائتى دينارمن الذهب.

ضحك العجوز بسخرية وقال للتاجر:

- ماذا تقول يا هذا، لقد كلفنا طعامها فقط مائتى دينار منذ جئت بها، وفرعليك مالك، فلن أبيعها بهذا المبلغ الزهيد.

وكانت هى تنظر للتاجر كأنها تترجاه أن يشتريها مهما كلفه ذلك الأمر من أموال، فظل السجال بينهما على الثمن حتى اتفقا أخيرا على المبلغ المطلوب، فتسلمها التاجر من العجوز ووضع عليها شيئا من ملابسه و مضى بها إلى بيته، وأحسن إليها وطلب من جارية عنده أن تأخذها لتغتسل، ثم قدم لها الطعام والشراب وفى اليوم التالى أخذها إلى السوق واشترى لها بعض الملابس والجواهر.

ثم عاد بها إلى بيته وطلب منها أن ترتدى الملابس التى اشتراها لها من السوق وتتزين وظلت فى بيته أكثر من شهر وهو يهتم بها، وكل يوم تأخذها الجارية لتغتسل وتلبس أفخر الثياب حتى نبتت النضرة على خديها من جديد واستعادت

حسنها و جمالها، ولكن تبقى غصة فى قلبها لفراقها أخيها الأمير"سارى"، لكن ما تفعل وقد فرقت بينهما الحياة فاستسلمت لأمرها لعلهما يجتمعان مرة أخرى.

وفى ظهر أحد الأيام عاد التاجر من السوق، وطلب من جاريته أن تلبس الفتاة أفخر الثياب وتزينها بأجمل زينة وتضع على الجواهر غالية الثمن.

ثم توجه بها إلى قصر الملك وكله أمل أن تكون صفقته الرابحة ويشتريها منه الملك بأغلى الأثمان، عندما وصلا البوابة الخارجية للقصر أخبر التاجر الحراس بسبب قدومه فأُذنه له بالدخول، فسار و"سماريدس"خلفه حتى حديقة القصر،فطلبها منها أن تنتظره، حتى يدخل على الملك ويعرض عليه شراءها.

وقفت"سماريدس"بمفردها فى حديقة القصر فأخذت تتطلع للقصر فتذكرت قصر أبيها الملك"برقان" وأعاد لها ذكريات طفولتها وهى تضحك وتلعب وتلهو مع أخيها وتوأمها"سارى"فترقرقت الدموع فى عينيها، وخرجت منها تنهيدة توجع معها قلبها على الأيام الخوالى حيث رغد العيش ودفء الأهل.

لما دخل التاجر على مجلس الملك، انحنى وقدم التحية، فقال له الملك:

- ماذا وراك أيها التاجر؟ ماذا ستبيع لنا هذه المرة؟

فقال التاجر وهو يتصنع الابتسامة، حتى يقنع الملك ببضاعته:

مولاى الملك المعظم، جئتكم بأعظم هدية، جارية لا مثيل لها فى الجمال والأدب بالإضافة لعلمها ومعرفتها.

فضحك الملك ثم قال للتاجر وهو يشير له بيده:

- أنت ماهر فى عرض بضاعتك أيها التاجر، أين تلك الجارية حتى نحكم على صدق كلامك.

انحنى التاجر برأسه وقال:

- إنها تنتظر فى الخارج يا مولاي.

فأشار الملك لخادمه وأمره أن يعرضها على كبيرة جوارى القصر لتبدى رأيها فيما يقوله التاجر و بعد مرور ساعة عاد الخادم، وانحنى أمام الملك الذى أذن له بالكلام فقال:

- مولاى الملك، كبيرة الجوارى تخبركم بأنها لم تر مثل هذة الجارية فى حسنها وجمالها وعقلها وأدبها وعلمها، حتى قالت عنها بعض الجوارى أن مثلها لابد أنها ملكة من بيت ملوك.

تعجب الملك مما سمعه و كان لم يتزوج من قبل، فقال فى نفسه ربما أرسل لى القدر بهذه الجارية حتى أتزوجها وفتسعدنى وتنسينى همومى و أحزانى، ففى لحظة لم يفكر فيها جيدا لأنه يثق فى رأى كبيرة الجوارى، قال وكلام الملوك لا يرد:

- أشهد جميع حضور مجلسى أنى قد أعتقت هذه الجارية وأنوى الزواج منها والدخول بها الليلة.

وأمر للتاجر بثلاثة أضعاف ثمنها وعينه كبير التجار تكريما لها، فرح التاجر فرحة غامرة وظل يشكر الملك على عطائه الوافر، وأخذ يعدد محاسن الفتاة وأنها تليق بأن تكون زوجة لملك عظيم مثله.

طلب الملك من الخادم أن تعلق الزينات وتقام الأفراح، وأن يأمر كبيرة الجوارى بتجهيز الفتاة للعرس الذى سيقام الليلة داخل القصر، وأن تزينها بأجمل الثياب حتى تليق بكونها أصبحت زوجة ملك المدينة.

نُفذ كل ما أمر به الملك، وفى المساء حضر الوزراء وكبار رجال الدولة إلى القصر ليشهدوا زفاف الملك على الجارية التى اشتراها وقرر الزواج منها.

فأُعدت الولائم ورقصت الجوارى والكل كان فى سعادة وسرور.

وبعدما انتهى الحفل، صاحبت الجوارى زوجة الملك إلى غرفتها، التى كانت فى أبهى زينتها وجمالها، فجلست على طرف السرير تنتظر مجىء الملك.

****

عندما نفذ الملك "ميمون أبا نوخ"كل ما طلبته منه أمه"دنهش" وأحضر لها أربع بنات من أجمل فتيات بنى جنسهم، فزينتهم بأجمل الثياب وأثمن الجواهر، وارتدت هى ملابس تدل على الوقاروالمعرفة وغيرت من هيئتها وشكلها حتى لا يتعرف عليها أحد، وسافرت قاصدة مملكة"أقناموس" وقصر الملك"برقان".

بعد عدة أيام كانت على مشارف المملكة، ثم وصلت قصر الملك وطلبت من الحراس السماح لها بالمثول بين يدى الملك لأمر هام ، فرفض الحراس طلبها لكن مع إلحاحها المتواصل، دخل الحارس على الملك ليخبره بأمر تلك العجوز، فسأله الملك قائلًا:

- وماذا تريد تلك العجوز التى تحكى عنها؟!

انحنى الحارس برأسه أمام الملك"برقان"وقال له:

- لا أعرف يا مولاى الملك، حاولنا كثيرًا معها، لكنها تلح فى طلبها وتقول أنا تريد مقابلة الملك فى أمر هام.

فظن الملك أنها ربما تعرف شيئا عن ولديه"سارى"و"سماريدس" فسمح لها بالدخول عليه، وما أن دخلت تصنعت الورع والزهد وانحنت وقدمت التحية للملك وخلفها الجوارى الأربعة فعلن مثلها وقد غطت ملابسهن وجوههن، فقالت العجوز:

- أيها الملك المعظم، لقد جئتك بأربع جوارى تعلمن منى قراءة الطالع ومعرفة الفلك والنجوم، وفضلتك عن سائر الملوك والأمراء ، لكن عليهن حكمًا من رجال الغيب، وأخاف أن أموت قبل أن ينفذ هذا الحكم فيضيع علمهن ويذهب تعبى معهن هباء.

تعجب الملك من كلامها، وعندما لاحظت أنه ينظر إلى الجوارى، أشارت لهن بيدها فكشفن وجوههن، لأنها تعلم أن الملك"برقان" مولعٌ بالجوارى الجميلات، فافتتن الملك بحسنهن وجمالهن، وقال لها وهو ما زال ينظر للجوارى:

- وكيف ينفذ هذا الحكم أيتها العجوز؟

فقالت العجوز بخبث:

- يا مولاى الملك، هن بنات أبكار أقر رجال الغيب بأنهن أجمل بنات الأرض، ولابد أن يشرب أحد الملوك كأس من شراب التوت الممزوج بريقهن كل ليلة جمعة لمدة شهر كامل، وفى نهاية الشهر ينتهى الحكم ويصرن ملك يمين الملك يتصرف فيهن كما يشاء.

تعجب الملك من كلامها ، فنظرلوزير الواقف بجواره، ثم قال للعجوز:

- وما فائدة كل هذا؟!

قالت العجوز الماكرة:

- لو شربت من المنقوع الممزوج بشهد ريقهن كل ليلة جمعة كما أخبرتك سترى عافية فى بدنك، ويزول همك، وتسمع خبر يسعدك، وتحوز كنوز الأرض، ويزيد عمرك.

تعجب الملك"برقان" من كلامها، فأردفت قائلة وهى تشير لكأس شراب فى يده:

- تأخذ منى كل ليلة ثلاثاء كأس من الشراب، تعتقه إلى ليلة الجمعة، تشربه بعد أن تخرج من حمامك، وتدخل خلوة لا تعاشر فيها النساء، ولا تخرج منها إلا يوم الاثنين التالى، وهكذا حتى آخر الشهر.

ظل الملك ينظرها وبدا عليه أنه يفكر فى الأمر، ثم قال:

- لا بأس، لن نخسر شيئا ، ولكن سيكون عقابك شديد إن مر الشهر دون حدوث أى شىء مما أخبرتنى به.

انحنت العجوز للملك، ثم قالت:

- مولاى الملك، اطمئن؛ فأنا فضلتك على كل الملوك والأمراء لأنى أعرف مكانتك بينهم.

أمر لهم الملك بقصر فخم للإقامة فيه حتى ينتهى الشهر، وخصص بعض الخدم والجوارى لخدمتهم، فقالت له العجوز:

- والآن مولاى الملك، سوف أخرج إلى خلوتى بالجبل حتى أناجى رجال الغيب، وأحضر لك يوم الاثنين ومعى الشراب المطلوب فيظل عندك لتشرب منه ليلة الجمعة.

فى اليوم المتفق عليه جاءت العجوز"دنهش"بالشراب المطلوب فتناوله للملك، وكان قد جهز خلوة فى القصر لا يدخلها غيره، وعادت هى للجبل بعد أن أكدت عليه كلامها مرة أخرى، وفى ليله الجمعة، دخل الملك"برقان"خلوته واغتسل وصعد إلى سريره ثم أمسك بالكأس وشرب منه فراح فى سبات عميق.

****

تجمع الناس على صيحة"سارى" الذى وقف يستند على جدار الغرفة ، فطلب منهم أن يساعدوه حتى يصل إلى السوق لعله يجد أخته "سماريدس" فساعده رجل وعهد به إلى صاحب عربة حملته إلى السوق وعندما وصل هناك ساعده الرجل وأنزله بجوار بعض التجار، فطلب منهم "سارى"طعام لأنه جائع وليس معه أموال، فجاءوا له ببعض الطعام وأعطوه القليل من المال.

جلس"سارى" فى ركن داخل السوق وافترش الأرض وبدأ يأكل من الطعام الذى أخذه من الناس، وكان هناك رجل يراقبه من بعيد، فرق لحاله فاقترب منه وجلس بجواره وقال له:

- من أنت يا بنى؟ وأين أهلك؟ ولماذا تركوك هكذا ؟

نظر له"سارى"بعينه الذابلة، وقال:

- أنا"سارى"ابن .....

لم يكن لى إلا أخت واحدة خرجت تبحث لنا عن طعام ولم تعد إلى الآن.

أحس الرجل أن وراء هذا الفتى سر كبير ولا يريد أن يفصح عن حقيقته ، فربت على ظهره وقال له:

- هل تمانع يا بنى أن تأتى معى حتى تعود أختك؟

رفع"سارى"رأسه وكان منهمكًا فى الأكل لشدة جوعه، فقال للرجل والدموع تترقرق فى عينيه حتى سقطت منها دمعة على الخبز الموجود أمامه:

- أكون شاكرًا لمعروفك أيها الرجل الكريم.

أنهى"سارى"كلامه وانكب على يد الرجل ليقبلها، إلا أن الرجل جذبها بسرعة وقد أثرت فيه حالة"سارى"أشد الأثر، فساعده حتى وقف على قدميه، وأخذه معه إلى بيته، وكان الرجل تاجرًا ميسور الحال، كان بيته واسعًا تحيط به حديقة كبيرة، ظل"سارى"يتطلع للبيت ويتفحصه، حتى استقبله الخادم فأمره التاجر بمساعدة الفتى حتى يغتسل ويبدل ثيابه حتى تجهز له الجارية الطعام والشراب.

بعد أن فرغ"سارى"من تناول طعامه، أخبره الخادم بأن سيده ينتظره فى صالة البيت، ساعده الخادم حتى أوصله إلى التاجرالذى استقبله وهو يبتسم فأخذ بيده وأجلسه بجواره، وظل يُسرى عنه فحكى له عن المواقف والنوادر التى حدثت معه أثناء سفره للتجارة.

أحب"سارى"طريقة التاجر الشيقة فى قص الحكايات و النوادر، واستنتج التاجر أن"سارى"من أصل طيب و عائلة كريمة، لكن جار عليه الزمن فلم يشأ أن يسأله عن حكايته حتى يشفى تمامًا، و يقص حكايته من غير أن يلح عليه فى السؤال.

اقترب الليل من نصفه، فاستدعى التاجرخادمه وأمره قائلا:

- هذا الفتى فى منزلة ابنى، فلا تعصى له أمرًا ولا تؤخر له طلبًا وعليك بالعناية والاهتمام به حتى يستعيد عافيته.

هز الخادم رأسه بالموافقة وانحنى لسيده ثم انصرف، بينما كان"سارى" ينظر للتاجر وظل يشكره بعينيه قبل أن ينطق لسانه بكلمة شكر،فشعر التاجربما يكابده.

فربت على كتفه وقال:

- يابنى، أنا لم أرزق بولد، وقد لمست فيك الأصل الطيب، فسوف تظل معى على الرحب والسعة، حتى تعود أختك وإن أردت أن تبحث عنها فسوف أساعدك؛ لكن عليك الآن الاهتمام بصحتك.

زاد اهتمام الخادم بـ"سارى" بعد أمر سيده، فكان يساعده يوميا فى أن يغتسل ويبدل ثيابه وحلق له رأسه، فبدأت نتيجة الاهتمام المتواصل من الخادم تظهر على وجه "سارى" و بدأت العافيه تعود إليه بعض الشىء.

و كان التاجر يسهر مع"سارى"كل ليلة بعدما يعود من السوق فيتناول معه طعام العشاء ثم يجلسان فيحكى له التاجر بعض الحكايات والنوادر شيئا فشيئا بدأ"سارى" يشعر ببعض التحسن فى بدنه، وبدأ يحدث التاجر عن أخته وعن نيته البحث عنها.

فوافقه التاجر فى رأيه و وعده أنه سيأخذه معه فى الصباح إلى السوق حتى يسأل التجار عن أخته الغائبة.

وفى الصباح خرج"سارى"بصحبة التاجر، وبحثا عن أخته فى كل مكان وسألا كل التجار فلم يعثرا عليها ولم يخرجا عنها بخبر إلا من شخص قال لما عرف أوصافها أنها سافرت مع قافلة إلى المدينة التى كانت على بعد ستة أيام، فصمم"سارى"على السفر والبحث عن أخته، فأخبره التاجر أنه مسافر قريبا إلى المدينة بقافلة تجارة و سيصحبه معه ولن يدعه يسافر بمفرده، لأن السفر إلى المدينة لا يكون إلا بركوب البحر.

****

لم تكن"سماريدس" تعلم أن من أعتقها وتزوجها هو نفسه أخوها الملك "ساران" فهى منذ ولادتها وأبيها يخفيها عن العيون، فلم تر أخيها"ساران" من قبل كما أنها منذ وصلت المدينة لم يُذكر اسمه أمامها ، وهوأيضا لم يرها من قبل وحتى بعدما تم خطفها أرسل له والده الملك"برقان" بذلك ، وقتها حزن لحزن أبيه لكن فى نفس الوقت فرح عندما علم أنه لن ينازعه أحد فى الملك.

ويوم العرس عندما دخل عليها كانت تجلس على سريرها الكبير وقد طُرحت عليه ستارة ، كشف"ساران"الستارة التى تفصله عنها وعندما انحنى واقترب منها ليقبلها وجد فى عنقها الجوهرة المباركة التى أخذ مثلها من والده الملك"برقان"فعدل جسمه واقفًا وقال لها:

- من أين لك بتلك الجوهرة يا جارية؟

أغضبتها نبرة صوته الآمرة، فهبت واقفة وقالت له:

- أنا لست بجارية ، أنا سيدتك وسيدة كل من فى القصر، أنا ملكة بنت ملك وأخت ملوك

قال لها:

- ما هذا الكلام الذى أسمعه؟!

قالت وهى تبكى وبدأت الدموع تتساقط على وجنتيها:

- أنا ابنة الملك"برقان"،وإخوتى"ساران"و "سارى"

عندما سمع"ساران"هذا الكلام ، ارتجف قلبه، وسقط على ركبتيه و وضع رأسه بينهما ، وأعاد عليها السؤال دون أن يعرفها بنفسه وقال:

- هل أنت حقًا "سمادريدس" بنت الملك "برقان"؟

فقالت كبرياء وثقة:

- نعم ، أنا بنت الملك "برقان".

قال لها حتى يتأكد:

- وما سبب فراقك لأبيك؟وكيف صرت جارية؟

فأخبرته بكل ما حدث معها منذ فارقت والدها حتى تركت أخيها "سارى" مريضًا،حتى وقعت فى أيدى تاجر من التجار باعها له.

لما سمع "ساران" كلامها وتحقق من صدق حديثها، انهار فى البكاء وقال:

- يا ويلى ، كيف أتزوج من أختى !

أنا ابن الملك "برقان"؛أخوكى الكبير "ساران".

لما سمعت كلامه نظرت إليه تتفحصه، ثم بكت وظلت تلطم وجهها

فقال لها:

- هونى عليك يا أختاه، أنا فى الحال سأرسل رسالة لأبى الملك أبشره بأنى عثرت عليك، وأنك الآن فى أمان عندى.

ارتدى "ساران" ملابسه، ونادى على الجوارى و أمرهن أن يقمن على خدمة أخته ورعايتها، حتى يرسلها لأبيها الملك.

وفى الصباح أقيمت الأفراح فى المدينة، تكريما لعودة أخته "سماريدس" بعدما افترقا لمدة خمس سنوات، لاقت فيهم العذاب هى وأخيها "سارى" التى لا تعرف عنه شيئا، وعندما تذكرت أنها تركته وهو مريض فطلبت من أخيها الملك "ساران" أن يرسل من يبحث عنه ويعود به.

وطار رسول"ساران"برسالة إلى والده الملك"برقان"، و وعد أخته بالبحث عن أخيها المريض الغائب الذى لا يعرفون من أخباره شيئا.

وكان الملك"برقان" قد شعر بقوة فى بدنه، بعدما شرب الكأس الأول فبدأ يصدق كلام العجوز، ويوم الاثنين جاءت له بالكأس الثانى ففعل به كما فعل مع الأول وهى تخرج للجبل تناجى رجال الغيب وتتواصل معهم كما قالت له.

وبينما كانت عنده أخبرته أنها اتصلت برجال الغيب وأنهم يجهزون مفاجأة للملك، ففرح فرحا شديدًا وكله أمل أن يتحقق ما بشرته به و رجاء أن يعود إليه ابنه"سارى"وابنته "سماريدس"، فقد صار يعتقد فى كلام العجوز كل الاعتقاد ويصدقها كل التصديق، وعندما أقبل البشير برسالة"ساران" إلى والده الملك"برقان" وكان قد فرغ من الكأس الثانى وترك خلوة فى انتظارالعجوز لتقدم له الكأس الثالث.

خبر العثور على ابنته وأنها فى أمان عند أخيها زاده تصديق لكل كلام العجوز و قرر تنفيذ كل ما تطلبه منه عسى أن تتحق البشرى فى العثور على ولده الغائب"سارى".

وعندما عادت العجوز من خلوتها، استقبلها الملك وهو باسم الوجه وقال:

- أهلا بك يا وجه الخير

فتعجبت العجوز عندما وجدت الملك فى قمة سعادته، فسألته قائلة:

- ماذا حدث أيها الملك المعظم؟!

فقال الملك وهو يشير للخادم بأن يأتى للعجوز بكأس من الشراب:

- لقد عثر ابنى "ساران"على أخته الغائبة عنا منذ خمس سنوات.

فرحت العجوز الماكرة وأيقنت بأنها أخيرًا سوف تصل لهدفها الكبير وقريبًا سوف تكون"سماريدس"فى قبضتها، حتى تنتقم من الملك "برقان"وأولاده، وتعيد القوة إلى بنى جنسها.

فقالت بدهاء وخبث:

- لقد تحقق كلام رجال الغيب وأنهم لم يكذبوا حينما أخبرونى بأنهم يجهزون مفاجأة للملك المعظم"برقان".

قال لها الملك"برقان"و هو مازال فى نشوة السعادة بالعثور على ابنته:

- لقد كنتُ فى البداية لا أصدقك، لكن الآن أنا صرتُ أصدق كل كلمة تصدر منك، وأريد مكافأتك وسوف أحقق لك أى طلب تطلبيه.

انحنت العجوز تحية للملك وقالت:

- ليس لى أى طلبات يا جلالة الملك، لكن هل يسمح الملك فى يطلب من ابنه الأمير"ساران"أن يسرع بإرسال الأميرة"سماريدس" حتى يتحقق الجميع من صدق رجال الغيب.

أثنى الملك على زهدها عندما رفضت أن تطلب شيء لنفسها، وأخبرها بأن الأميرة"سماريدس"فى طريقها الآن لمملكة"أقناموس".

****

صحب"سارى" التاجر إلى مدينة "زغدانة"، التى كان يأمل أن يجد فيها أخته التى خرجت وتركته ولم تعد إلى الآن رغم مرور مدة طويلة على غيابها.

طول رحلة السفر والتاجر لم يفارق الأمير"سارى" فقد صار يخاف عليه كأنه ولده، وقد شعر"سارى"بذلك فأصبح يكن للتاجر كل احترام وتقدير، لأنه أنقذه من الموت مريضًا جائعًا.

وصل"سارى" ومعه التاجر الأمين إلى مدينة"زغدانة" وظلوا بها ثلاثة أيام وبحثوا فى كل مكان وسألوا كل من قابلوه عن أخته"سماريدس" فلم يعثر لها على خبر، فقرر العودة بحرًا إلى مملكة "أقناموس" ليحكى لوالده الملك"برقان"ما حدث معه ويطلب منه الاسراع فى البحث عن "سماريدس" التى كان يتمنى أن يدخلا سويا على أبيهما فيزداد بهم فرح وسعادة.

كان السفر إلى "أقناموس"بركوب البحر، فتوجه"سارى"ومعه التاجر الذى كان يرفض أن يتركه بمفرده حتى يطمئن عليه، فعهد بتجارته لبعض الأشخاص فى سوق مدينة "زغدانة"حتى يسافر مع"سارى"إلى مملكة"أقناموس".

توجها ناحية البحر حتى يبحثان عن مركب تقلهما إلى المملكة، وأثناء سيرهم على الشاطىء لفت نظر"سارى"ضفيرتين من الشعر ملقيان على الرمال بالقرب من البحر، فتذكر أخته حتى غمره أحساس غريب بأن هذا الشعر يخص أخته"سماريدس".

فسأل بعض الصيادين فأخبروه بأن هذا الشعر يخص جارية جميلة كانت مع بعض التجار وكانت تقاومهم كأنها لا تريد الذهاب معهم، فقاموا بضربها بقسوة وقاوموا بقص شعرها عقابًا لها، وعندما حاولنا التدخل لانقاذها، نهرونا وقالوا هذه جاريتنا اشتريناها بأموالنا ولنا الحق فى تأديبها كما نشاء.

شعر"سارى"بغصة فى قلبه، لأنه بدأ يشعر أن بتلك الجارية التى تحدث الصياديون عنها ربما تكون أخته فعلا واختطفها بعض قطاع الطرق.

أخبر"سارى"التاجر بما أحسه عند رؤيته لضفيرة الشعر الملاقاة على ساحل البحر، فطمأنه التاجر أنها مجرد تخيلات وأوهام، وأن أخته لم يصبها أذى وربما يكون هذا الشعر لجارية أخرى كما أخبرهم الصياديون.

صعد"سارى" والتاجر إلى المركب التى ستنقلهم إلى مملكة" أقناموس" فشعر"سارى"بضيقًا فى نفسه وعظم عليه الظلم الذى تعرض له هو أخته وتداولهم فى أيدى النخاسين والتجار.

فأراد الانفراد بنفسه فى مكان عند مقدمة المركب، وبدأ يتشاغل بمشاهدة الماء فى الظلام ، وكان نظره يقع كل مدة على المراكب التى تمر بهم جهة اليمين أوجهة اليسار وتفكيره مازال يدور فى فلك البحث عن أخته، أعجبه صوت الملاحين وغناؤهم إلى أن مرت بهم مركب لم يسمع فيها صوتًا ولم يعلم بوجودها إلا من نور ضعيف كان معلقًا على ساريتها، وبعد ما بعدت عنهم أمتار قليلة سمع صحية ورأى شبحًا وقع فى الماء، فحدثته نفسه أن هذا شخصا ألقاه أحدهم فى الماء.

فانقبض قلبه بشدة وصاح على التاجر ثم ألقى نفسه فى الماء خلف الغريق، فصرخ فيه التاجر وانزعج كل من فى المركب، وظن التاجرأن "سارى"أقدم على الإنتحار تخلصا من حياته التى لم ير فيها إلا العذاب.

لكن فجأة ظهر"سارى"على سطح الماء وهو يجر بين يديه غريقًا فانتفض جميع من فى المركب وألقى له الملاح حبلًا ليساعده، فتشبث به "سارى"وجذبه التاجر ومن معه وساعدوهم حتى صعدوا إلى المركب.

كان"سارى"يتنفس بصعوبة من المجهود الذى بذله فى السباحة، فجلس يلتقط أنفاسه وهذا الغريق بجواره منكبًا على وجهه.

عمل التاجر على إفاقة"سارى"وتهدئته، بينما انشغل الملاحون فى معالجة الغريق ومعرفة ما إن كان على قيد الحياة أم فارقها.

وكان شعر الغريق مقصوصًا، فصاحوا جميعا:

- إنها الفتاة التى رأيناها على الشاطىء وقام من معها بقص شعرها.

انتبه"سارى"لصيحة الملاحين، وانكب على وجهها يتفحصه، فعرف أن الغريق الذى أنقذه ما هوإلا أخته"سماريدس".

فبدأ يتضغط على صدرها وهو يأمل فى أن تعود للحياة، حتى انتفضت وخرج الماء من فمها، فانفرجت أسارير وجهه بالبشرى وظل يضحك ويبكى وكان فى حالة من الجنون بالعثورعلى أخته"سماريدس".

أسندها حتى جلست وهى مذهولة نتظر إليه وتمسح بيدها على وجهه وتبتسم لكنها لا تستطيع الكلام.

فأسعفها التاجر ببعض الماء،وجاء الملاح ببعض الطعام، فأكلت وشربت واستعادت وعيها الكامل.

ثم ألقت بنفسها فى أحضان أخيها وهى تبكى وأخيها يمسح على رأسها ويهدئها، والتاجر ومن معه فى غاية الدهشة مما حدث، جلس"سارى" وأخته فى مقدمة المركب وأخذت تحكى له ما حدث لها منذ أن فارقته فى الخان وهو مريض، ووقوعها فى أيدى العجوز الخبيث وبيعه لها كجاريه لتاجر آخر، حتى اشتراها أخيها "ساران"الذى هو نفسه ملك "زغدانة"من التاجر وكاد أن يتزوجها و يدخل بها إلا أنه اكتشف حقيقتها فى آخر لحظة.

وأن"ساران " أرسل إلى والدهم الملك"برقان" يبشره بالعثور على "سماريدس" فأمر الملك بسرعة إرسالها إليه حتى تقر عينه برؤيتها.

فأسرع أخوها"ساران" بتجهيز موكب لها وإرسالها للملك، وبالفعل سافرت"سماريدس"يحرسها أربعة من الرجال، وبعد خروجهم من قصر "ساران"بزغدانة بثلاثة أيام تكالب عليهم قطاع الطرق وقتلوا ما معها من الرجال وأخذوها عنوة، لكنها ظلت تقاومهم وتلعنهم وتقول لهم حقيقتها لكنهم لم يصدقوها وانهالوا عليها ضربًا وتعنيفًا ولما لم تسكت عنهم قصوا شعرها وهددوها بإلقاءها فى البحر.

قال لها أخوها وهو ينظرلها بكل حب وود وخوف:

- لا تخافى، نجوتِ من القوم الظالمين.

ثم بدأ يروى حكايته لها منذ تركته وهو مريض، وأن التاجر وجده ملقى فى السوق لا حول له ولا قوة، فأخذه بيته وأكرمه واهتم به حتى اشتد عوده وقوى ساعده، فقرر البحث عنها و لم يتركه التاجر منذ وقتها، وأنهما بحثا عنها فى"زغدانة "و لما لم يعثرا عليها، قررا السفر إلى مملكة"أقناموس"إلى والدهم الملك"برقان".

وحدثها عن رؤيته للشعر المقصوص وإحساسه بأنه يخصها حتى صعد المركب ورأى ما كان من الذين ألقوها فى البحر فألقى بنفسه خلفها وأنقذها.

****

أحضرت العجوز الكأس الثالث للملك، الذى سعد كثيرًا بعثور ابنه "ساران"على أخته، وهى الآن فى طريقها إلى مملكة" أقناموس"، حتى تسعد أمها "مِيرة" برؤيتها، فناولته العجوز الشراب الثالث كالعادة يوم الاثنين وطلبت منه إلا يشرب منه إلا ليلة الجمعة.

ثم قالت للملك:

- أيها الملك المعظم، لقد تحدثت أثناء خلوتى مع رجال الغيب وأخبرونى أنك ستنتصر على عدوك وتملك الأرض شمالًا وجنوبًا.

فرح الملك بقولها، فقد بات يؤمن بكلامها، بعدما صدقت فى موضوع ابنته، أخذ الشراب منها وفى ليلة الجمعة دخل حمامه واغتسل وتناول الشراب ودخل الخلوة التى يبقى فيها من ليلة الجمعة إلى يوم الاثنين التالى لايخرج منها ولا يدخل عليه أحد.

بينما العجوز تركته كالعادة وصعدت الجبل بحجة أنها تدخل خلوة تنظر فيها للنجوم وتحسب الفلك وتناجى رجال الغيب.

حتى جاء يوم الاثنين وخرج الملك من خلوته ،جاءت الماكرة بالكأس المملوء بشراب التوت وعليه شهد من ريق العذراى، تسلمه منها الملك وهو سعيد؛ فقالت له:

- أيها الملك، هذا آخر كأس شراب لك منى ستشربه مع أخر ليلة جمعة فى الشهر وبعده ستكون الجوارى هدية لك تصنع بهن ما تشاء، لكن يجب على

أخذهن معى هذة المرة حتى أغسلهن بماء الورد فيطبن لك ويكن تحت أمرك طول عمرك الذى سيزيد خمسون سنة من الآن.

قال لها الملك:

- ومتى تخرجين بهم للجبل؟

قالت:

- عندما تدخل أنت خلوتك ليلة الجمعة، أكون أنا فى طريقى للجبل وهن معى، لعلهن يعدن إليك ومعهن البركات وكنز من كنوز الدنيا يساعدك فى التجهيز لقتال عدوك.

ثم نظرت للملك بمكر وخبث وقالت:

- لو كان عندك أحد تريده أن يحصل على البركات ويغتسل بماء الورد حتى يسعد بالبشرى أرسله معى.

فتذكر الملك زوجته"ميرة" وما حدث لها فى فقد ولديها، وحالتها السئية التى تحسنت بعض الشىء بعدما وصل لها خبر العثور على ابنتها لكنها ما تزال تأمل فى عودة ابنها الغائب"سارى"، فقال لها الملك:

- عندى جاريتى وزوجتى" ميرة " خذيها معك لعل حالتها تتحسن قبل وصول ابنتها من السفر.

أحست الماكرة بنشوة وأنها وصلت لغرضها فقالت:

- على الرحب والسعة يا ولدى، أطلب منها أن تستعد للخروج معنا ليلة الجمعة القادمة.

جاءت آخر ليلة جمعة فى الشهر، فنفذ الملك "برقان" كل ما طلبته منه العجوز الماكرة واغتسل ودخل خلوته، بعدما ودع زوجته التى ستذهب مع العجوز والجوارى إلى الجبل على أن يعودوا جميعا بعد ثلاثة أيام.

بعدما دخل الملك الخلوة وشرب الكأس الرابعة ونام على أمل أن يحدث له كل ما أخبره به العجوز الماكرة، لكن مرت الثلاثة أيام ولم يخرج الملك من خلوته كالعادة ولم تعُد العجوز بالجوارى وزوجته الملك.

أدى غياب الملك لقلق الوزير "يوشهور" لكنه فضل الانتظار ليوم أخر حتى لا يغضب الملك باقتحام خلوته، لكن مر اليوم الرابع ولم يخرج الملك، فذهب الوزير إلى مكان الخلوة ونادى بأعلى صوته حتى يسمعه الملك فلم يرد عليه أحد، هنا تملك القلق من الوزير، وأمر الحرس بكسر الباب واقتحام خلوة الملك.

وما أن دخلوا من الباب حتى استقبلتهم رائحة نتنة صادرة من اتجاه السرير الذى يرقد عليه الملك، أخذوا فى تقليبه فوجوده ميتًا منذ مدة اقشعر بدن الوزير من المنظروطلب بسرعة تجهيز الملك للدفن.

خرج الوزير من حجرة الملك، فأتاه رجل من الحراس بورقة أخبره أنهم وجدوها فى غطاء كأس الملك، تناول الوزير الورقة وبعدما قرأ ما فيها، قال:

- يا لك من عجوز ماكرة!

****

كانت المركب اقتربت من شاطىء مملكة" أقناموس"حيث يتواجد الملك "برقان" وما أن شاهد"سارى"بيوت ومنازل المملكة حتى شعر بأن النسيم يملأ رئتيه وشعر ببعض الأمان والطمأنينة لوجوده فى مملكة أبيه وأجداده.

نزل الجميع من المركب، فشكر"سارى"الملاحين على حسن صنيعهم معه وحمل بعض الأمتعة التى كانت معه هو والتاجر وتوجه تلقاء المدينة ويده فى يد أخته العزيزة"سماريدس".

على مرمى البصر ظهر فى الأفق شىء كأنه معسكر للجيش، وجنود وحراس، فقصد إليه"سارى"وطلب من الجنود أن يأخذوه إلى قائد المعسكر لأن لديه بعض الأخبار المهمة.

أسرع الحراس باصطحابه ومن معه ولم يتعرفوا عليه لمرور الكثير من السنوات منذ أن فارق"أقناموس"سار الحارس حتى وصل إلى خيمة كبيرة وطلب منهم الانتظار، ثم عاد وسمح له بالدخول، وما أن رأى "سارى" الرجل الجالس فى الخيمة حتى عرف أنه الوزير الحكيم "يوشهور"بلحيته البيضاء فاقبل عليه مبتسمًا وقال له:

- مرحبًا بالوزير الحكيم والوالد الكبير"يوشهور".

تعجب الوزير من كلامه، ومن منظره وهيئته الرثة؛ فقال له:

- من أنت يا هذا؟ وماذا تريد؟ وما الأخبار الهامة التى تحدثت عنها للحارس؟

ضحك"سارى"لكلام الوزير، وقال له:

- أما زلت لا تعرفينى أيها الوزير الفطن! أنا "سارى" ابن الملك الذى اختطف من ما يقرب من خمس سنوات، ومعى أختى"سماريدس" تنتظر بخارج الخيمة.

عندما سمع الوزير الحكيم هذا الكلام حتى هب واقفًا، و رحب به أشد الترحيب وأمر بدخول الأميرة "سماريدس"، وما أن دخلت عليه فأسرع نحوها ورحب بها ، وجلس الجميع و معهم التاجر بداخل الخيمة بعد أن أمر لهم الوزير بأطيب الطعام والشراب.

سأل"سارى" الوزير عن حالة والده الملك"برقان"منذ تم خطفهم ، فحزن الوزير عندما ذكرت سيرة الملك"برقان"وتنهد وقال بكل ألم وحزن:

- إن الملك"برقان"قد مات، وما مات إلا مسمومًا.

ذهل"سارى"وأخته مما قاله الوزير وأخذا فى البكاء الشديد حزنًا على فراق والدهم الراحل، فطيب الوزير خاطرهما، وما أن سكت البكاء عن "سارى"حتى طلب من الوزير أن يحكى له ما حدث منذ واقعة اختفائهم، فتنهد الوزير حزنًا وزفر ألمًا ثم قال:

- بعدما انتهت رحلة الصيد وعاد الملك إلى القصر وكان يظن أنكم فى أخر الركب، سأل عنكما فلم يحفل بجواب شافٍ، فأخذ يعنف الحراس واتهمهم بالتقصير فى حراستكما، بل وصل به الحال أنه أمر بقتل البعض وسجن البعض جزاءً لتقصيرهم.

ثم أضاف الوزير الحكيم "يوشهور" قائلا:

- وكان من ضمن الذين تم حبسهم ابن عمكم الأمير "سواتن" لاعتقاد الملك أن يكون له يد فى مسألة اختفائكم، وقضى الملك الأيام يستخبر عندكم فلم يخبره أحد شيئا عندكما.

ومر عام وراء عام، حتى جاءت إلينا عجوزماكرة وادعت أنها على معرفة بعلوم الغيب وكان معها أربع بنات جميلات أسرن قلب والدكم وأخبرته أن الجوارى ملكه بعد انقضاء شهر يشرب فيه كأس من شراب التوت مخلوط بريق البنات الحسان كل ليلة جمعة، لأن هذا حكم من رجال الغيب عليهن، وفى الأسبوع الثانى جاءت رسالة من الملك "ساران" تفيد بعثوره على الأميرة "سماريدس" ففرح الملك كثيرًا وزاد تصديقه للعجوز فأغدق عليها الأموال والجواهر ومع أخر كأس أعدته العجوز لوالدك صعدت العجوز إلى الجبال بصحبة البنات ومعهن "ميرة" والدتكما بحجة حصولها على البركة فى وجودها فى الخلوة مع العجوز.

نظر "سارى" لأخته وهو غير مصدق ما حدث، وطلب من الوزير أن يكمل فقال:

- فلما انتهت أيام الخلوة بعد أن شرب الملك "برقان" الكأس الأخيرة أنتظرنا أن يخرج كالعادة فلم يخرج، حتى مر يوم والثانى فقلقنا عليه وفتحنا باب غرفته عنوة، فوجدناه قد فارق الحياة ووجدنا ورقة ملصوقة بغطاء الكأس مكتوب عليها كلام فهمنا منه.

أن العجوز ما هى إلا الداهية الماكرة"دنهش"التى يطلق عليها "نائلة أم الشعور المائلة".

قال"سارى"للوزير، على مسمع من أخته"سماريدس":

- وأين تلك الورقة؟وماذا كتب فيها؟

أخرج الوزير الحكيم الورقة من جيبه وأعطاها لـ"سارى"الذى بدأ يقرأها بصوت مسموع حتى تعرف أخته فحوى الرسالة:

- من الملكة"دنهش"إلى بنى جلدتكم وكل جنسكم:

لقد قتلنا الملك، وهذا جزاء كل من يتجرأ على بنى جنسنا، لقد أسقيناه كأس الردى وعدنا إلى أرضنا ومعنا"ميرة" بنت الملك"مُرة الأحمر" التى أنجب منها الملك عنوة، ثم قتل العزيزة"سيلين"بعدما وثقت بابنه "ساران"وتركت عشيرتها وبنى جنسها وأتت إليكم، فخنتم العهد، لذلك لن يهدأ لنا جفن ولن يرتاح لنا طرف حتى ننتقم منكم جميعا ونقتل "سماريدس" ونشرب من دمائها الساخنة حتى نعود أقوى مما كنا، بعدما أضعفنا الملك بفعلته، وبالفعل بدأنا فى ذلك وهى الآن فى قبضتنا بعدما علمنا بأنها الآن فى الطريق إلى والدها.

الملكة المقدسة"دنهش"

تعجب"سارى"من محتوى الرسالة، ولم يفهم ما علاقة"سماريدس"بما حدث من والده الملك الراحل أومن أخية الملك"ساران"، فسأل الوزير عن ذلك، فأخبره الوزير بأنه لا يعرف سبب رغبتهم فى قتل الأميرة "سماريدس"؛ لكنه حذره من التهوان ولا بد أن نشدد الحراسة على الأميرة لأن حياتها فى خطر كما تقوم الرسالة.

قالت"سماريدس"التى كانت تتابع الحوار بين أخيها والوزير:

- إذن من قاموا بخطفى و إلقائى فى البحر وقتل رجال أخى "ساران"هم أتباع هذه الماكرة، وكانوا يريدونى أخذى معهم لكن مقاومتى وخوفهم من المراكب السائرة فى البحر شوش تفكيرهم فأسرعوا بالقائى فى البحر حتى يتخلصوا منى.

قال الوزير الحكيم وهو يرج لحيته الكبيرة، كأنه تذكر أمرًا ما:

- بعد موت الملك"برقان"اختلف الناس فيمن يتولى أمور الملك و شئون المملكة، حتى وقع القتل بين الناس لكن منعهم الأكابر و الأشراف ، واستغل ابن عمكم المحبوس"سواتن"موت الملك فأغرى بعض حراس السجن بمناصب كبيرة إن تركوه يخرج وبالفعل خرج وفرح جدًا فى موت الملك، وطلب منا أن ننصبه ملك علينا لكن كان الرأى أن نسير ونقصد"زغدانة"ونجىء بالملك"ساران"وننصبه ملكًا علينا خلفًا لأبيه الراحل"برقان".

قال"سارى"موجهًا كلامه للوزير:

- وماذا صنعتم مع"سواتن"؟

قال الوزير الحكيم:

- لقد هرب خارج المملكة عندما علم بما ننوى بفعله وتنصيب الأمير"ساران"ملكًا خلفًا لوالده الراحل.

تذكر"سارى"كل ما جرى له ولأخته و والده فبكى و أبكى أخته، فقال له الوزير:

- إن البكاء لن يجدى ولن يفيد، ولابد أن تقوى قلبك وتشحذ عزيمتك وتستعد لقتال الأعداء وأخذ ثأر والدك.

قال"سارى"وهو يمسح الدموع التى تتساقط من عينيه:

- وبم تشر علينا فعله أيها الوزير الحكيم؟

قال الوزير:

- يا ولدى، أخوكم"ساران"ملك"زغدانة"وتكون أنت ملك "أقناموس"خلفًا لوالدك وترسل لأخيك تعلمه بكل ما جرى وتطلب منه المساعدة فى حرب هؤلاء الأنذال.

ثم نادى الوزير على الحاجب وطلب منه إحضار خلعة المُلك حتى يرتديها"سارى"ليعلم الجميع أنه أصبح ملك مملكة"أقناموس"ثم أمر بتجهيز خيمة خاصة بالملك الجديد ويكون بها ألذ وأطيب الطعام، وأن يصطف طابور الجيش لتحيته.

وبعد ثلاثة أيام وصل"سارى"مملكة"أقناموس"ودخل قصر أبيه الملك الراحل وجلس على كرسى العرش ودخل الأكابر والأمراء والأشراف لتحيته.

لكنه لم ير التاجر الأمين بينهم، فسأله عنه فقال له الحاجب:

- مولاى الملك، إن التاجر يستعد لمغادرة"أقناموس".

فانزعج الملك"سارى"مما سمعه، وأمر الحاجب بسرعة إحضار التاجر للمثول بين يديه، وعندما حضر استقبله"سارى"أحسن استقبال وسأله عن صحة ما سمعه فقال:

- أيها الملك، لقد تمت مهمتى بأن عُدت سالمًا إلى المملكة وأنا سعيد حقًا أن من استبشرت به خيرًا وتوقعت أصله الطيب عندما استضفته فى بيت ما هو إلا ملك ابن ملك، فلابد الآن من العودة إلى بلادى.

تأثر الملك "سارى" من كلام التاجر الأمين، وقال له:

- وهل من الشهامة أن تتركينى وأنا أحتاج إليك الآن أكثر من ذى قبل.

تعجب التاجر من كلام الملك "سارى" وقال له:

- ما الذى يحتاجه ملك عظيم مثلك من مجرد تاجر مثلى!

اقترب منه "سارى" وقال:

- إن الملك يحتاج لمن يكون بجوار يحسن إليه النصيحة دائما أن وجده يحيد عن طريق الخير والعدل.

ثم التفت للوزير وقال له:

- أيها الوزير الحكيم، من الآن فإن هذا التاجر الأمين هو قاضى قضاة المملكة ويسمح له بالدخول على فى أى وقت يريده.

فرح التاجر بما قرره الملك، فقد كان فى قرارة نفسه يود أن يبقى بجواره دائما ، ثم أمر الملك "سارى" الحاجب بكتابة رسالة لأخيه الملك "ساران" يحكى له فيها كل ما حدث، ويطلب منه العون والمدد حتى يتوجه لقتال الأعداء لأخذ الثأر، ثم ختم الرسالة وطواها وقال للوزير:

- لا يصح لهذه المهمة غيرك أيها الحكيم ، فعسى أن يكون فى نفسى أخى حاجة ليكون ملك "أقناموس"، فأبلغه أنه ليس لدى مانع أن يأتى هو هنا وأكون أنا نائبه هناك فى "زغدانة".

فوافق الوزير على طلب الملك"سارى"واستحسن رأيه، وقام ليجهز نفسه للسفر وعرض الأمر على الملك "ساران "حتى يجمع الجنود من كل حدب وصوب ويكون عونًا لأخيه فى تلك الحروب الضروس.

****

توقفت الفرس أخيرًا عن الركض، ضبحت وتلاحقت أنفاسها، و نال التعب منها كما نال من صاحبها، نزل من فوقها وقد انتابته نوبة من السعال جعلته يجثو على ركبتيه، ثم استلقى على العشب البارد، يلتقط أنفاسه المتلاحقة، وهو يحدق بالسماء.

ها هو يستغل خروج الوزير"يوشهور"ومن معه قاصدين"زغدانة" لإحضار الملك"ساران"و تنصيبه ملكًا خلفًا لوالده الراحل، وخرج من "أقناموس"على حين غرة من أهلها، خائفًا من أن يتهمه"ساران" بالاشتراك فى قتل والده.

وكانت الشمس قد طفلت للإياب فلم ير لها ظلا غير ظله الذى رسمته الشمس فأخطأت فى تصويره ، كأنما حسبته آدم أبا البشر فأوسعت فى رسمه طولا وعرضًا.

وبدأ يمشى خوفًا وفزعًا لا يعرف له مذهبًا، وكيف يعرف وإذا به بين أشجار تشابهت مسالكها، وتشاكلت مذاهبها، حتى انحدرت الشمس إلى مستقرها ومستودعها، وطار طائر الليل من مرقده، ونشر الظلام ستائره السوداء فوق الأفق، حتى وجد نفسه فى حيرة دمعة نزلت على وجنتى أسير.

تعب من الفرار، فطالبه جسمه بالراحة، فاستكان تحت شجرة حتى يبزغ ضوء الفجر، فيجد السبيل للخروج من تلك الغابة الموحشة.

وقرب الفجر سمع صوت حفيف الشجر كأن هناك من يتبع خطواته فهب من نومه مفزوعًا ، يتلفت يمينًا و يسارًا فلم يجد شيء ، فظن أنها تخيلات الخوف وأوهام الهروب.

لكن الصوت عاد أقوى من المرة الأولى، فدفعه الفضول لمعرفة مصدر الصوت فكمن خلف شجرة قرب الصوت، فرأى شخصًا يخرج من باطن الأرض من خلال باب رفعه بيده ثم أعاده مكان وأخفاه بورق الشجر وانصرف لحاله.

فتعجب مما رآه وصمم لكشف هذا السر، فربما هذه مغارة بها الكثيرمن الأموال و الجواهر التى تساعده فى تجنيد الرجال الأشداء لكى يتمكن من هزيمة الملك"ساران"والانقضاض على المملكة فيصبح هو الملك.

تقدم نحو المغارة المزعومة و أزاح التراب و ورق الشجر من فوق الباب السحرى فوجد سلالم من خشب نزلها بحذر، فوجد بابًا مفتوحًا فولجه فإذا به يرى مجموعة من الجواهر ففرح بأن ظنه قد تحقق لكنه سمع صوت أنين خافت يأتى من خلف صناديق الجواهر، فسار بحذر ثم اختلس نظرة فوجد فتاة جميلة مقيدة فى الأغلال تئن من الألم، فأصدر صوتًا فانتبهت له، فقال لها:

- ماذا تفعلين هنا؟ ومن الذى قيدك هكذا فى السلاسل والأغلال؟

نظرت إليه وكلها خوف، لكنها تحدثت وقالت:

- هل أنت معهم؟ أم أرسلك القدر لكى تنقذنى مما أنا فيه؟

فقال بعدما جلس بالقرب منها وأخذ فى فك السلاسل والأغلال:

- لا تخافى، لست مع أحد، أنا كما تقولين أرسلنى القدر لإنقاذك لكن هل لى أن أسمع حكايتك؟

فقالت الفتاة وهى تدلك ذارعها من أثر الأغلال:

- أنا زوجة أحد الملوك قتله هؤلاء وأسرونى وأخذوا كل ما نملك وحبسونى هنا مع ما سلبوه من الأموال والجواهر، وإن أنقذت حياتى كان لك ما تريد.

قال وفرحة الانتصار ترقص فى مقلتيه:

- هل تعرفين طريق العودة إلى ديارك؟

قالت وهى ما زالت تتوجع:

- نعم، لقد ترك هؤلاء اللصوص بعض الجياد على مقربة من هذه المغارة، اذهب وأتى بجوادين نحمل ما نقدر عليه من الأموال والجواهر ونعود إلى ديارى وهناك أعطيك ما تطلبه وأكثرولكن أسرع قبل عودتهم.

فقام على الفور وتوجه تلقاء المكان الذى دلته عليه وعاد ومعه جوادين فحمل عليهم الكثير من الأموال والجواهر وأسندها حتى خرج من الباب الضيق للمغارة وصعدا على السطح وركبا الجوادين و سار حيث أوضحت له الطريق.

واصلا المسير لمدة يومين، حتى وصلا على مشارف قلعة شاهقة، فنظرت إليه الفتاة وأشارت له بأن هذه القلعة تتبع مملكتهم وما أن وصلا إلى الباب نادت الفتاة الحارس ففتح الباب ورحب بها، فتحدثت معه بكلام لم يستطع أن يفسرمنه شيئا.

انبهربالرسومات الغريبة التى تزين جدران القلعة والجواهر المرصوصة على الجانين، جاء حارس آخر فأمرته الفتاة بمسك عنان الجوادين وترجلت وأشارت له ففعل مثلها، ومدت له يدها فأمسك بها، وتوجه إلى داخل القصر الموجود

بالقلعة، وفى قاعة الاستقبال كانت هى هناك تجلس على كرسى كبير، وما أن دخل عليها ابتسمت وقالت له:

- أهلا بالملك العظيم والفارس الهمام"سواتن".

فاندهش عندما نطقت باسمه فى حين أنه لا يعرف من هى، وأراد أن يستفسر عن أشياء كثيرة، ففطنت لمقصده، وأشارت له بيدها، ثم قالت:

- ليس قبل أن نكرم ضيفنا، وبعد ذلك نجلس ونتحدث عن كل ما يجول بخاطرك من أسئلة.

ثم أشارت بيدها فدخلت جارية جميلة، فأمرتها أن تأخذه إلى غرفة ليرتاح فيها من مشقة السفر.

كان فى ذهول مما يحدث لكنه استسلم للأمر الواقع وسار خلف الجارية التى صحبته عبر رواق القصر وهو ما زال يتفحص الرسومات التى تزين الجدارن، أفاق من ذهوله عندما قالت له الجارية وهى تفتح باب غرفة:

- تفضل هذه غرفتك، حالا يأتى لك الطعام والشراب.

دخل الغرفة وظل يتفحصها، فوجدها غرفة واسعة فى منتصفها سرير كبير، تزينه ستارة وردية الشكل ومقابله علقت مرآة كبيرة على الحطاب، وبعض الفوانيس على جدران الغرفة.

جلس على طرف السرير و بدأ فى التخفف فى ملابسه ، و أخذ عقله فى التفكير، حتى سمع طرقًا على الباب، ثم دخلت منه نفس الفتاة التى أنقذها، وما أنا رآها هب واقفًا وأراد أن يتحدث، فقالت له:

- عليك أولا أن تغتسل وتغير ثيابك حتى نتاول الطعام سويا.

وأشارت له على مكان الحمام وخرجت وهى تنظر له فى دلال وتبتسم وهو ما زال فى ذهوله مما يحدث.

دخل الحمام واغتسل جيدا، وارتدى الملابس التى تركتها له وعاد أدراجه وجلس على طرف السرير، فطالتعه صورته فى المرآة الكبيرة، فضرب على ركبته وهو يضحك كالمجنون، كأنه ينتظرالمجهول.

****

عكست صفحة البحيرة وجه شمس الظهيرة الحارقة، واختلطت زفرات العصافير بهديل حمامات تتنقل بين أغصان أشجار الغابة، مع خرير شلال صغير يمنح البحيرة مكانًا للحياة، كان وقتها يستعد الوزير "يوشهور" لدخول مشارف مدينة "زغدانة" فهو مبعوث الملك "سارى" إلى أخيه الملك "ساران" ليخبره بما حدث لوالده الملك الراحل "برقان" ويطلب منه الاستعداد لمحاربة هؤلاء الأعداء الذين قتلوا والده غدرًا.

عادت فرقة الاستطلاع التى كانت سبقت الوزير لتعلم الملك "ساران" بقدومه، ليخبروه بأن الملك ينتظرهم فى القصر بعدما يركنوا إلى الراحة بعض الوقت لينفضوا عنهم أثر السير وتعب المسير.

وصل الوزير إلى قصر الضيافة الفخم الذى يقبع على مقربة من ساحل "زغدانة" الجميل، فاغتسل وبدل ثيابه وتناول شيئا من الطعام، وجهز نفسه للمثول بين أيدى الملك فى المساء.

عندما حل المساء وألقى الليل ستائره السوداء على الكون، كان الوزير يقف بباب الملك، فأذن له بمجرد وصوله، ولما دخل وجد الملك جالسا على كرسى مرصع بالدر والجواهر الثمينة كل دره فيه تعكس الضوء كأنها نجمة فى سماء صافية، ويقف حواله بعض المماليك وبالقرب من كرسى العرش تجلس الجوارى وتقدم الشراب للملك.

هب الملك "ساران" واقفًا ونزل من على كرسى العرش وأسرع يحتضن الوزير فكان بالنسبة له فى منزله الأب لطول عهده بخدمة الملوك.

أمر الملك بصرف الجوارى و قرب الوزير من مجلسه و سأله عن سببه مجيئه، فأخبره الوزير بما وقع فى مصيبة مقتل الملك"برقان" مسمومًا وحكى له عن عودة أخيه الأصغ"سارى"وأنه أصبح ملك للمملكة بعدما طمع فيها"سواتن"بعدما استغل موت الملك وهرب من السجن.

ثم تطرق الحديث بينهما إلى قتل والده فأخبره الوزير بالرسالة التى تركت مكتوبة بجوارجثة الملك القتيل، ولم يفهم أحد علاقة "سماريدس"بهؤلاء القوم ولماذا ورد ذكرها فى الرسالة دون غيرها؟ ولما يصمم هؤلاء القوم على قتلها.

فوقف"ساران"وأخذ يسير فى القاعة كأنه يتذكر شيئا ما ثم التفت إلى الوزير الحكيم وقال:

- يوم أخذتنى الصدفة إلى القلعة وتقابلت مع"سيلين"لأول مرة أخبرتنى بأن وجود أختى"سماريدس"على قيد الحياة قد سلبهم قوتهم لأنها جاءت نتيجة زواج أبى من بنى جلدتهم وعشيرتهم.

تعجب الوزير الحكيم من كلام"ساران"وقال مستفسرًا:

- أخوكم"سارى"ينطبق عليه نفس الكلام، لكن لماذا"سماريدس"!

قال له"ساران":

- يومها لم أكن أعلم بوجود أخ لى من أبى، كل ما كنت أعرفه أنه لم ينجب من"ميرة"إلا بنتًا.

ثم أردف"ساران":

- يومها قالت"سيلين"أن البنت هى أرض النطفة والحاملة لها، وإن تزوجت"سمادريدس"من بنى آدم، سيفقد بنى جلدتهم القدرة على التكاثربعدما سلبهم مولدها قوتهم وحتى أصبحوا لا يتميزون عنا.

قال الويز الحكيم:

- وهل بقتلها ستعود لهم كل قوتهم ومميزاتهم؟

أجاب"ساران"وهو يفكر يوم أقدم على الزواج منها:

- أظن يومها أن"سيلين"قالت أن أمامهم اختيارين لا ثالث لهما، أن يتزوجها أحد من عشيرتهم أوتُقتل ويُشرب من دمائها وهى مازالت ساخنة، لكن لوتزوجت من بنى جنسنا أو إن لم يقدروا على الشرب من دمائها فى لحظة موتها، فسيضيع كل ما يخططوا له.

استعظم الوزيرالأمرفقال للملك"ساران":

- أظن أن الأميرة"سماريدس"فى خطر كبير، جنسنا كله فى خطر.

قال"ساران":

- الأخطر من ذلك أن"سماريدس"هى أصغر أنثى الآن بل الوحيدة التى تحمل الدم الملكى، وليس هناك رجال تحمل الدم الملكى إلا أنا وأخى"سارى"، هى مشكلة ليس لها حل.

أراد الوزيرأن يذكره بشىء، فقال له:

- أيها الملك ، هل نسيت الأمير"سواتن"، مهما وقع منه لكنه سيظل يحمل نفس الدم الملكى.

ضحك الملك"ساران"من كلام الوزير الحكيم، وقال له:

- أتريد أيها الأب البار أن نزوج الأميرة"سماريدس"لهذا التافه المسمى"سواتن"ويتحمل مسئولية انقاذ عشيرتنا من الفناء.

يعلم الوزير أن كلام"ساران"صحيح"سواتن"لا يعرف المسئولية ولا يقدرها ، كل همه عشق النساء و شرب الخمر، ولم يكن يومًا جديرًا بأن يكون راعى للمملكة وأمين عليها ، لذلك لم يتعجب الوزير من كلام الملك"ساران".

ضحك الوزير بصوت سار تردد صداه فى أرجاء القاعة، فاندهش الملك "ساران"مما أصاب الوزير الحيكم، وقال له بدهشة:

- ما الذى يضحك الوزيرالحكيم والأب العزيز.

فقال الوزير وهو لايكاد يتمالك نفسه من الضحك:

- كان والدكم الراحل"برقان"يريد الدخول بالأميرة"سيلين"قبل هروبها، لو كان حدث و أنجب منها بنتًا لكان الآن بنى جلدتها فى قمة جنونهم.

كلام الوزيرجعل الملك يتذكر"سيلين"وكم كانت طيبة وأكرمته ضيفًا واحتمت به من قومها لكنه خذلها عندما تركها فريسة لوالده وهو قد فطن من اللحظة الأولى أن عشقها وقع فى قلب والده، وبدلا من أن يحميها، اكتفى بمجرد تحذيرها، لقد عرف الآن أن والده كان السبب فى هروبها ومقتلها، وأكيد هى فطنت لما قد يحدث فلم تشأ أن تكون مثل"ميرة"وآثرت السلامة... يا لها حقًا من أميرة طيبة!

أخرجه من أفكاره نداء الوزير عليه قائلا:

- والآن أيها الملك المعظم، أخوكم الملك"سارى"يعرض عليكم مملكة"أقناموس"ويكون هو نائبكم هنا على"زغدانة"إن كان لكم غرضًا فى ذلك، لكن قبل كل شىء لابد من تجهيزالجيش لصد هؤلاء الخونة.

قال الملك"ساران"وقد ظهر عليه الحزن عندما تذكر"سيلين":

- ليبقى الوضع كما هو حتى ننتهى من الحرب.

ثم طلب الملك"ساران"من الوزير بأن يسبقه إلى مملكة"أقناموس"على أن يلحق به فى مدة لن تتجاوز الشهر يكون أعد فيها العدة وجهز الجيش لينضم إلى جيش أخيه"سارى"ليزحف الجيشان على"بنى دهمان".

امتثل الوزير لأمر الملك"ساران"وغدا فى طريقه إلى مملكة"أقناموس" بعد أن انتهت أيام ضيافته فى"زغدانة".

بعدما عاد الوزير إلى"أقناموس"دخل على الملك"سارى"الذى رحب به وسأله عن أحوال أخيه، فأطلعه الوزير على كل ما دار بينهم، وفسرله الغموض الموجود فى الرسالة التى تركتها"دنهش"بعد مقتل الملك "برقان"وأن الملك"ساران"فى أقل من شهر سيكون هنا بكامل جيشه.

سمع الملك"سارى"كلام أخيه"ساران"الذى نقله الوزير، فازدادت حيرته وخوفه وقلقه على أخته"سماريدس"و قال للوزير:

- كم لاقت"سماريدس"من أخطار وصعاب، والآن يستجد هذا الأمر الذى لم يكن فى الحسبان.

ربت الوزير الحكيم على كتفه وقال:

- اطمئن أيها الملك، سيتم تشديد الحراسة على الأميرة فلا تخش شيئا.

تعجب الملك "سارى" من كلام الوزيرونظرله وقال:

- وهل كان أبى من غير حراسة؟

طأطأ الوزير رأسه إلى الأرض،كأنه شعر بلوم الملك "سارى" له فى التقصير فى حماية الملك الراحل وقال:

- عذرًا يا جلالة الملك، لم نكن نظن أن الأمر سيصل إلى هذا الحد كما أن الملك افتتن بهذه العجوز الماكرة وكان يصدقها كل التصديق ويكرمها واستحالة أن يتسرب الشك إلى أحد منا أنها تخطط لقتل الملك.

أشار الملك "سارى" للوزيرحتى يكف عن الكلام وقال له:

- ماحدث قد حدث، ولكن علينا الآن جميعًا حماية الأميرة والدفاع عنها بأرواحنا.

انحنى الوزيروقال:

- كل ما تأمر به أيها الملك سينفذ، وسأشرف عليه بنفسى

فكر الملك هنيهه وقال:

- تشدد الحراسة على الأميرة فى أى مكان تذهب إليه، يقف على بابها غرفتها حراس غلاظ أشداء، لا يدخل لها طعام أوشراب إلابعد التأكد من سلامته.

ثم تجول الملك فى القاعة ، والتفت للوزير وأضاف وهو يشير بيده:

- ولا يدخل أى أحد غرفتها إلا بعد التأكد من شخصيته، و يرافقه حارس أو من الأفضل أن تكون مقابلاتها هنا تحت أعيننا

وستحاسب أنت شخصيًا أيها الوزير عن أى تقصير.

أراد الوزير الانصراف، فقال:

- اطمئن أيها الملك.

وانحنى للملك وهم بالانصراف لكنه عاد وقال للملك:

- هذا بالنسبة لترتيبات حماية الأميرة"سماريدس" لكن ماذا عن الأمير الهارب"سواتن"؟

تعجب الملك"سارى"من كلام الوزير، وقال:

- أبى اتهم"سواتن"بالضلوع فى اختطافنا، وهو هرب خوفًا أن نتهمه بالإشتراك فى قتل أبى، إذن لن نفعل له شىء إلا إذا عاد وبدرمنه ما يعكر صفو المملكة.

قال الوزير: حسنًا سيدى الملك، هل هناك من أوامر أخرى؟

قال الملك"سارى":

- يُنادى فى الجيش بالنفير والاستعداد للحرب، وكل قائد مجموعة مسئول عن تدريب مجموعته، حتى يكون الجيش على أهبة الاستعداد ريثما يصل جيش الملك"ساران"فنتحرك إلى محاصرة هؤلاء الأعداء، ويتم تجهيزاستقبال يليق بالملك"ساران"وسأخرج بنفسى لاستقباله والترحيب به.

****

أرسل الملك"ميمون أبا نوخ"رسالة للملك"مُرة الأحمر"يدعوه لعقد إجتماع هام بينهما وأنه فى انتظاره ويرحب به، وما إن وصلته الرسالة حتى سار فى مجموعة من حراسه وعندما وصل اجتمع على الفور بملك بنى دهمان الذى استقبله بالترحاب وأخبره بأن جيش مملكة"أقناموس"يستعد لقتالهم ولابد من اتحادهم فى مواجهة هذا الخطر.

وأخبره بأن والدته الملكة"دنهش"نفذت الحيلة وقتلت الملك"برقان"وعادت بابنته"ميرة"وأخذت بثأر الراحلة الأميرة"سيلين".

فرح الملك"مُرة الأحمر"بقدوم ابنته"ميرة"وقتل ملك"أقناموس" ووافق على الاقتراح بأن تكون المملكتان يدًا واحدة ضد جيوش "أقناموس".

وأثناء الاجتماع دخلت عليهم الداهية العجوز"دنهش"فرحب بها الملك "مُرة الأحمر"وشكرها على انقاذ ابنته، فتحدثت قائلة:

- سأشير عليكم برأى يجعلنا نهزم ملك"أقناموس"، ونردهم عن ديارنا.

قال الملك"ميمون أبا نوخ":

- ما الذى تفكرين فيه أيتها الملكة المقدسة؟

جلست"دنهش"على كرسيها المقدس وقالت موجهه كلامها لهما:

- نجهز فيلقين من الجنود فى السفن داخل البحر بالقرب من الساحل خلف الجبل، على أهبة الاستعداد، وعندما نواجه جيش"أقناموس" بباقى جيشنا وتدور المعركة ، تخرج جنودنا من البحر ويكونون خلفهم فنحصرهم بين البر والبحر وتكون لنا الغلبة والنصر ولاينج من جيشهم أحد.

استحسن الحضور اقتراح العجوز الداهية"دنهش"، فقال الملك"مُرة الأحمر":

- نعم الرأى، ما نطقت به جلالة الملكة"دنهش".

ابتسمت الداهية العجوز لإطراء ملك بنى الأحمر، وطلبت منه العودة لمملكته حتى يجمع الرجال ويستعد للمعركة، لكنه استغرب أنها لم تذكر سيرة ابنته"ميرة"، ففاتحها فى الموضوع وسألها عن"ميرة" فقالت بدهاء:

- الملكة"ميرة" تعيش معنا معززة مكرمة ونعاملها بكل تقدير واحترام فلا تخف عليها ، وامض إلى تجهيز جيش وسنعد لها حفل كبير بعد النصر على مملكة"أقناموس".

لم يطمن الملك"مُرة الأحمر"لكلام العجوز الماكرة فهو قد خبر خبثها ومكرها، لكن لا يملك إلا أن ينفذ كلامها فالخطب أكبر من المنافسة الآن، ثم استأذن وخرج عائدًا إلى بلاده.

ما إن غادر الملك"مُرة الأحمر"القاعة، حتى قال الملك"ميمون أبانوخ" مخاطبًا أمه الداهية"دنهش":

- لماذا لم تسمحى بعودة"ميرة"مع الملك"مُرة "؟

فقالت له:

- ستعرف فيم بعد أن قرارى بعدم عودتها الآن كان قرارًا صائبًا.

ضحك"أبا نوخ"وهو ينظر لها، وقال:

- أتمنى أن أعرف ما يدور برأسك.

فاقتربت منه وقالت وهى تضع يدها على كتفه:

- يا عزيزى ، مهما حاولت فلن تعرف ما أفكر فيه وأخطط له ، اذهب الآن وأعد ما طلبته منك، فالأيام القادمة ستكون صعبة علينا، فقد وصلنى من عيوننا أن جيش "أقناموس" يستعد بقوة للهجوم على مملكتنا.

قبل أن يخرج تذكر شيئا، فقال لها مستفسرًا:

- وما أخبار ضيفنا العزيز؟

أصابها سؤاله بنوبة ضحك هستيرية، وقالت وهى لا تتمالك نفسها من الضحك:

- لا تقلق يا عزيزى، فهو كما قلت ضيفنا وعلينا إكرامه، وهذا ما تقوم به الآن العزيزة "شاروسة" فهى تلميذتى وتربية يدى فلا خوف عليها، فهى تعرف كيف تتعامل مع الضيوف وستصل لكل ما نطمح إليه وأكثروقريبا سينفذ الضيف كل ما نطلبه منه.

اقتنع الملك "ميمون" بكلامها، فهى أمه ويثق فيها ثقة عمياء، فتركها وخرج ليعد الجيش للقتال.

****

أعلنت السماء عن ميلاد الهلال فوق رؤوس الأشجار، صاحبته نجوم السماء تحتفل به، فأنس بوجودها معه، أما هو فكان وحيدًا غريبًا فى بلاد بعيدة بينه وبين بلاده وديان لم تطأها قدمه قبل الآن.

ثلاثة أيام على وجوده فى هذا المكان الغريب، كل طلباته مجابة، تأتيه أجود أنوع الطعام وألذ المشروبات لكنه لا يعرف سببًا لوجوده هنا، ولم يطلعه أحدًا على ما الذى يريدونه منه، فلم يتحدث معه أى شخص إلى الآن منذ قدم على هذا المكان.

حتى هى التى جاء من أجلها، كانت تدخل كل يوم عليه تفتنه برقتها وجمالها ودلالها لكن لم يتلق منها إجابة شافية عن أى سؤال يدور بخلده وكلما سألها عن شىء تطلب منه عدم الاستعجال فكل شىء فى حينه.

إلى أن دخلت عليه فى يوم، فصمم على معرفة نتيجة ما هو فيه، فجاءت تتهادى فى خيلاء ودلال، تمسك بيدها ذيل فستانها الطويل، والابتسامة تعلو ثغرها المحلى بشهد الكريز وخدها المتشرب بحمرة الرمان وعيونها تلك البحيرة الصافية التى تقتل ولا تحيى، وشعرها المنطلق على ظهرها فى كبرياء، فبدت كأنها حورية أتت من عالم آخرغزلت أشعة الشمس خيوطًا من الضوء خلفها، ورسمت بدلال ظلها الوافر.

فى الأيام الماضية كان يحاول بكل السبل الحفاظ على المسافات بينهما على الرغم من الحرارة التى تلفح قلبه كلما دخلت عليه غرفته، لم يكن الشيطان ثالثهما ، فدلالها وقلبه يدفعانه دفعًا على الاقتراب منها، فلم يكن يعلم أشيطانه أم شيطانها يراوده عنها.

كانت زهرة تفوح بعطرها الفريد وهو فراشة تريد الاقتراب وتخاف العاقبة، جمال هادىء يزيد دقات قلبه وجرأة تسلب عقله وتسلمه للجنون.

ضاع من عقله كل ما جهزة من أسئلة عندما دخلت، فوقف مذهولا من جمالها، فلاحظت ارتباكه فقالت له:

- كيف حال ضيفنا العزيز؟

فاستجمع نفسه وقال بتعلثم:

- حال الضيف لا يسر، فهو لا يعلم أين هو، ولا إلى متى سيظل هنا؟

ضحكت بدلال وهى تجوب الغرفة وتهز فستانها بيدها:

- هل من الممكن أن تؤجل تلك الأسئلة لما بعد تناول الطعام

قال بعصبية:

- منذ نزلت هذا المكان وليس لى عمل إلا الأكل والشرب، أريد معرفة نهاية ما أنا فيه.

- هل ضجرت من ضيافتنا لك!

اقترب منها وهو ينظر لها برغبة عارمة:

- فقط أريد أن أعرف مصيرى.

شعرت بأن الطائر المحبوس سأم القفص ويريد الحرية، فأرادت أن تمسك بالشعرة الفاصلة بين السأم والأمل وقالت:

- بعد قليل سنكون فى حضرة الملكة المقدسة، وستعرف كل شىء وستجد إجابة لكل ما يدور فى ذهنك من أسئلة.

فأسرع قائلًا:

- ومن هى الملكة المقدسة؟ بل على الأقل من أنت؟

ابتسمت وقالت وهى تقترب منه فى دلال:

- أنا "شاروسة" والملكة المقدسة هى جدتى، وأنت الآن فى مملكتنا مملكة بنى دهمان ، ستنال مكافأة انقاذك لى وستكون أكبر مما تتوقع.

فهدأ روعه بعض الشىء، وقال:

- ولماذا كل هذا الانتظار، ألم يكن من الأفضل أن أعرف كل شىء بمجرد وصولنا هنا وعودتك سالمة إلى ديارك.

نظرته له ولمست خده بيدها الناعمة فسرت فى جسده حرارة الاشتياق، فقالت:

- من عاداتنا إكرام الضيف ثلاثة أيام قبل أى كلام آخر، فما بالك وأنت أمير من بيت مُلك.

ناولته كأس من الشراب، وتناولت كأس أخر ولمسته بشهد شفتاها فقال لها:

- من أين لكم بمعرفة من أكون! فى مملكتنا هناك الكثير يجهلون كونى ابن أخو الملك "برقان".

- هذا عندكم، لكننا نعرف عنكم أكثر مما تعرفوه أنتم عن أنفسكم وسيكون لك معنا شأن كبير، المهم أن توافق على ما تطلبه من الملكة.

****

وقبل مرور الشهر، جاء البشير بقرب وصول الملك"ساران"على رأس جيشه على مشارف مملكة"أقناموس"فأسرع الوزير الحكيم بإخبار الملك "سارى" الذى بدوره أمر بتنظيم استقبال يليق بأخيه الملك يكون هو فى مقدمة مستقبليه.

خرج الملك"سارى"ومعه الوزير الحكيم وكبار دولته على بعد مسيرة يوم، ثم نصبت الخيام هنالك لانتظار أخيه، وعند الصباح أقبل الملك "ساران" وخلفه جيش جرار من خيار المقاتلين ما أن لمحه"سارى"حتى ترجل عن فرسه ففعل"ساران"ومشى نحوه فلما على مقربة منه، لم يكن من"سارى"إلا أن رمى نفسه على أخيه فضمه"ساران"إلى صدره وأخذ يربت على ظهره بحنان الأخ الأكبر.

ثم تقدم الاثنان معا نحو الخيمة، وجلسا ومعهم الوزير الحكيم وتطرق الحديث لحادثة ملك الملك ومضمون رسالة العجوز الداهية وترتيبات حماية الأميرة"سماريدس"هذا بالاضافة لهروب"سواتن".

انتهى الاجتماع على أنهم سيمكثون بالمملكة يومين وبعدهما سيتوجه الجيش لغزو مملكة"بنى دهمان"و"بنى الأحمر".

عند وصولهم القصر الملكى فى"أقناموس"دخل"سارى"بصحبه أخيه وكانت فى استقبالهما أختهم الصغيرة "سماريدس"التى رحبت بأخيه "ساران" فبادلها الترحيب وربت على كتفها وطمأنها أنها فى أمان.

فقال "سارى"وهو يشيرلها:

- ستظل"سماردیدس"فى أمان هنا حتى نعود من الحرب، وقد كلفت مجموعة حراس أشداء بهذا الأمر.

نظرت له"سماريدس"باستغراب ومازال"ساران "ينصت لحوارهما:

- ما هذا الكلام يا"سارى"، لابد أن أكون معك فى الحرب، هل نسيت أن أبى الراحل علمنى الفروسية والضرب بالسيف والسهام كما علمك تمام، بل أحيانا كنت أتفوق عليك.

ضحك"ساران"على كلامها الطفولى الذى تظهر فيه رائحة الغيرة وقال:

- صغيرتى العزيزة، أخوك لم يقصد بل هو يخاف عليك ليس إلا.

فنظرت إلى"سارى"وقالت بدلال وقد أمسكت بذراع أخيها"ساران":

- يخاف علينا من ماذا، أنا سأدخل عامى العشرين قريبا، إنما هو يخاف أن أتفوق عليه كالسابق.

ضحك الجميع على كلامها إلى أن قال الملك"ساران"لهما:

- بعد كل الأخبار والمعلومات التى وصلتنى قررت اصطحاب "سماريدس"ليس لتحارب، بل سأكون مطمئن عليها أكثر وهى بالقرب منا.

لم يستطع"سارى"الاعتراض على كلام أخيه، فامتثل لأمره وقال:

- حسنا يا أخى، لك ماتريد.

شعر"ساران"بالتوافق والحب مع أخوته ولام نفسه عندما فكر يومًا أن يقتلها ،وأيقن الآن بعد موت والده الملك أنها كل ما تبقى له فى هذا العالم، فعليه من الآن حمايتها والاهتمام بها، انفرج وجهه بعد العبوس

وقال لأخته:

- والآن على الأميرة الصغيرة أقصد الكبيرة"سماريدس"الاستعداد للمسير فى فجر بعد غد.

كلامه أسعدها فقبلته وهى تغيظ فى أخيها"سارى"الذى كان يضحك على تصرفها وانصرفت وخلفها الجوارى الملازمة لها كظلها كلما ذهبت إلى أى مكان.

قابلها الوزير وهى خارجة من القاعة فبادلها التحية، ودخل على الملك وأخيه وكان قد استدعى للمناقشة فى خطة الهجوم الكاسح المراد القيام به، رحب به الملك وقاموا جميعا لمنضدة عليها خريطة مجسمة للمكان المتوقع للمعركة أُعدت بأوامر من الملك"ساران"باعتبار خبرته الحربية تفوق خبرة"سارى"، وقف الملك وهو يشير إلى بعض المناطق على الخريطة ويقول:

- سنقسم الجيش لمجموعات، يقود الميمنة الملك"سارى"وسيتولى الوزير الحكيم أمور الميسرة، وسأقود أنا القلب، على أن تبدأ مجوعة القلب القتال ثم تبدى التراجع فيطمع العدو فينا ويخيل إليهم أنه حقق النصر، وعندما ما يتقومون فى الهجوم على القلب المتراجع تتطبق عليهم الميمنة والميسرة.

استحسن الوزير الحكيم الخطة، لكنه قال مستفسرًا أكثر:

- خطة ممتازة أيها الملك، ولكن لماذا وقع الاختيار على هذا الوادى الضيق بين الجبلين.

قال الملك"ساران"وهو يدور حول الخريطة المجسمة:

- أيها الوزير الحكيم، يقع الجبلان ناحية الشمال وناحية الجنوب ونحن سنكون فى جهة الشرق حتى يضطر العدو لمهاجمتنا من ناحية الغرب وسيكون

البحر خلفهم، والشمس تسطع فى أعينهم وهذا كله له تأثير بلا شك على الجنود.

قال الملك"سارى"الذى كان يتابع شرح أخيه باهتمام وترقب:

- كيف الحال إن جاء لهم مدد من البحر ولم نشعر به إلا وهو التف من خلف الجبل وحاصرنا من الخلف.

ابتسم"ساران"لأخيه الصغير وقال:

- هذا هو الجزء الثانى من الخطة، سنعد مجموعة من الفرسان الأشداد لكنها لن تشترك فى بداية الحرب وتكون على أهبة الاستعداد لصد أى هجوم متوقع من البحر أو التدخل لمساعدة أى جزء من الجيش يظهر عليه التعب، لأنهم سيكونون بالطبع أكثر راحة من المشاركين منذ البداية.

تدخل الوزير وقال:

- وصلتنا أخبار من فرق الاستطلاع أن الملك"مُرة الأحمر"جهز جيشًا جرار وسيتقابل مع جيش الملك"ميمون أبا نوخ"بالقرب من ساحل البحرحيث سينزل الجنود من السفن.

قال الملك"ساران"بثقة:

- وهذا هو المطلوب أن تكون المعركة الفاصلة بالقرب من مملكة "بنى دهمان" حتى أظفر بالخبيثة"دنهش"وأعلقها من شعورها المائلة جزاء لها على ما فعلته بأبى الملك.

قال الملك"سارى":

- هل سنأخذ معنا"سماريدس"حقًا، أم كنت تطيب خاطرها.

- بالطبع ستكون"سماريدس"معنا، أبعد كل ما عرفناه نأمن عليها هنا بمفردها ونحن بعيدون عنها.

قالها"ساران"، ثم توجه بالكلام للوزير الحكيم وقال:

- أريد أن يكون الجيش جاهز للتحرك فى فجر بعد غد، فلا داعى للتأخر أكثر من ذلك، فلا تنسوا أن الجيش محتاج للراحة كل أسبوع من المسير.

انحنى الوزير وقال:

- سمعًا وطاعًا يا جلالة الملك، سيكون كل شىء كما خططنا له

ثم استأذن بالخروج فأذن له الملك، الذى انفرد بأخيه وقال له:

- لا تخف يا"سارى"على"سماريدس"سأجعلها فى مؤخرة الجيش ويكون معها بعضًا من الجوارى والحراس الأشداء ولن أسمح لها بالاشتراك فى النزال كما تظن.

وفى الموعد المحدد انطلق الجيش فى طريقه يتقدمه الملك"ساران" وعن يمينه الملك"سارى"وعن يساره الوزير الحكيم"يوشهور" وبالقرب من المؤخرة كانت الأميرة"سماريدس"فى زى الرجال تمتطى جوادها وتسير بخيلاء وسط حراسة مشددة ، و كانت فرحة بأنها تعيش الآن بين أخواتها الملوك بعدما عانت لسنوات ذل الرق والمهانة.

ظل الجيش سائرًا و كل ليلة جمعة ينزلون فى مكان مناسب فتضرب الخيام طلبًا للراحة، لأن الجيش جحافل لا تعد ولا تحصى، وعندما أصبحوا على مسيرة خمسة أيام من المكان المحدد للمعركة أمر الملك "ساران"بالنزول للراحة، وأرسل فرقة من الاستطلاع لمعرفة أخبار العدو.

وعندما نزل الجيش ونصبت الخيام، أرسل"ساران"فى طلب"سماريدس" لتقضى معهم الليلة بالخيمة المخصصة للملك، وعندما جاءت بوجهها البرىء الذى يشع رقة وجمالا، ابتسمت وهى تجلس بالقرب من أخيها الأكبر و ظلوا يتسامرون حتى قرب الفجر، حكى لهم"ساران"الكثير من الحكايات خصوصا المتعلقة بالأميرة"سيلين"وكيف كانت تتسم بالطيبة على عكس قومها، وذكر أيضا اصرارها أن تترك وطنها وتأتى معه إلى "أقناموس"، ولولا خوفها من الملك"برقان"ما كانت لتهرب وتتركه حينها قالت"سماريدس"فجأة وهى تبتسم:

- يخيل إلى أن أخى الملك"ساران"كان قد وقع فى حب"سيلين".

تنهد الملك "ساران"عندما تذكرها وقال:

- لقد كانت مختلفة عن كل بنى جلدتها ، لأن منهم الطيبون كما منهم الأشرار وهى تربت فى كنف جدها لأمها الملك الطيب "شمهورش"قاضى الجن، وصاحب التاج الأبيض، ملك بنى النعمان فهو لا يشترك فى الحروب لكبر سنه، وقد تتلمذت"سيلين"على يديه بصحة الكثير من الطلاب الذين يعلمهم فضائل الخير والأخلاق.

ثم أردف قائلًا:

- كما أنها أخبرتنا بخطة الملك"مُرة الأحمر"للإيقاع بها عندما طلب من الملك"برقان"ارسال الجيش لمساعدته فى حرب واتضح انها كانت خدعة حتى يقضى على الجيش، بسبب زواج أبى من أمكم"ميرة"رغم أن أبى لم يغصبها على شىء كما أدعى والدها.

قال"سارى":

- هل هناك فرق فى أن تكون تزوجت أبى بموافقتها أورغمًا عنها

صاح"ساران":

- طبعًا، تفرق كثيرًا، لأنه فى عرفهم أنهم أقوى منا، ومعنى إرغامهم على شىء فهذا عكس اعتقادهم.

قالت"سماريدس"ببراءة:

- معنى ذلك أننا الآن ذاهبون لقتال جدنا الملك"مُرة الأحمر"!

أراد"ساران"التهوين عليها بعدما رأى نفس السؤال فى عين"سارى":

- هؤلاء القوم لا عهد لهم، ولن يفرق مع الملك" مُرة"إذا كنتما أبناء"ميرة"ابنته أم لا، فهم بطبعهم خونه وماكرون، فلا تحسبا لهذا الأمر حساب، وبعدما يتم لنا النصر سنعيد الملكة"ميرة" لتعيش معنا مرة أخرى.

قالت"سماريدس":

- علمت أنهم يريدون التخلص منى وهذا كل همهم.

وضح لها"ساران"الأمر وقال:

- لا تخافى ، فكل همهم منذ بداية الخلق التخلص منا جميعًا وسنظل معهم فى حروب حتى النهاية.

****

أقبلت جحافل قوات بنى الأحمر وقوات بنى دهمان، وعندما اكتملت الصفوف وضاقت لهم الأرض بما رحبت، واصلوا سيرهم حتى نزلوا بالوادى القريب من البحر فأقاموا معسكرهم هناك، فلبثوا ثلاثة أيام وفى فجر اليوم الرابع استيقظوا على اندفاع فرسان مملكة"أقناموس" نحوهم كالسيل الجارف تزينهم دروعهم البيضاء.

عندما تقابل الجيشان والتطم البحران ووقعت العين فى العين كان أول من اشترك فى القتال الملك"ساران" الذى كان يقود القلب، فاخترق الصفوف و هاج فى الألوف وقاتل قتال الأبطال ولم يزل يصول ويجول ولما شعر بأن التعب بدأ يظهر على مجموعته، بدأ فى التراجع حسب الخطة المرسومة.

بدأ قلب الجيش فى التظاهر بالهزيمة والتراجع للوراء، فكر عليهم جيش الأعداء وحملوا عليهم حتى أصبحوا بين الجبلين فحمل عليهم الملك "سارى"بجنود الميمنة والوزير الحكيم بجنود المسيرة، فارتبكت قوات بنى الأحمر وصاروا يبحثون عن الفرار من سيوف جنود"أقناموس".

ظل القتال بين الكر والفر حتى وصل مدد "بنى دهمان"عبر السفن فى البحر وعندما وصل الخبر للملك"ساران"أمر المجموعة الثانية بالدوران حول الجبل واحراق وخيام العدو، انتهى اليوم الأول من القتال وقد حقق"ساران"وجيشه انتصارًا ساحقًا بفضل خطة التى فصلت بين خطوط العدو.

لم ينم"ساران"و"سارى"فى هذه الليلة بل ظلوا يتفقدون الجنود ويبثوا فيهم القوة والشجاعة، أما"سماريدس"فكانت مهمتها الإشراف على الخيام التى يعالج فيها المصابون، فدخل عليها أخويها وهى تعتنى بالمرضى والمصابين فشجعاها وشدوا من عزمها.

أما الملك"مُرة الأحمر"فبرر الهزيمة أمام الملك"ميمون أبانوخ"وأمه وكبار قادة الجيش، حين قال:

- كنا بلغنا هدفنا وكدنا ننتصر عليهم ، لكن أعجبتنا كثرتنا

فقالت"دنهش"بحسرة وألم:

- هذا الشيطان الماكر الملك"ساران"لابد من قتله فهو يمثل كل قوتهم وإن استطعنا التخلص منه حققنا ما نريد.

تدخل الملك"ميمون أبا نوخ"وقال حتى يطمئن أمه:

- فى الغد نعيد ترتيب وتنظيم الجيش فما حدث ليس إلا مجرد بداية والحرب لم تنتهى، وإن كان لديهم الشيطان"ساران"فلدينا الشيطان "ساروخ"أفضل من يرمى بالنبال ويضرب بالسيف ويطعن بالرمح، يبارز"ساران"ويقتله ويخلصنا منه.

فى صباح ثانى يوم للمعركة، خرج الخبيث"ساروخ"وكان بشع المنظر وجه كبير أشبه بالحمار وجسمه مشعر كالقرد، كان المعلون يمتطى جوادًا أسودًا ، وعليه ثوب أحمر، ويحمل فى يده رمحًا له ثلاث حراب حتى بدأ مثل أبيه إبليس اللعين، ثم نادى بصوت المنكر وقال:

- لا يخرج لمبارزتى إلا الملك"ساران"إن كان عنده المقدرة.

فزع الجنود من صوته الخبيث، وحدث هرج ومرج بين الجيشين واصطفوا على الجانبين ينتظرون رد الملك"ساران"حتى قال"سارى":

- أنهم يريدونك أنت وأن أخاف عليك من هذا الملعون.

قال"ساران"وهويبتسم حتى يطمن أخيه:

- لا تقلق يا أخى، فإن قوتهم الآن مثلنا أوأقل، إن لم أخرج له سيظن إننى خفت منه وسينتقل هذا الخوف للجيش فيضعف من عزيمتهم.

خرج"ساران"كالأسد الجسور وكان راكبًا على ظهر جواد يشبه العزال الشارد بخفته فلمح هذا الملعون يقف وسط ميدان المعركة وفى يده رمح، لما أبصر"ساران"لطم على ركبته وصدره العريض وزأرحتى يخيف"ساران"، ثم ألقى الرمح ذا الثلاث حراب إلى أعلى وتلقاه بيده الأخرى، ثم رماه بكل قوته فى اتجاه"ساران"فخاف الجميع على الملك "ساران"فلما اقترب الرمح منه اختطفه من الهواء ، فهلل الجنود لملكهم وقوته.

أمسك"ساران"بالرمح وهزه فى يده وألقاه فى الجو ثم تلقاه باليد الأخرى، ثم صاح بقوة وعزم ورمى الرمح فى اتجاه هذا الملعون، فأراد "ساروخ"أن يمسك بالرمح كما فعل"ساران" ومد يده لتختطفه من الهواء، فأسرع "ساران"بحربة أخرى وضربه بها فجاءت الضربة فى منتصف رأس الملعون"ساروخ"وهوى على الأرض والدماء تنهمر من رأسه كالنافورة.

رفع"ساران"يده ملوحًا بالنصر، ففرحت الجنود والعساكر وارتفعت روحهم المعنوية وظلوا يصفقون لملكهم العظيم و ينادون باسمه.

عندها التحم الجيشان ووقع من وقع تحت حوافر الخيل، وقتل من قتل بالرمح أو بالسيوف، وامتلأت الأرض بالقتلى وعظمت الجراحات، وصار لا يعرف الجريح ممن مات، وظلوا بين كر وفر إلى إن انتهى النهار وأقبل الليل بستائره السوداء معلنًا الهدنة بين الفرقين إلى الصباح التالى.

وفى الليل اجتمع الملك"ساران"كالعادة مع أخيه الملك"سارى" والوزير الحيكم، ليناقشوا باقى خطط الأيام القادمة، فدخلت عليهم الأميرة" سماريدس"وهم على هذه الحالة، فأقبلت بوجهها الذى يشع نورًا وابتسامتها تعلو ثغرها، استقبلها أخوها"ساران"بنفس الابتسامة فأسرعت نحوه، وقالت:

- سيبقى ما فعلته بالملعون"ساروخ"حديث الناس على مر العصور

شكرها"ساران"على كلامها واطمأن عليها وسألها على حالة الجرحى وأكمل كلامه لأخيه والوزير وقال لهما:

- هم الآن يظنون أننا لن نعيد الخطة الأولى لذلك سنباغتهم ونكررها، يسير الوزير الحكيم بمجموعة الفرسان ناحية البحر بحيث يكونون على مقربة من مكان إنزال سفنهم للجنود، وإذا دارت رحى الحرب ورأيتم عسكرنا

يتقهقرللخلف وجاءوا هم وزحفوا نحونا سيخرج باقى جنودهم من السفن حتى يحاصرون جيشنا من كل الجهات، وقتها احرقوا السفن حتى لا يعودا إليها واحصروهم من الخلف.

فى الصباح دار طاحون المعركة وبعد مرور بعض الوقت تأخر"ساران" ومعه أخيه وتقهقر الجيش وأظهروا الانهزام للأعداء، فزحفت عليهم جنود "بنى دهمان و بنى الأحمر" وتهيئوا للضرب والطعن فيهم، ونادى قائدهم:

- جنود"أقناموس" جنحوا للفرار فلا تتركوهم إلا قتلى أوحرجى

فرحت الماكرة"دنهش"بما وصلها من أخبارانتصار جنودهم، فبدأت تحث الجنود على الأخذ بثأر"ساروخ" وثأر"سيلين".

و فجأة....

انقلب الحال واستدار الملك"ساران"وحمل ومن معه على العدو وقطع عليهم طريق العودة حتى يحصروهم الوزير من الخلف، وأثناء المعركة وإذا بفارس ملثم يصول ويجول ويقطع الرقاب وفتح بين عسكر الأعداء ميدانًاو أوسعهم ضربًا وطعنًا ، حتى رهبه الأعداء وصاروا يتحاشون طريقه، فقد كان يمسك سيف بيمينه ورمح بيساره وكان بارعًا حقا فى القتال، استغرب الجميع وظلوا يتسألون فيما بينهم عن هذا الفارس الملثم المغوار، وخاف الملك"ساران"أن تكون خدعة، فاقترب منه وسأله:

- من أنت أيها الفارس الملثم؟!

فكشف الفارس اللثام عن وجهه وهو ينظر للملك"ساران"ويقول:

- هل عرفتنى أيها الملك المعظم؟

لم يستطع الملك"ساران"أن يتحدث من هول المفاجأة، فسكت هنيهة ثم قال:

- سواتن!!!

فقال"سواتن"عندما لمح الكثير من الأسئلة على وجه الملك:

- دعنا من الاستغراب الآن، وهيا بنا نكمل المعركة.

ثم استكمل الضرب والقتل فى صفوف الأعداء، وتوجه ناحية "سارى" وقال: أيها الملك إنك تخاطر بنفسك، فما زلت صغير السن، فالصق جوادك بجوادى فأنا لا آمن عليك من الأعداء.

فقال له"سارى"بعصبية دون أن ينظر له:

- أنا لا أخاف النزال و لن أترك مكان المعركة لأكون بجوارأخى الملك"ساران".

بدأت بشاير النصر، فركن جنود الأعداء للفرار يقصدون سفنهم الموجودة داخل البحر، حتى سبقهم الوزير ومن معه وأشعلوا فيها النيران فأصبح جنود العدو كالفئران الحائرة التى لا تجد لها ملجأ فقد وقعت فى المصيدة، فقتل منهم الكثيرون وأسر الكثيرون.

وانقضى النهار وأقبل الليل وكان"ساران"يبحث عن"سواتن"فأبلغه أحدهم أنه أصيب فى كتفه بسهم، وهو الآن فى خيام الجرحى.

على الفور ذهب"ساران"إلى خيمة الجرحى، فوجد"سواتن"مستلقى على ظهره وبجواره الأميرة "سماريدس"تطمئن عليه، فاقترب منه ونظر له وقال بحدة:

- أين كنت يا"سواتن"؟ ولماذا هربت؟ ولما عدت؟!

****

عندما وصلت أخبار الانتصار إلى الملكة"دنهش"قالت بغرور:

- أنا أعلم أن ابنى"ميمون أبانوخ"لا يكون من المنهزمين ولا يخاف من جيوش"أقناموس".

ثم أمرت أن تزين البلد، فأظهروا السرور، وأتت"شاروسة"باسمة الثغر وهى تحمل زجاجات الخمر، وقامت بصب كأس لها وكأس للماكرة "دنهش"التى سألتها:

- هل عندك ثقة فى"سواتن"أن ينفذ ما اتفقنا عليه؟

ضحكت، ثم ارتشفت من الخمرة رشفة، وقالت:

- كل الثقة يا عزيزتى، لا تقلقى وستثبت لك الأيام أننا نسير على الطريق الصحيح، فإن كنا رمز للشر والخطيئة التى قام بها آبانا لكن من بنى جلدتهم ما هو أكثر شرًا وخطيئة منا، لكنهم دوما يدعون المثالية فى العلن، ويفعلون الخطيئة إذا خلوا إلى شيطانهم.

وبينما هم وسط الزينات والأفراح، حتى صرخ بهم غراب الحزن وأقبلت عليهم بعض السفن التى استطاعت الفرار من الحرب وعلى متنها الملك "مُرة الأحمر"والملك"ميمون أبا نوخ"وهما يجران أذيال الهزيمة المنكرة، فانقلب الضحك إلى بكاء، وأصابت الحسرة الملعونة"دنهش" وزاد من حزنها عندما عرفت أن"ساران"قتل فارسهم"ساروخ"فظلوا يوجهون الاتهامات لبعضهم البعض، كل منهم يلقى باللوم على الآخر. فصرخت فيهم"دنهش"وهى فى قمة غضبها حتى صارت عينها كجمرة نار ملتهبة فقالت:

- أين باقى العساكر؟

قال"مُرة الأحمر"وما زال بلبس الحرب الرث ووجهه الذى أثر عليه حريق السفن:

- لم يتبقى منهم إلا القليل، خدعنا"ساران"وقلب خطتنا التى كنا نستعد للقيام بها وجهز رجاله فاشعلوا النار فى مراكبنا وهجم علينا من الخلف بعدما خدعنا وأظهر الهزيمة والفرار.

ضحكت"دنهش"بسخرية وقالت وهى تلوح بيدها:

- هذا الملعون يخدعكم لثانى مرة بنفس الخطة، ألم تتعلموا من المرة الأولى.

أراد ابنها"ميمون أبا نوخ"أن يتكلم ويبرر ما حدث ، فأشارت له أن يصمت وظلت تجوب القاعة بظهرها الأحدب، فقد كانت داهية من الدواهى وكاهنة من الكهان على علم بكل أنواع السحر وخصوصا السحر الأسود فقالت له بعد أن فكرت لحظات:

- ما دام الملعون"ساران"موجود لن نهزمهم، وصدقت كلامكم أن "ساروخ"سيقدر عليه ويخلصنا منه وكانت النتيجة أنه قتل"ساروخ"وخسرنا نحن أشجع وأقوى فارس لدينا.

قال ابنها"ميمون"وهويطأطأ رأسها للأرض:

- وما العمل الآن يا أمى؟!

قالت ردا على سؤال ابنها:

- منذ بداية الخليقة لم نستطع هزيمتهم إلا بالحيلة والخديعة ولنا فى آبانا العظيم القدوة، هل نسيتم ما فعله آبانا بأبيهم وكيف خدعه وجعله من العاصيين حتى طُرد من الرحمة وصرنا سويا فى الخطيئة.

قال الملك"مُرة الأحمر":

- ما الذى تفكرين فيه أيتها الملكة الأم؟

وقبل أن ترد على سؤاله، تدخل ابنها الملك"ميمون أبا نوخ"وصرخ فيه وقال:

- كل هذا بسبب ابنتك"ميرة"التى سلمت نفسها للملك"برقان" وانجبت منه بنتًا، هى السبب بكل ما نحن فيه الآن.

صرخت فيه أمه أن يصمت، وقالت وهى تدور فى القاعة:

- ليس هذا وقتًا للثرثرة وتبادل اللوم، إن كان وجود"سماريدس" على قيد الحياة قد سلب الكثير من المميزات التى كنا بتفوق عليهم بها، لكن ما زال عندنا الخديعة والدهاء حتى نصل لما نهدف إليه، أما"سمادريدس"نفسها فسوف يحن وقتها ونتخلص منها ومن العار الذى لحق بنا، وأنا أعمل على ذلك لكنى لست مسئولة عن كشف كل خططى أمامكم، تركت لكم الحروب ففشلتم فيها.

لنا الكثير من العيون فى صفوفهم ، وقريبا سأجد الحيلة وأصل إلى الملك"ساران"وأقتله بيدى كما قتلت والده من قبل.

****

فزعت"سماريدس"من صوتها أخيها"ساران" وهو يصرخ في "سواتن" وينهال عليه بالأسئلة، فقالت له:

- ماذا حدث يا أخى، الوقت ليس مناسبًا للنقاش، إلا ترى أنه مصاب ونزف الكثير من الدماء.

كان الشرر ما زال يتطاير من عينى"ساران"لكن كلمات أخته هدأت من روعه بعض الشيء، فأخذ ينظر لـ"سواتن"معاتبًا، بينما"سواتن"لم يستطع الرد عليه.

فجلس"ساران"بجواره وسأل عن حالته، فأخبرته"سماريدس"أنه بدأ فى التحسن، فأمسك بذراعه ليرى مدى جرحه فوجده مازال يتألم من كتفه فقال له:

- وهل يتألم رجل حرب مثلك من جرح بسيط؟!

فحاول"سواتن"أن يعتدل فى جلسته، فساعدته"سماريدس"، ثم قال:

- رفقًا بى أيها الملك، رفقا بى يا بن عمى.

فتعجب"ساران"من كلامه وقال وهو يضحك بسخرية:

- الآن فقط اكتشفت أنى ابن عمك ويجرى فى عروقنا الدم نفسه فلماذا إذن هربت عندما علمت بقدومى، بعدما قتل الملك وكنت تريد الاستيلاء على المُلك، بل حاولت إحداث بعض المشاكل بين الناس لولا حكمة الوزير وبعض كبارالدولة.

فظهر الاضطراب على"سواتن"لكنه حاول أن يتماسك ورد قائلا:

- لم يحدث ما تقوله، أنا فعلا هربت لأنى اتهمت ظلمًا فى الاشتراك فى خطف"سارى وسماريدس"ودفع بى عمى إلى السجن وزاد خوفى من أن أُتهم بقتل الملك، لذا قررت الهرب.

ظهرعلى وجه"ساران"عدم تصديقه للكلام، فسأله:

- وأين كنت؟ ولماذا رجعت إلينا مرة أخرى؟

بحث"سواتن"فى عقله على إجابة مقنعة، فقال:

- ظللت أجوب البلاد حتى استقر بى المقام فى بلدة صغيرة بالقرب من البحر، تعرفت فيها على بحار وفى يوم من الأيام كان عائدًا من رحلة تجارية إلى"زغدانة"وأثناء حديثنا عرفت منه أنك ذهبت إلى"أقناموس"لقتال مملكة"بنى دهمان"فقررت أن أنسى كل ما حدث وأن أقف بجوارأبناء عمى فى هذه الحرب.

ضحك"ساران"بسخرية على كلام"سواتن"وقال:

- حقًا ! أنت بالفعل شجاع يا"سواتن"

نهرته"سماريدس"وقالت:

- يكفى هذا يا أخى، لابد أن أساعده وأبدل له ضمادة الجرح.

فنظر له"ساران"نظرة الغير مصدق لكل ما قال، ثم إدار وجهه للخارج ومضى وهو ناقم على"سواتن"و ما أن خرج تناولت"سماريدس"يد ابن عمها وأخذت تتفحص الجرح وهى تقول:

- أظنه جرح بسيط لكن يحتاج لبعض الراحة.

كانت تنظف مكان الجرح بالماء، و"سواتن" ينظرإليها بشغف وعندما شعر أنها لاحظت نظراته إليها، فقال وهو يبتسم:

- لم أكن أعرف أن لى ابنة عم بهذه الرقة والجمال.

كلماته جعلت وجهها يحمر خجلا، فقد كانت"سماريدس"آيه فى الرقة والجمال، وجه مستدير كالقمر، خدها أملس مشرب بحمرة، عيونها زرقاوان، وأنف صغير للغاية تحته شفاه تشعرك بلذتها عندما ترآها كأنها خلقت من الشهد، بالإضافة لصوتها هذا الصوت الساحر الذى يأثرك من أول كلمة ينطق بها.

ازاحت"سماريدس"بيدها شعرها من على وجهها الرقيق ونطق ثغرها بابتسامة حياة وقالت له:

- وأنا لم أعرف أن لى ابن عم يتألم من حرج صغير كما وصفه الملك"ساران".

ثم ضحكت عندما رأت لاحظت تغير ملامح وجهه، وقالت له:

- هل يغضبك المزاح؟!

اعتدل فى جلسته وهو ما زال ينظر لها وقال وهو يشير نحوها:

- كيف لى أن أغضب من كلمة نطقها ملاك برىء، لى أن أندم حقًا أننا لم نتقابل قبل الآن، أنا لا أجد كلمات تساعدينى فى وصفك.

كلماته كانت تقع عليها فتزيدها حيرة وخجل وحياء، وأيضا أعجبت به منذ سمعت بما فعله فى المعركة وزاد إعجابها عندما دخل عليها مصابًا يحمله بعض الجنود لكنها عندما تفحصته بنظرها فعرفت أنه صاحب جسم قوى مفتول،

طويل القامة، بشرته بيضاء قليلا، تتجلى الوسامة على وجهه، عندما صمتت، أشار بيده فى وجهها وقال وهويضحك:

- إلى أين ذهبتِ وتركتينى؟

ضحكت وقالت:

- تذكرت تلك الأيام الصعبة التى كنت فيها جارية أُباع وأُشترى وكيف كان القدر رحيمًا بى فى النهاية عندما أنقذنى أخى الملك "ساران".

ظهرت الجدية على وجهه وأراد أن يشاركها ذكرياتها، فقال لها:

- هل تمانعين أن تحكى لى كل ما وقع معك منذ البداية، وأنا أيضا يجب أن أحكى لك كل ما حدث معى.

استحسنت"سماريدس"كلامه، فهى بلا شك فرصة لتتعرف عليه أكثر فهو يظل ابن عمها أولا وأخيرا، فابتسمت وقالت له:

- احك أنت أولا، لكن لا تنس أن الملك"ساران"ممكن أن يدخل علينا فى أى وقت.

فنظرفزعًا ناحية مدخل الخيمة، فضحكت من تصرفه، وقالت:

- أهذه الدرجة تخاف من الملك"ساران"!

فخجل من نفسه لكنه قال:

- ليس كما تظنين، الأمر أننا فى حرب ويجب أن نذهب للنوم مبكرًا.

- اطمئن يا بطل! العدو انسحب بقواته، و"ساران"أمر الجيش بالراحة لمدة ثلاثة أيام قبل أن يستأنف الزحف لمحاصرة هؤلاء الخونة والملك فى خيمته الآن يناقش أمر الهجوم مع الملك"سارى" والوزير الحكيم.

ظهر السرور على وجه"سواتن" فقال لها:

- أنا سعيد الحظ أننا سنظل نتحدث سويا حتى مطلع الفجر، وسوف أبدأ لك الحكاية منذ أن هربت من السجن فور أن علمت بمقتل عمى الملك.

ذكر سيرة والدها الملك الراحل جعلتها تشعربالحزن وظهر على وجهها لكنها قالت له:

- لتبدأ الحكاية من فورك قبل أن يسرقنا الوقت.

بدأ"سواتن"يقص عليها قصة وكيف أنه خاف بعد قتل الملك"برقان" بهرب من السجن بمساعدة بعض الحراس، فقد أوهمه البعض أن الملك "ساران"فى الطريق إلى"أقناموس"وسيقوم بقتل كل ما له يد فى مقتل والده.

وأخبرها كيف خاض الوديان والجبال والغابات حتى وصل لمكان كثيف الأشجار ورأى مجموعة من الجياد تقف وليس بجوارها أشخاص، وسظل يحكى لها وهى مهتمة مصغية له، رغم أنه كان يجاهد نفسه بذكر تفاصيل لم يحدث منها شيء، حتى لا تكتشف كذبه، لكنه سكت فجأة عندما تذكر ما فعله حقًا وبدا عليه الندم وأنه استعجل باتفاقه مع تلك العجوز الماكرة فتذكر تفاصيل لقائه مع الجميلة"شاروسة" التى أسرته بحسنها وجمالها ودلالها، وسرح فيما حدث بينهما، حتى عندما أبلغته بأنه سيقابل الملكة"دنهش"وعندما دخل عليها ووجدها تجلس على كرسى كبير وحوالها الكثير من الجوارى الجميلات التى تسلب العقل، وقتها بادرته قائلة:

- مرحبًا بالملك المعظم"سواتن".

استغرب من أنها تناديه بهذا اللقب وهو مجرد أمير مطرود من مملكته فأردفت قائلة:

- ألا تريد أن تصبح ملك"أقناموس".

- وكيف هذا؟

ضحكت وقالت بمكر ودهاء:

- ليس هذا وفقط، بل ستكون زوج الأميرة الجميلة"سماريدس" لكن أولا عليك بتنفيذ ما نطلبه منك حتى نساعدك لتصبح ملكا.

من دهاء الماكرة أنها ألقت إليه بالطعم حتى يطمع، ولا يفكر فى أى أسئلة أخرى لكنه فطن وليس سهلا أن يمر عليه هذا العرض السخى دون معرفة تفاصيل، فقال:

- من أنتم ؟ وما مصلحتكم فى مساعدتى حتى أصبح الملك؟ وما المقابل؟

قامت "دنهش"من على الكرسى واقتربت منه وهى تضحك وتقول:

- أنت فعلا تمتلك الذكاء مثل باقى قومك، لكنى سأخبرك بكل شىء.

ثم غمزت بعينها لـ "شاروسة"التى بدروها فهمت واقتربت منه ووضعت يدها على كتفه بدلال لأتؤثر عليه، فأكملت العجوز كلامها وقالت:

- أنت الآن فى مملكة"بنى دهمان"وأنا أم الملك"ميمون أبا نوخ"وبيننا وبين مملكة"أقناموس"حروب كثيرة لأسباب مختلفة، وقد قتلت الملك "برقان" لأنه تعدى علينا.

عندما ذكرت أنها من قتلت الملك"برقان"انتفض"سواتن"من هول المفاجأة، فهو هرب من قبل معرفة القاتل، إلا أن"شاروسة"ربتت على كتفه، فقالت العجوز:

- هل حزنت على مقتل عمك الذى حرمك من الملك وأمر بإلقائك فى السجن، سنعيد لك مقامك بشرط أن تساعدنا فى قتل الملك"ساران"وتصبح أنت الملك، بعدما تتزوج من "سماريدس".

قال لها متسرعًا، كأنه فعلا كان يطمع فى الملك:

- يتبقى للملكة ملك آخر.

ضحكت وقالت:

- أتقصد هذا الصغير"سارى"، لا تخف سنتولى أمره أن عارضك باختصار سنقدم لك كل العون وشرطنا هو المساعدة فى قتل"ساران".

تذكر"سواتن"أمرًا، فقال لها:

- أنا هربت من السجن، فبأي وجه أعود لهم، حتى لو عدت سيقتلنى القوم على الفور.

وضحت العجوز له الأمر، فقالت:

- من السهل أن تبرر لهم سبب هروبك، وتقول لهم أن هربت خوفًا من اتهامك بالاشتراك فى قتل الملك، والجميع الآن يعرف أن من قتل الملك هى أنا الملكة المقدسة"دنهش".

- هذا سبب هروبى، إذا ما سبب عودتى لهم؟

- من لحظات كنت أقول عليك فطن، ستقول لهم أنك علمت بالحرب الدائرة فقررت العودة لمساعدة أبناء عمك، وتختلق لهم أى قصة إن سألوك أين كنت الأيام الماضية ومن أين علمت بالحرب.

عندما لاحظت تردد فى الموافقة، أردفت قائلة:

- ألا يستحق كرسى العرش التضحية؟!، ألا تستحق الجميلة "سماريدس" التعب من أجل الفوز بها.

ظهر عليه أنه بدأيحلم بلقب الملك فقال:

- وكيف أساعدكم فى قتل الملك "ساران"؟

ابتسمت الماكرة "نائلة أم الشعور المائلة" وقالت:

- "ساران" وجيشه الآن بالقرب من مملكتنا ، والمطلوب منك أن تسهل لنا التسلل إلى المعسكر، والوصول لخيمته وقتله.

- وكيف أسهل لكم الدخول.

- بعد ثلاثة أيام من الآن ستخرج من المعسكر فى منتصف الليل دون أن يعلم أحد و تسير حتى موضع الأشجار الكثيفة ومعك ملابس لرجلين من ملابس جيش "ساران" وهناك ستقابل رجلان أُرسلهم لك، وبعد أن يرتديا ملابسكم ، ستعرفهم الطريق لخيمة "ساران" ودع الباقى عليهم.

أخذ "سواتن" يفكر فى كلامها، ثم قال:

- وماذا سيحدث بعد ذلك؟

اقتربت منه ووضعت يدها على كتفه وهى تقول:

- جيشكم يستمد قوته من قوة الملك"ساران"وعندما نقوم بقتله سيصبح من السهل هزيمة الجيش وقتل"سارى"فى الحرب، ولن يتبقى من الأسرة إلا الأميرة"سماريدس"وأنت ابن عمها ونفس الدم الملكى فطبيعى أن تتزوجها وتصير الملك.

وقبل أن يزيد فى الأسئلة أشارت العجوز إلى"شاروسة"بيدها أن تأخده وتعده للعودة إلى حيث الجيش، كانت تريد بهذا أن تستطيع"شاروسة" بدلالها وجمالها أن تقنعه أكثر بالموافقة، فخرج وذهب مع"شاروسة" إلى الغرفة التى قضى فيها الأيام السابقةوهناك.....

فظنت"سماريدس"بأن"سواتن"غلبه النوم بسبب تعبه، فنبهته قائلة:

- ما هذا الصمت الطويل، ظننت أن النوم غلبك.

فانتبه"سواتن"من تذكر اتفاق مع العجوز، ونظر إلى"سماريدس"وقال:

- هذا ماحدث معى منذ هروبى من السجن، والآن أخبرينى بما حدث معك وكيف أصبحت جارية؟!

****

القمر وحيدًا يتوسط كبد السماء التى خلت من النجوم إلا بعضها أبى إلا أن يكون مصاحبًا للقمر فى رحلة الليلية، داخل خيمة الملك"ساران" الذى توسط الجلسة وعلى يمينه الملك"سارى"وعلى يساره الوزير "يوشهور"وكانت المناقشة حول ضرب حصارعلى"بنى دهمان وبنى الأحمر"بعد فرارهم من المعركة وتحصنهم بالمدينة.

تحدث الحكيم"يوشهور"وسأل الملك"ساران"عن"سواتن"فقال:

- لست أردى ما أصنع معه، هل أسجنه كما فعل أبى أم أتركه وأنا لست مرتاحًا له.

قال"سارى":

- هل فعل ما يُعاقب عليه؟؛ لقد أبلى بلاء حسنًا فى القتال حتى أصيب

قال الوزير:

- هل سألته يا جلالة الملك، لماذا هرب ولماذا عاد؟

تنهد الملك"ساران"وقال وقد بدت الحيرة على وجهه:

- نعم سألته،ولكن لم أفهم مما قاله شيء، غيرأنه هرب خوفًا من العقاب، وعاد للمساعدة عندما علم بالحرب التى نخوضها.

قال الوزيروهوينظرللملك:

- لا تنس يا مولاى أمر أختكم"سماريدس"،العدو لن يهدى حتى تكون الأميرة تحت أيديهم بالزواج أو بالقتل، ونحن نستطيع المحافظة على الدم الملكى بأن تتزوج الأميرة"سماريدس" من"سواتن"

انتفض الملك"ساران"وهب واقفًا وقال:

- لست أوافقك الرأى أيها الوزير، وأخبرتك قبل ذلك أن"سواتن" من الممكن أن يتحالف مع الشيطان الأكبر طالما كان فى مصلحته لذلك أعلنها صراحة أمامكم، أنا لا أثق فى"سواتن" وعندما نعود للملكة سيكون لي معه تصرفًا آخر.

ثم جلس الملك بعدما هدأت ثورته وقال للوزير:

- بالنسبة للدم الملكى، فأنا لدى الحل، فقد سمعت أبى يومًا يتحدث عن كتاب ملكى موجود فى مكتبه القصريسرد نسب أسرتنا العريقة، وأن هناك بعض الملوك يربطنا بهم نفس الدم، بعد انتهاء الحرب سنرسل لهم الهدايا ونطلب الزواج من بناتهم، وقتها ممكن أيضا أن تتزوج"سماريدس"منهم وبهذا نكون وجدنا حلا للمشكلة دون الاستعانة بـ"سواتن".

وافق الملك"سارى"والوزير الحكيم"يوشهور"على رأى الملك"ساران" وقاما طلبًا للراحة بعض الوقت قبل أن تعلن السماء عن مولد فجر يوم جديد، فأذن لهم الملك"ساران"بالانصراف، أما هو فقام إلى فراشه واستلقى على ظهره وقد أعاد حديث الزواج إليه ذكرياته مع الأميرة "سيلين"، فقد كان شغف بها حبًا على الرغم من علمه باستحالة الارتباط بها بعدما قصت عليه قوانين بنى جلدتهم وكيف تأثروا بزواج والده الملك"برقان"من"ميرة"وكانت النتيجة ما هم فيه الآن من كل هذه الحروب المتواصلة والتى ستتواصل إلى ما لا نهاية وتذكر مقولتها: أنتم عدو لنا ونحن عدو لكم.

دخلت الخيمة بكامل زينتها وهى تبتسم برقة كالعادة، حتى اقتربت منه فاعتدل فى جلسته وقال لها بعفوية:

- أحبك

فضحكت ضحكة زلزلت كيانه وهزت أرجاء الخيمة، ثم قالت:

- أنا أيضا ، أحبك..... ولكن..... أنت مخلوق من غير بنى جلدتنا ومهما نفعل لن يتركونا نتزوج.

وقف و أمسك بيدها، ونظر لعينيها التى بدأت الدموع تتساقط منها وقال:

- سنترك هذا العالم ونهرب إلى أبعد مكان، ونعيش سويا طول العمر

- أنا معك فى كل مكان حتى لو افترقنا، ستجدينى دوما معك لكن عليك ألا تنسانى.

ومدت يدها له، فابتسم ومد لها يده، وفجأة اختفت، بحث عنها فى الخيمة لم يجدها فقد كان يتحدث مع سراب ، فاستلقى على فراشه وهو يردد:

- لن أنساكى ... لن أنساكى مهما حدث.

****

مع نسمات الفجر الناعمة شعر بنشاط يدب فى أوصاله، فقررأن يخرج من خيتمه ليستقبل تلك النسمات المنعشة لعلها تمنحه بعض القوة ينسى بها الألم الذى ما زال يشعربه، سار فى اتجاة الأشجار فسمع صوت خرير مياة تتساقط محدثة صوت نغمات رتيبة لكنها محببه إلى النفس، اقترب من الصوت فوجده شلال صغير يتساقط من أعلى.

مد يده فلمس الماء فوجده باردًا، تشجع وتخفف من ملابسه وخطى حثيثًا ووقف تحت الماء المتساقط، ثم تفقد جرحه فوجده نظيف بفعل المياة الباردة، أغمض عينيه وترك المياة تتداعب جسده وراح يتذكر كل ما مر به منذ موت والده، وقام عمه بتربيته مع ولده لأنهما كان فى نفس السن تقريبا، لكن تبدلت الأحوال وبدأ الوشاة الوقيعة بينه وبين عمه، حتى وصل به المطاف إلى السجن.

عاد من ذكرياته إلى حاضره حينما سمع صوت أقدام تسير فوق الحشائش، فانتبه وفتح عينيه وبدأ يتلفت يمينًا ويسارًا لكى يعرف من أين يأتى هذا الصوت، وفجأة شعر بحجر صغير يلقى نحوه فسقط فى الماء اندهش وخرج من تحت الماء وبدأ يبحث فلم يجد أحدًا.

وفجأة.....

جاءه صوتها الرقيق وهى تضحك وتقول:

- ما أشجعك أيها الأمير! أنت حقًا فارس شجاع.

التفت ناحية الصوت، فلمحها تتعلق بغصن شجرة، فأشارلها بيده، ثم ضحك وقال:

- إلى متى ستظلين صغيرة؟

ثم اقترب منها ومد لها يده ليساعدها على النزول، فكادت أن تسقط فتلقاها بين يديه فتلاقت عيونهما لحظات، فأجبرها حياؤها أن تبتعد بعينيها، فسارت حتى وجدت صخرة بقرب شلال المياة فجلست عليها وقالت وهى تتحاشى نظراته:

- ماذا تفعل هنا فى هذا الوقت المبكر؟

جلس بجوارها وهو يمسك قميصه فى يده، وتصنع أنه يقوم بارتدائه فقد شعر بأن قلبه يضرب صدره بقوة أثرت على لسانه فتعلثم وهو يقول ردًا على سؤالها:

- أشتكى حالى لطيور الصباح، فقد سُرق قلبى ولم أعد قادرًا على إعادته.

فهمت ما يرمى إليه، فقالت وهى تلعب بخصلات شعرها وتنظرللأسفل بحياء:

- وماذا قالت طيورالصباح عن شكواك؟

قال بخبث و هو يحاول أن يمسك يدها:

- كانت ستقول الكثير، لكنها هربت عندما قمت أنت بإلقاء حجر فى الماء، فماذا أفعل الآن، وإلى من أشتكى؟

ضحكت وقالت:

- لم أكن أعلم أنك تصاحب الطيور وتشكتى لها، سأتركك الآن عسى أن تعود إليك فتكمل حديثك معها.

وهمت وافقة، فجذبها من يدها برقة، وقال لها:

- أنت هكذا دائمًا، ليلة أمس تركتينى دون أن تقصى على قصتك كما كان الاتفاق بيننا، و الآن تودى أن تتركينى للمرة الثانية

ثم عقد حاجبيه كأنه تذكر شيئا، فقال لها:

- ولماذا أنت الأخرى جئتِ إلى هذا المكان مبكرًا، ألك أيضا أصدقاء من الطيور تشتكين لها.

ضحكت وقالت:

- لا؛ استيقظت مبكرًا، فقررت أن أمر على خيمتك لأطمئن عليك فلم أجدك، فسرت إلى هنا حيث أستنشق هواء الصباح كالعادة منذ نزلنا هذا المكان قبل مجيئك.

نظرلها بعض اللحظات وهو صامت، ثم قال:

- الآن عليك أن تحكى لى قصتك كما اتفقنا.

ظهر الحزن فى عينيها، عندما تذكرت ما حدث بها، و بدأت تقص له كل شىء منذ خرجت للصيد مع أخيها وهؤلاء القوم الذين خطفوهما وتركها لأخيها المريض وحكايتها مع التاجر الذى باعها لأخيها"ساران" و هى لا تعرف أنه ملك"زغدانة"وكيف تقابلت مع"سارى"مرة أخرى.

كانت كل كلمة تحكيها تقربها منه، فقد صارت تمتلك قلبه، لكنه يخشى أخيها فهو يشعر أن"ساران"لايحبه بسبب اعتقاده بأنه يسعى للملك كما كان الملك"برقان"يعتقد ذلك من كثرة أقوال الوشاة.

انتهت من سرد قصتها له ثم أخذت تنظر حولها، وقفت فجأة، وقالت:

- لنعُد الآن إلى المعسكر حتى لا يلاحظ "ساران" غيابنا.

عندما اقتربا من خيام المعسكر ودعها على أمل لقاء قريب بينهما.

صباح جديد بلون الشمس التى نشرت شعورها على الأفق فصبغت كل الأشياء بلونها المفضل، وتوارى الليل ووقف يتابع من بعيد، حيث نودى فى الجيش بالاستعداد للتحرك نحو معسكر الأعداد.

وقف الملك "ساران" يتابع التجيهزات وبجواره أخيه الأصغر ووزيره الذى قال:

- نحن الآن على أهبة الاستعداد يا مولاى، وسنضرب عليهم حصارًا شديدًا وقد علمت من عيوننا أن جيشهم يعسكر على بعد يوم من قلعتهم الحصينة.

قال "ساران":

- لن أرتاح حتى أكسر شوكتهم وأدمر قلعتهم وأقطع رأس تلك الأفعى الرقطاء "دنهش".

ثم التفت "ساران" لأخيه الملك الصغير "سارى" وقال:

- ستظل أنت يا "سارى" عند الراية لتكون بعيدًا عن القتال، فأنت من بقى لنا من أسرة الملوك، وإن حدث لى

شىء تكمل أنت المسيرة وتطرد هؤلاء الطغاة وتنتقم لشعبنا.

اقترب منه "سارى" وقال بود:

- كيف هذا أيها الملك، اسمح لى يا أخى أن أحارب إلى جوارك.

ربت "ساران" على كتف أخيه وهويقول:

- ما زلت صغيرا أيها الملك الهمام، كما أن بقاءك للملكة أعظم عندى من الانتصار على هؤلاء القوم، أتريد أن تنتهى أسرتنا إن حدث لك مكروه.

لم يجد "سارى" ما يرد به، فانصاع لأمر أخيه وقال:

- سمعًا وطاعًا أيها الملك المعظم.

ثم اتجه الملك بالكلام للوزير الحكيم وقال له:

- ستقود أنت أيها الوزير الميسرة وسأكون أنا فى القلب، و"سواتن" يكون فى الميمنة.

وأردف وهويتلفت يمينًا ويسارًا كأنه يبحث عن شيء:

- مالى لا أرى "سواتن" أم كان من الهاربين؟

فقال له الوزير "يوشهور" وهويشير ناحية الخيمة:

- الأمير "سواتن" هناك يا مولاى يتحدث مع الأميرة "سماريدس"

فتعجب "ساران" مما سمعه من الوزير وقال:

- سماريدس! ارسل من يستدعيهما حالا.

أرسل لهما الوزيرجنديًا، فجاءا على الفور وامثلا بين يدى الملك، الذى قال بلجهة ساخرة:

- أرى أن الأمير "سواتن" قد لا يفضل القتال لذا هو يتأخرليكون فى موكب النساء.

فهم "سواتن" ما يرمى إليه الملك فقال له:

- "سواتن" لا يخش الحرب والنزال سيدى الملك، بل سأكون فى مقدمة الجيش أول من يبارز الأعداد.

هز الملك رأسه وهو يبتسم باستهجان، ولم يعقب على كلام "سواتن" بل قال مخاطبًا أخته الأميرة "سماريدس":

- ستلزمى مكانك الذى خصص لك، حتى نطمئن عليك، ومهما حدث لا تتركى مكانك، وإن احتجتى لشىء اطلبيه من الفرقة المكلفة بحمايتك.

شعرت "سماريدس" بأن أخيها الملك "ساران" لا يحب "سواتن" ولا يطمئن له لكنها لم تبدى أى اعتراض على ما أمرها به واتجهت عائدة إلى حيث تنتظرها جواريها، وهى خائفة أن يقع صدام بين "ساران" و "سواتن".

كان "سارى" يتبعها بنظره حتى أصبحت على مسافة بعيدة منهم، فقال لأخيه:

- رفقا بـ "سماريدس" يا جلالة الملك.

رد عليه "ساران" بحدة قائلا:

- كيف تقول هذا أيها الملك! وأنت تعرف أننا نحارب من أجل المحافظة على حياتها، لا تقلق فأنا أعرف كيف أراضيها بعد أن ننتهى من الحرب.

كان "سواتن" يقف بالقرب منهما، لكنه لم يفهم ما قصده "ساران" فظل صامتًا، حتى قال له الملك "ساران" وهو يربت على كتفه:

- والآن أيها الفارس الشجاع ستكون بجوارى فى ميمنة الجيش، حتى نرى قوتك وشجاعتك فى النزال.

****

- ستندم أشد الندم يا"سواتن"على خيانك لى.

قالتها"دنهش"متحدثة لنفسها وهى تجلس بمفردها تفكر فى حيلة جديدة للتخلص من الملك"ساران"لأنه كما تردد دائما سر قوة جيشه وإن قتل أصبح من السهل القضاء على الجيش، أخرجها من وحدتها دخول ابنها "ميمون أبا نوخ"الذى قال:

- والآن ما الحل يا أمى، وقد فشلت حيلتك، وجيش"ساران"الآن على بعد مسيرة يومين وحتما ستكون هناك مواجهة وصدام معهم.

وقفت"دنهش"وصرخت فى وجه ابنها وقالت:

- لن أعدم الحيلة أبدا ولن أرتاح حتى أقتل هذا الملعون"ساران".

ضحك"ميمون أبا نوخ "بسخرية وقال:

- ليس هناك وقت لتدبير حيلة أخرى، فقد أزف الوقت ولم يبق لنا إلاخوض الحرب مهما كانت النتائج.

قالت العجوز الماكرة:

- قلت لك نتحصن كلنا داخل الأسوار ولا داعى لخروج الجيش لملاقاتهم كنا سنكسب بعض الوقت لتدبير حيلة جديدة.

اقترب منها وقال:

- من الغباء التحصن داخل المدينة وأن نتخد من أسوار القلعة حماية لنا، فأن هزمنا"ساران"داخل المدينة قتلنا جميعا، لكن الآن لنا فرصتين نحارب فى الخارج وأن انهزمنا ندخل المدينة ونحتمى بالأسوار.

قالت الماكرة وهى تجوب الغرفة كأنها تخطط لشىء ما:

- اذهب أنت وجيشك فقاتلا، أما أنا سأظل هنا أخطط وأدبرحتى أجد الطريقة التى تجعل رأس"ساران"حتى قدمي هنا فى القلعة.

اقترب منها وأخذ يربت على كتفها وهويقول:

- اطمئنى يا أمى، فقد جهزنا كل شىء وأعدك أن تكون رأس"ساران" هديتى لك.

ابتسمت الأم وقالت لابنها:

- وماذا عن جيش الملك"مُرة الأحمر"؟

- بالطبع سيكون معنا فى الحرب وقد اتفقت معه على خطة لو تمت كما دبرنا لها سننتهى من الحرب فى أسرع وقت.

اندهشت العجوز من كلام ابنها كبير عائلة الميامين:

- خطة ! ما هذه الخطة ولماذا لم تخبرنى بها، أم لم أعُد محل ثقتك أيها الملك الأعظم!

فأمسك "ميمون"بيدها وقبلها وقال:

- عفوا أيتها الملكة المقدسة"دنهش" لم أقصد هذا بالطبع، اتفقت مع الملك"مُرة الأحمرة"أن أطلب مبارزة الملك"ساران"وأقتله وبذلك نكون حققنا ما نصبوا إليه.

لم يعجبها ما قاله ابنها فصرخت فى وجهه قائلة:

- ماذا تقول! ألا تعرف من هو"ساران"؟ ألم يقتل"ساروخ" أمام عينيك؟ أين أنت يا"ميمون"من قوة وشجاعة"ساروخ"!

ثم أردفت قائلة وهى فى شدة غضبها:

- ولماذا لا يخرج "مُرة" لتلك المبارزة، لماذا يا بنى تعرض حياتك للخطر، لم يبق لى إلا أنت بعد موت العزيزة"سيلين"التى قُتلت أيضا بسبب المعلون"ساران".

حاول الملك"ميمون"تهدئة والدته فقال لها:

- لا تخافى يا أمى، فأنا أعرف كيف أقتل"ساران"وإن كان هو أقوى وأشجع منى كما تقولين، فسأقتله بالحيلة كما تعملنا منك أيتها الملك المقدسة، فلاتخافى ولا تحزنى وقرنى عينًا.

لم تجد الداهية"نائلة أم الشعور المائلة"مفرًا من موافقة ابنها على ما قاله، فاحتضنته وأخذت تمسح على رأسه وتقول:

- أتمنى لك النصريا بنى العزيز.

ابتسم لها "ميمون"، فوجهت له بعض التوجيهات والنصائح يلتزم بها فى قتاله مع الملك"ساران"، فانحنى وقبل يديها واستأذن منها وخرج إلى حيث ينتظره الجيش خارج أسوار المدينة.

****

دقت ساعة الحسم وها هو جيش"أقناموس"نصب الخيام بالقرب من معسكر الأعداء، وفى الوقت الذى كان فيه الجيش يستعد، جلس"ساران" فى خيمته يرتب لخطة الهجوم فقال، وهويشيرلخريطة أمامه:

- سأكون فى قلب الجيش، ويكون"سواتن"فى الميمنة، والوزير الحكيم"يوشهور"فى الميسرة، أما الملك"سارى"كما اتفقنا سيكون تحت الأعلام والرايات حتى يكون بعيدًا عن مواطن الخطر.

وهم على هذه الحالة أقبل الحارس واستأذن فى الدخول فأذن له، فدخل الخيمة وقدم التحية للملك الذى بادره متسائلا:

- ماذا وراك أيها الحارس؟

فقال الحارس وهو ينحنى أمام الملك:

- أتى رسول من عند الأعداء يا سيدى؟

فقال الملك"ساران":

- وأين الرسالة؟

- ليست رسالة مكتوبة يا سيدى، هو يريد المثول بين يديك

استغرب الملك مما سمعه وقال للحارس، خذ منه السيف وادخله، انحنى الحارس للملك وخرج وبعد لحظات عاد وهو يصطحب رسول الأعداء وظهر من هئية الرجل أنه كبير السن تظهر عليه علامات الهيبة والوقار، فقدم التحية للملك فقال له الملك بعد أن رد تحيته:

- ما الرسالة التى تحملها لنا أيها الرجل؟

ابتسم الرجل بدهاء وقال:

- أريد أولا من الملك المعظم "ساران" أنى يعطينى عهد الأمان

وبعد أن تعهد له الملك" ساران" بالأمان ، قال الرجل مخاطبًا الملك:

- الحرب لا تجر إلا الخراب يا سيدى الملك، وقد نصحت الملك الأعظم "ميمون أبا نوخ" بأن من الصواب حقن الدماء والاكتفاء على مبارزة فارسين فوافق على نصيحتى، وهويقول لكم:

- أنه يفتدى جيشه بدمه ويطلب منكم أن يفعل الملك "ساران" مثله ويفتدى جيشه بروحه.

نظر الملك "ساران" لمن حوله، ثم التفت للرسول وقال:

- وماذا بعد؟

أكمل رسول العدو كلامه فقال:

- أن قتلت الملك "ميمون" كان لك ما تريد، وأن هو قتلك فينهى الجيش الحصار، ويعود من حيث أتى.

أسرع "سارى" بالرد وقال لأخيه "ساران":

- هذه خطة ماكرة يا أخى فلا توافق عليها.

فطلب "ساران" من أخيه أن ينتظر، ثم قال موجهًا كلامه للرسول:

- عد إلى من أرسلك وقل له لست أحرص على دماء جيشك من الملك "ساران" لذلك فقد وافقناه على طلبه وتكون المبارزة فى صباح الغد.

ففرح الرسول بموافقة الملك، وقدم التحية له وخرج عائدًا إلى قومه.

أما الملك فوجه كلامه للحضوروقال:

- الملك"ميمون" يريد أن يقلب على الجيش و يدعى أنه يريد حقن الدماء فإن رفضت ظهرت أمام الجميع أنى لا أحب السلام الذى فطر عليه بنو جنسنا، عكس هؤلاء القوم الذين فطروا على حب الدماء.

قال الحكيم"يوشهور":

- معك كل الحق يا مولاى الملك، فهؤلاء القوم لا عهد ولا أمان لهم منذ آبانا الكبير عندما خدعه أبيهم، حتى عندما قتل الأخ الأول أخيه الأول كانوا هم السبب أيضا.

قال الملك"سارى":

- لكنى أخاف عليك يا أخى، فقتلك هو غاية ما يتمناه هؤلاء وستكسر شوكتنا إن حدث لك مكروه.

ابتسم الملك"ساران"وقال لأخيه:

- وأين أنت أيها الملك الصغير وقد عقدنا العزم بأنك ستكون حامل لواء جنسنا من بعدى فلا تحزن ولا تبتئس بما يفعلون، هل لنا من النصيب مفرنلجأ إليه.

ثم أمر الملك الجميع بالخلود إلى الراحة حتى صباح الغد، حيث سيكون النزال بينه وبين ملك بنى دهمان الملك"ميمون أبانوخ".

توجه الجميع إلى الخيام طلبًا للراحة بعد مشقة السفر، فإذا بـ"سواتن" عندما دخل خيمته قد لمح خيال يقف خلفها ويهمس باسمه، فانصت للصوت جيدا

فعرف أنه صوت الأميرة"سماريدس"فخرج مسرعًا قبل أن ينتبه أحد وجذبها من يدها وعاد إلى الخيمة وقال لها:

- ألن تكفى عن أفعال الصغار هذه، كيف تأتى فى هذه الساعة وقد سمعتِ بأذنيك ما قاله"ساران"عنى!

ضحكت بصوت مرتفع ثم وضعت يدها على فمها حتى لايسمعها أحد وقالت:

- هل تخاف على نفسك أيها الفارس الشجاع أم تخاف على؟

عقد"سواتن"حاجبيه، وقال لها:

- بالطبع أخاف عليك، وأخاف أن يرانا"ساران"نتحدث سويا، فقد شعرت بكرهه لى.

أسرعت"سماريدس"بالرد فقالت:

- أنت مخطىء فى إحساسك هذا، فقلب أخى"ساران"لايعرف الكره لكنه يخاف على جدًا، لذلك يغضب إن خالفتُ أوامره ، لأن ذلك يعرضنى للخطر.

جلس"سواتن"على فراشه وجعل ظهره لها وقال بأسى:

- أنت صغيرة ولا تعرفى شيئا، فقد زرع عمى الملك الراحل "برقان"فى نفس"ساران" الكره من ناحيتى وافهمه بأنى أنتظر أى فرصة للوثوب على كرسى المملكة.

قالت"سماريدس"بدلال:

-أولا أنا لستُ صغيرة كما تدعى، ثانيًا أنت ابن عمى وأقرب الناس إلى.....

ثم صمتت بعدما كسا الحياء محياها، فتحاشت النظر فى عينيه، فاقترب منها ورفع رأسها بيده حتى تلاقت العيون، وقال لها:

- لما لم تكملى كلامك، أنا أقرب الناس إلى ماذا؟

ازداد احمرار وجهها الطفولى وشعرت بدقات قلبها تدق كطبول الحرب ولسانها يريد أن ينطق فشجعه قلبها وعقلها، فقالت بعد حين:

- ألم تعرف بعد يا"سواتن"أنك أقرب الناس إلى قلبى!

انتشى قلبه بكلماتها وأراد أن يحتضنها، لكنه أحس بحركة حول الخيمه فهب واقفًا، فضحكت من تصرفه، وأسرعت نحو الخارج وقالت هى مازالت تضحك:

- حسنًا يا قلبى، لقد عشقت فارسًا شجاعًا.

أخذت قلبه معها قبل أن تخرج وتركته وحيدًا، فاستلقى على فراشه وأخذ يستعيد كلامها ويبتسم، وقد شعر بأنها امتلكت عليه كل أحاسيسه ومشاعره، ثم تجهم وجهه فجأة عندما تذكر اتفاقه مع تلك الملعونة "دنهش"وعرف أنه أصبح الآن عدوًا لها بعد أخلف وعده معها ولم يخرج إلى الغابة ومعه ملابس بعض جنود الجيش كما اتفقا.

فاعتدل على جنبه واستعد للنوم وهو يردد:

- فلتذهب"دنهش"إلى الجحيم، ليس لى الآن إلا"سماريدس"

ثم راح فى نوم عميق وعلى وجهه ابتسامة عاشق وجد الحب أخيرا ولن يتنازل عنه.

كان يجلس على كرسى كبيرمزين بالورود والرياحيين، وحوله الخدم والجوارى تنظر له وهم فى غاية الفرح ومن بعيد أتت محفة محمولة على أكتاف الرجال وهى تجلس فوقها فى أبهى زينتها تبتسم له، فوقف عندما لمحها ونزل من على كرسيه وسار ناحيتها ركع الرجال بالمحفة فناولته يدها فأمسك بها وأخذها واتجه ناحية الكرسى مرة أخرى وأجلسها بجواره وهم يتبادلان النظرات والإبتسامات والجوارى أمامهما يغنون ويرقصون والكل كان فى سعادة ويهتفان باسمها واسمها.

وعلى حين غفلة....

نظرت له، ففزعت من منظره وصرخت وهى تضع يدها على فمها وتقول له:

- ما هذا يا"سواتن"؛ إن جسدك يقطر دمًا!

أفزعه كلامها، فنظر إلى جسده فوجد الدماء تتساقط منه كشلال هادر فأخذ فى تحسس جسده فوقعت عينه نحو الأسفل فوجد الدماء ملأت الساحة كأنها نهر يجرى، والجميع من حوله يتأسفون على منظره.

انتفض من نومه، وهو يتنفس بصعوبة وأدرك أنه كان يحلم.

****

وفى الصباح كان الموعد المتفق عليه بين الملك"ساران"ملك مملكة "أقناموس"والملك"ميمون أبا نوخ"ملك مملكة "بنى دهمان"وكبير عائلة الميامين.

اصطف الجيشان وشُكل حلقة كبيرة ستكون مكانًا للمبارزة، وخرج من وسط جيش بنى دهمان فارس مثلم وسار حتى أصبح فى وسط الحلقة وصاح بأعلى صوته وهو يكشف عن وجهه:

- من يعرف قوتى وقد استسلم للقضاء فقد نجى منى، ومن لم يقر بشجاعتى وقوتى فسوف يعلم ماذا سيجره عناده عليه عندما فكر فى مواجهتى فى النزال.

فأخذ جيشه يهته باسمه وهم يصيحون ويصرخون، أما"ساران"فخرج من وسط جيشه وهويمتطى فرسًا بلون القمر، يتهادى فى مشيته حتى أصبح فى مقدمة جيش فالتفت ناحية"ميمون"وقال:

- اليوم سيعلم الذين ظلمُوا أى منقلب ينقلبون، فلقد عاثوا فسادًا فى الأرض وخربوها وأغوا بنى جنسنا وبات كل همهم أراقة الدماء.

صاح"ميمون أبا نوخ"وقال:

- وما أغونياكم ولكن كنتم فى ضلال مبين.

فتقدم نحوه"ساران"بفرسه فى شجاعة وحمل عليه، فقابله"ميمون" بشجاعة وظل الاثنان يصطدمان كأنهما جبلان، فكانا يتقاربان ويتباعدان وظلا فى كر وفر، والجيشان كما هما ينظران وينتظران الفائز من هذا النزال العنيف.

توقف"ميمون أبان نوخ"عن القتال كأنه يلتقط أنفاسه من شدة ما لاقى من قوة وبأس الملك"ساران"وقال بصوت عال:

- رفض آبانا الكبير السجود لأبيكم، وقد تعملنا الدرس ولن نسجد لكم أبدًا أيها العبيد، فكيف نسجد لكم وجنسنا أفضل من جنسكم.

رد عليه الملك"ساران":

- رفض أبوكم السجود لأنه من العصاة وأنتم كذلك من المطرودين من الرحمة، والحرب بيننا وبينكم مستمرة لأنكم عدو لنا، وإن كنا عبيد كما تقول فنحن عبيد الكبير اختصنا بجزء من الرحمة و اختصنا بالخلق والخُلق، لكنكم أشباه القردة.

أثارت كلمات"ساران"الغضب فى نفس"ميمون"الذى استغل انشغال "ساران"فى الكلام ورماه بحربة على حين غرة، فانتبه"ساران"بسرعة ومال برأسه إلى الخلف حتى يتفادى الحربة لكنها أصابته فى صدره فصاح بصوت مرتفع من شدة الألم وكاد أن يسقط من على فرسه، لكن أسرع نحوه أخوه"سارى"والوزير و"سواتن"الذين كانوا فى مقدمة الجيش يشهدون النزال، فرجعوا به إلى خيتمه.

فالتحم الجيشان بعدما حدث واشتد القتال بينهم، وكان"سواتن"الذى أخذ مكان الملك"ساران"فى القلب يقاتل بكل شجاعة وقوة وبالقرب منه الوزير يزود عن جيشه، بينما جلس"سارى"بجوار أخيه المصاب.

مالت الشمس إلى الاصفرار معلنة عن ذهابها لمنامها اليومى، فأعُلنت الهدنة حتى اليوم التالى، فعاد"سواتن"إلى الخيمة ليطمئن على حياة الملك "ساران"

وكان معه الوزير"يوشهور"فوجدا الملك"ساران" مستلقى على ظهره يتفقده الطبيب الذى صحب الجيش وفى ركن من الجيش تجلس"سماريدس"تضع رأسها بين ركبيتها وهى تبكى وتنتحب بينما بدا على"سارى"الذهول مما حدث.

أراد الوزير الوقوف على حالة"ساران"وعندما سأل فقال الطبيب:

- سيدى الوزير الحكيم، حالة الملك المعظم"ساران"ليست على ما يرام، فقد اتضح لنا من الكشف أن الحربة كانت مسمومة وأخشى أن تسبب مضاعفات للملك لا نقدرعلى مواجهتها.

اتجه"سارى"نحوه الطبيب، وجذبه من ذراعه وقال له معنفًا:

- لا بد أن تجد الدواء الذى يشفى الملك وإلا قطعت رأسك

حاول الوزير تهدئة الملك"سارى"فقال له:

- لا تقلق يا مولاى ، فالملك"ساران"لديه من القوة أن يتغلب على ما أصابه.

تدخل الطبيب فى الحوار وقال:

- لقد أعطيت للملك بعض الترياق الذى أتمنى أن يوقف انتشار السم فى الجسم، فطمئن يا مولاى الملك.

انصرف الطبيب ولحق به الوزير عند باب الخيمة، وهناك تنحى به جانبًا وقال له:

- شعرت من حديثك أيها الطبيب أنك تخفى شيئا ما.

فقال له الطبيب وهو يمسك بلحيته البيضاء:

- لن أخدعك سيدى الوزير الحكيم، ولكن من الواضح أن جلالة الملك تعرض لسم من نوعًا خاص أخشى أن تكون له عواقب وخيمة.

فانزعج الوزير من كلام الطبيب وقال مستفسرًا:

- عن أى عواقب تتحدث أيها الطبيب؟!

فقال له الطبيب شارحًا الحالة:

- أن لم يستطع الترياق وقف نشاط هذا السم اللعين فأن الملك سيتعرض لنوبات من الهياج الشديد وبعض الأعراض الأخرى مثل فقد الشهية تماما مما يسبب هزال شديد فى الجسم وقد يؤدى للوفاة.

أمسك الوزير بيد الطبيب وقال له محذرًا:

- تكتم على الخبر ولا تحدث به أحد حتى نرى ما تخفيه الأيام.

انحنى الطبيب بالتحية للوزير واستأذنه فى الانصراف، فعاد الوزير إلى الخيمة التى يرقد بها الملك"ساران"مصابًا وقد تجمع حوله أخوته "سارى" و"سماريدس" ومعهما ابن عمها الأمير"سواتن"الذى حزن بشدة لمنظر حبيبته"سماريدس"وهى تجلس عند قدم أخيها و قد احمرت عينيها من كثرة الدموع المتساقطة.

وقف الملك"سارى"ونظر للوزير وطلب منه أن يلحقه بالخارج لأمر هام، فأشار الوزير برأسه موافقًا ولحق به، سارا سويا حتى بعد عن الخيمة بمسافة مناسبة، ثم توقف الملك"سارى"واستدار ناحية الوزير وقال له:

- والآن، أيها الوزير الحكيم والأب البار، لابد أن أكمل الحرب حتى يشفى أخى من علته.

قال الوزير متسائلًا:

- ماذا تقصد يا مولاى؟

قال"سارى"وقد بدا على وجه الغضب والتصميم:

- سأقود الجيش وأبارز"ميمون أبا نوخ"وأقتله وأخذ بثأر أخى

أسرع الوزير بالقول:

- مستحيل!!، يا بنى أنت ما زلت صغيرًا ولن تقدر على الملعون "ميمون"وكما تعرف أنك أمل بنى جنسنا جميعا، ولن نحتمل أن تصاب كما أصيب الملك"ساران".

أخذ"سارى"يتطلع للفضاء من حوله، ثم قال للوزير:

- وماذا يستفيد جنسنا من ملك جبان، يخاف أن يواجه الأعداء ويفر من أمامهم.

- ولكن يا مولاى.....

قطع الملك"سارى"كلام الوزير وقال له:

- هذا قرارى النهائى ولا رجعة فيه، سآخذ بثأر أخى أوأُقتل دونه

لم يجد الوزير كلام يرد به على قرار الملك"سارى"ولم يملك إلا أن يمتثل لقراره، لكنه نصح الملك بألا يأمن غدر"أبا نوخ"كما فعل مع الملك"ساران"وأصابه على حين غرة، فطمأنه"سارى"أنه اكتسب من الحياة ما يجعله قادرًا على استخدام الحيلة وصد أى غدرأوخديعة، وفى نهاية حديثهما طلب"سارى"من الوزير بأن يطلع أحد على قراره خصوصًا الأميرة "سماريدس".

عاد"سارى"إلى خيمة أخيه، وعندما دخلها فإذا به يرى"سماريدس" تبكى بحرارة و"سواتن"يحتضنها ويربت على كتفها، وما أن رأى هذا المنظر حتى صاح قائلا:

- سما!

اضطربت بشدة عندما سمعت صياح أخيها ومناداته لها كما تعود منذ كانا صغار، فانفلتت من بين أحضان"سواتن"وتراجعت للخلف وهى تمسح دموعها بيدها وقالت:

- ماذا هناك يا"سارى"،ماذا حدث؟

فتغاضى"سارى"عن سؤالها ونظر إلى"سواتن"وقال له:

- اذهب إلى خيتمك يا"سواتن"، فغدا سيكون يومًا صعبًا علينا

طأطأ"سواتن"رأسه كأنه يتحاشى النظر فى وجه"سارى"خجلًا من الوضع الذى رأه فيه حين كانت"سماريدس"بين أحضانه حتى وأن كانت تبكى ويواسيها.

ما إن خرج"سواتن"حتى طلب"سارى"من أخته أن تذهب إلى خيتمها فرفضت وصمتت أن تظل بجوار"ساران"، فنزل عند رغبتها وتركتها وذهب ليرتاح قليلا.

****

أضاءت الشموع جنبات القلعة، وعمت الأفراح المكان، وامتلأت الكؤوس بالخمور من كل نوع احتفالا بمقتل الملك"ساران" كما ظن الملك "ميمون أبا نوخ"وأمه الملكة"دنهش"فأقاموا الأفراح وسهروا حتى الصباح بين رقص وغناء وشرب ومضاجعة الجواري والغوانـي.

وقفت الماكرة"دنهش"على رأس المائدة وقالت وهى تحمل كأس الخمر فى يدها:

- الآن نحتفل بقتل الملك"ساران"اللعين، وغدا سنشرب نخب انتصارنا على العدو وستكون"سماريدس"بيننا بجوارزوجها التى اخترته لها من بنى جنسنا، حتى نستعيد قوتنا المسلوبة.

قال الملك"ميمون أبا نوخ"وهو يضحك ويترنح من السُكر:

- ومن يكون هذا المحظوظ يا أمى، الذى سيكون على يديه فض بكارة تلك الملعونة التى جلبت العار على بنى جنسنا.

تبادلت العجوز الضحكات مع ابنها وقالت:

- وهل يوجد غيرك أيها الملك المعظم من يستطيع اخضاع "سماريدس" وإعادة نسلها إلى بنى جنسنا مرة أخرى.

لم يتمالك"ميمون أبا نوخ"نفسه من الضحك وقال:

- لعلى أرى الآن جيش العدو منكس الرؤوس وهم يجمعون أشياءهم استعدادًا للرحيل والعودة إلى ديارهم.

أخذت "دنهش" تجوب القاعة وتصيح قائلة:

- لم ندخل معهم فى حرب إلا وانتصرنا عليهم، فقد انتصرعليهم أبونا الأكبر وأخرج أباهم من الرحمة، وانتصرنا عليهم يوم أن قتل الأخ أخوه، ونتصرأيضا عليهم كلما أوعزنا لهم القتل والخيانة.

ثم تذكرت شيئا آخر فقالت وقد تجهم وجهها الخبيث:

- لن أدع "سواتن" يفوز بها، وكما خدعنى سأقتله بيدى.

لم تسمع رد من ابنها "ميمون" فالتفت تنظر إليه فوجدت أن الشراب هزمه فراح يغط فى نومًا عميق، فاتجهت نحوه وهى تضحك وأمسكته من شعره ورفعت رأسه ثم تركتها فسقط مرة أخرى على المائدة، فاتجهت إلى الداخل وهى مازالت تضحك بخبث.

فى الصباح كان الملك "ميمون أبا نوخ" ما زال نائما على المائدة كما تركته أمه منذ سويعات قليلة، وإذا بحارس يأتى مسرعا وينادى عليه لكى يستيقظ، ففتح الملك عينيه بصعوبة ورفع رأسه والتفت إلى الحارس وقال لها بعصبية:

- أيها الغبى، ألم تر أنى نائمٌ، لماذا ترفع صوتك هكذا.

طأطأ الحارس رأسه وهويقول:

- عذرًا يا مولاى المعظم، جئت أخبرك بأن جيش العدو.....

فقاطعه "ميمون" وهو ما زال بين نوم و يقظة ويفرك فى عينيه:

- أعلم يا غبى أن جيش العدو يستعد للرحيل.

قال الحارس:

- لا يا مولاى المعظم، فجيش العدو فى أرض المعركة وهناك فارس يقف فى المقدمة ينادى عليك ويطلب منك المبارزة.

انتفض الملك"ميمون"من مكانه و هب واقفا وصاح فى الحارس:

- ماذا تقول أيها الغبى، متى حدث هذا؟

- منذ قليل يا مولاى المعظم.

جاءت الملك المقدسة"دنهش"مسرعة على صوت صياح ابنها ودخلت القاعة انحنى الحارس تحية لها، فنظرت لابنها

وقالت:

- ماذا هناك يا"ميمون"؟

فأخذ الملك"ميمون"يشير ناحية الحارس وهويقول لها:

- هذا الغبى يقول أن هناك فارسًا فى جيش العدو يطلب مبارزتى

فجلست"دنهش"على كرسى واسندت يديها على المائدة وقالت:

- لابد أنه الأخرق"سواتن"يريد أن يظُهرالبطولة أمام حبيبته الجميلة"سماريدس"، فقد علمت أنه مولع بحبها.

تدخل الحارس فى الحوار وقال:

- عذرًا أيتها الملكة المقدسة، ليس هو الأمير"سواتن"فقد رأيته عندما كان هنا وأعرفه جيدًا، لكن هذا الفارس هو الملك الصغير "سارى"وقد سمعت الجنود يهتفون باسمه.

استفاق الملك"ميمون أبا نوخ"فوقف وسار إلى حيث تجلس أمه وقال وهو يعدل من هيئته الرثة من أثر سهرة الأمس:

- ومن يكون هذا "السارى"؟

قالت العجوزالماكرة:

- إنه أيضا ابن "ميرة"شقيق المعلونة"سماريدس".

فقال"ميمون"بغيظ وهو يضرب المائدة بيده:

- تبًا لـ"ميرة"وما جلبته لنا من العار، حين عشقت"برقان"وأسلمته نفسها عن طيب خاطر.

قالت له أمه فى غضب:

- دعك من هذا الهراء الآن، واخرج لهذا الطفل واقتله، حتى يرحلوا

صاح الملك"ميمون"قائلا لأمه:

- ما هذا الكلام يا أمى، أيخرج الملك"ميمون أبا نوخ"كبيرعائلة الميامين لمبارزة طفل أخرق، سأرسل له جنديًا من عندى يقتله وينتهى الموضوع.

ثم أخذ سيفه ولبس خوذته وخرج مسرعًا وهو فى قمة الغضب والغيظ وركب فرسه وما أن خرج من أسوارالقلعة حتى سمع الجنود تهتف باسم "سارى"وبصُر به عن جنبٍ وهويبتاهى بفرسه وسط الجنود.

فصاح"ميمون"وهويخترق صفوف جيشه نحوالمقدمة:

- من أنت أيها الصغير ألا تخاف مبارزة الملوك الكبار، الأفضل لك أيها الأحمق أن تغرب بعيدًا عن وجهى وإلا أخرجت لك أصغر جندى فى جيشى يقتلك كما قتلت أخاك بالأمس.

فقال له"سارى"ردًا على كلامه:

- الملك لا يبارزه إلا ملك يا"ميمون"، وإن كنت تخاف مبارزتى فاعترف أمام الجميع حتى أصفح عنك.

اغتاظ الملك"ميمون"من كلام"سارى"، فجذب حربة من أحد جنوده ورماها فى اتجاه"سارى"وهو يصيح ويقول:

- كيف أخاف منك أيها الغبى الصغير، بالأمس قتلت من هو أكبر وأشجع منك، واليوم يأتى فسل مثلك يوجه لى مثل هذا الكلام.

تذكر"سارى"حالة أخيه المصاب، فقال بحزن بدا على ملامحه:

- أنت لم تهزم الملك"ساران"إلا بالغدر والخيانة، ولن أسمح لك بتكرارها معى، تقدم لمبارزتى إن كنت تقدرعلى ذلك.

أثارت كلمات"سارى"الغيظ والحميه فى نفس الملك"ميمون أبا نوخ" فتقدم نحوه مسرعًا وهو ينعته ويقول:

- ستندم على كلامك هذا أيها الحقير.

فاستقبله"سارى"بمهارة متفاديا ضربة سيفه، ثم اعتدل بفرسه وأصبحا فى المواجهة وظل كلاهما يضرب الأخر بسيفه، وكان"سارى"أكثر تحكمًا فى فرسه فراح يقفز به يمينًا ويسارًا والجنود تصيح وتحمسه ، حتى ظهر التعب والإرهاق على وجه"ميمون" نتيجة افراطه في السهر وشرب الخمر بالأمس، فشعر"سارى"بحالته، فتراجع بفرسه للخلف كأنه يفر من ميدان المعركة، ثم ابتسم لجيشه وفجأة استدار ناحية "ميمون"وهجم عليه وضربه ضربة أطاحت برأسه وأسقطته من فوق فرسه ، وما أن رأى جيش"ميمون"ما وقع لملكهم حتى

صاحوا جميعا وحملوا على جيش"سارى"واشتدت المعركة بينهم واستمر الضرب والطعن وتخضبت الأرض بالدماء.

وكان الوزيرالحكيم"يوشهور"يحمس الجنود ويصيح قائلا:

- خذوا بثأر الملك"برقان"والملك"ساران"..... تقدموا للأمام و"سواتن"وسط الجنود يجول بجواده فيضرب يمينًا ويسارًا، وعندما زاد عدد القتلى فى جيش العدو لم يجدوا أمامهم إلا الفرار إلى داخل القلعة وهم يجرون أذيال الهزيمة ويحملون معهم قائدهم القتيل الملك "ميمون أبا نوخ"، ثم أغلقوا الباب خلفهم.

أما جيش"سارى"فظلوا يهتفون باسمه ويهنئون بعضهم بالانتصار على جيش العدو، لكن"سارى"لم يهتم بالنصروأسرع إلى خيمة أخيه لكى يطمئن عليه فوجده ما زال غائبًا عن الوعى وبجواره الطبيب وبعض الحرس، وكانت"سماريدس"تجلس فى ركن الخيمة وما أن رأت"سارى" أسرعت نحوه وهى تبكى من الفرحة لأنه أخذ بثأر أخيها وقتل المعلون "ميمون أبا نوخ".

****

- أقسم أنى سوف أنتقم منهم وأحرق قلوبهم جميعًا.

قالتها العجوز الماكرة"دنهش"عندما وصلها خبر مقتل ابنها "ميمون" عندها تحولت لشخص آخر، بدا وجهها مخيف، فاحمرت عينيها كأنها جمرتان من نار، وانتخفت شفتاها، وكبرت أسنانها، وتبعثرشعرها التى كانت دائما تهتم به، فظهرت كأن عمرها زاد مائة عام.

وظلت تحطم بيدها أى شىء فى طريقها و هى تجوب القاعة الكبيرة وتصرخ وتلطم وجهها، ثم تصرخ وتشد فى شعرها بقوة، ثم ينتابها لحظات من الجنون فتضحكت وتقول لـ"شاروسة"التى كانت تواسيها:

- ابنى قتل ! لا، لا لم يقتل"ميمون"لم يقتل، "ميمون"سيعود وسأزوجه من"سماريدس" ويثأر من بنى جنسهم جميعا، لن ينتصر الإنسان علينا مهما فعل.

و"شاروسة"تربت على كتفها، وتقول والدموع فى عينيها:

- هونى عليك يا أيتها الملكة المقدسة، سيأتى اليوم الذى ننتقم منهم فيه وتعود إلينا قوتنا وسطوتنا عليهم.

تصرخ"دنهش"وتقول:

- بأى شىء أهون على نفسى، ونحن تلقينا أكبرضربة منذ نجونا من الأسر الذى فرضه علينا سليمان.

ثم أتجهت ناحية"شاروسة"وتصنعت التماسك والقوة وقالت:

- لن نصبر عليهم مرة أخرى، أريد أن يكون هذا المعلون المسمى "سارى" تحت قضبتى فأقتله بيدى وألوك قلبه بأسنانى، وأشرب من دماء الملعونة"سماريدس".

كانت توجه كلامها للحضور، وتشير للحارس بتنفيذ أوامرها، لكنه قال لها وهو يطأطأ رأسه خجلا:

- ولكن سيدتى الملكة المقدسة، هناك شيء آخرأود إخبارك به نظرت له بحنق وغيظ وأشاحت فى وجهه وقالت:

- ليس هناك أهم من الأخذ بثأر الملك الأعظم"ميمون أبان نوخ"

شعرت"شاروسة" بأن هناك أمر جلل يريد الحارس التحدث فيه، فقالت:

- ما الأمر أيها الحارس، تكلم.

فتعلثم الحارس كأن الكلمات تأبى أن تخرج من فمه، لكنه تمالك نفسه وقال بصوت متقطع:

- لقد أرسل لنا الملك"سارى"رسالة على رأس سهم سقط خلف الأسوار يطلب منا أن نخلى القلعة وإلا سيدخلها عنوة ويقتل كل من فيها، وقد سمح لنا بيومين فقط حتى نخلى القلعة.

ما أن سمعت"دنهش"ما قاله الحارس، حتى انتابتها حالة من الهياج الشديد فصارت تصرخ وتضرب وتحطم وتقول:

- من هذا"السارى"حتى يفرض شروطه علينا!

- عفوا يا سيدتى، كان هذا الإتفاق مع الملك المعظم"ميمون"

أصابها التعب، فألقت بجسدها النحيل على أقرب كرسى لها ،وهى تتنفس بصعوبة، فانحنت برأسها على المائدة وهى تضع يدها فوقها، فقالت"شاروسة":

- وما الحل الآن أيها الحارس؟

- أرى يا سيدتى أن نخلى لهم القلعة، ونلجأ إلى بنى الأحمر، وأظن أن الملك"مُرة الأحمر"سيرحب باستضافتنا، فهو يكن كل تقدير واحترام للملكة المقدسة، كما أن ابنته الأميرة"ميرة"هنا فى استضافتنا منذ شهور.

هبت"دنهش"واقفة عندما ذكر الحارس اسم الأميرة"ميرة"وكأنها نسيت أنها ادخرتها ليوم كهذا، فصرخت فى وجه الحارس قائلة:

- اسرع وجئنى بالأميرة"ميرة"حالا.

انحنى الحارس لتحيتها ومضى لتنفيذ الأمر، وأصاب"شاروسة"الذهول من طلب العجوز فقالت لها:

- لماذا أرسلتِ أيتها الملكة الأم فى طلب"ميرة"؟

تعجبت الملكة من سؤال"شاروسة"فمطت شفتيها وهى تقول لها:

- أليست"ميرة"والدة الملعون"سارى"وأخته"سماريدس" ، إذن ستكون هى حيلتنا القادمة للقضاء عليهم جميعًا.

****

كان يغط فى سبات عميق بعد المجهود الذى بذله فى الأيام الماضية يتقلب على فراش داخل خيمة يقف الحراس على مدخلها.

أصوات ارتطام وتحطيم وتكسير وصراخ كانت كفيلة بايقاظه مفزوعًا فنادى على الحارس، الذى اسرع بدخول الخيمة وانحنى أمامه، فقال له الملك:

- ما تلك الأصوات التى سمعتها منذ لحظات.

قال الحارس:

- لا أعرف يا جلالة الملك، لكنها صادرة من ناحية الخيمة التى يرقد بها جلالة الملك"ساران".

ما أن عرف مصدر الأصوات، هب من نومه يجر حذاءه فى قدمه وجرى مسرعًا نحو الخيمة التى يرقد فيها الملك"ساران"، وما أن وصلها كان صوت الصراخ والتحطيم مازال موجودًا، وما أن دخل الخيمة حتى وقع بصره على منظر غريب فقد رأى أخيه الملك"ساران"يجثو على ركبتيه ويضرب ويحطم كل ما يقابله داخل الخيمة و"سماريدس"تحاول تهدئته والإمساك به حتى يتناول الدواء من يد الطبيب وكلاهما فشلا فى السيطرة على الحالة التى انتابت الملك"ساران"، فجرى نحوه وأمسكه به من ذراعيه جيدًا فهبطت حركة"ساران"وتلاحقت أنفاسه وأثر عليه التعب فجعله يخنع للهدوء، واستطاع الطبيب أن يسقيه الدواء.

نظر"سارى"للطبيب وقال وهويلتقط أنفاسه بصعوبة:

- ماذا حدث أيها الطبيب، ما هذة الحالة التى ظهرت على الملك.

طأطأ الطبيب رأسه إلى أسفل وقال:

- عذرا يا مولاى، لكن السم الذى أصابه جلالة الملك"ساران"نوع نادر وغريب، أحيانا يسبب حالة من الصرع والهياج.

أثناء حديث"سارى"مع الطبيب، دخل الوزير"يوشهور"وخلفه"سواتن" و بدا عليهما أنهما أتيا مسرعين فلم يبدلا ملابس النوم، فقال الوزير:

- ماذا حدث يا جلالة الملك.

نظرله الملك"سارى"و هو يشير نحو أخيه، الدموع تترقرق فى عينيه، يقول:

- أصيب الملك"ساران"بحالة من الصرع والهياج الشديد و لم يهدئ إلا بعد أن سقيناه الدواء بصعوبة.

نظر الوزير للملك المريض فوجد صدره يعلو ويهبط وتتلاحق أنفاسه وعينيه مفتوحة ومثبتة على سقف الخيمة، فقال للطبيب:

- إن الملك مستيقظ وينظر لأعلى.

قال الطبيب:

- نعم يا سيدى، لكنه لا يعى ما يدور حوله، فقد خدره الدواء بعض الشىء لكن من الممكن أن تعود له نفس الحالة مرة أخرى.

فقالت"سماريدس"والدموع تسح من عينيها سح غروب:

- إلى متى سيظل أخى على تلك الحالة، إنه لم يتناول أى طعام منذ أصيب حتى تبدل حالة وأصابه الهزال.

أجابها الطبيب قائلا:

- مولاتى الأميرة، للأسف جربت أكثر من ترياق وأكثر من تركيبة للدواء لكن هذا السم شديد المفعول، وينتشر فى الجسم ببطىء، وله العديد من الأعراض الخطيرة، فأرجو أن نكون دائما هنا ولا نترك الملك يصارع الأعراض بمفرده، لعلنا نستطيع التوصل للدواء الشافي.

اقترب الملك"سارى"من أخيه، وأخذ ينظر له بشقفة ويقول:

- من يصدق أن هذا الغائب عن الوعى هو نفسه الملك"ساران"الذى صارع وحوش الإنس وصرعهم، وصارع وحوش الجن وهزمهم. لابد أن كل هذا كله كان من تدبير الماكرة"دنهش"، أقسم أن أعلقها من شعورها كما قال أخى.

بكت"سماريدس"عندما سمعت هذا الكلام من أخيها، واقتربت من الملك "ساران" وجلست بجواره ودققت النظر فيه فوجدتها ما زال شاخص البصر للسماء، فانحنت عليه وهى مازالت تبكى وتنوح، وهى على تلك الحالة شعرت بأنه يتحرك ويريد أن ينهض من نومه ، فرفعت رأسها عن صدره، فانتبه الجميع ونظروا له فإذا به يعتدل جالسًا، وأخذ يدور ببصره فى جميع أرجاء الخيمة، وينظرلكل منهم نظرة طويلة كأنه لا يعرفهم بل بدا من ملامحه أنه يراهم لأول مرة فى حياته.

فأخذت"سماريدس"تربت على كتفه فالتفت لها ولم يتحدث، فاقترب منه "سارى"وقال له بدفء:

- كيف حالك يا أخي؟

ظل الملك"ساران" ينظر إليهم وهو فى حالة من البلاهة واللامبالاة، ثم قال بصوت مجهد ولسان متعلثم:

- من أنتم؟ومن أتى بى إلى هنا؟

تعجب الجميع من حالة الملك وأسئلته، فازداد بكاء"سماريدس"فأخذت تربت عليه وتقول وهى تشير نحو الجميع:

- نحن إخوتك ورعاياك أيها الملك الشجاع"ساران".

فأراد الملك"ساران"النهوض فساعدته أخته وأخيه على الوقوف، فأخذ يدور فى الخيمة، والتفت لهم فجأة وصرخ فيهم وقال:

- من أنتم؟ أنا لا أعرفكم.... أنتم الأعداء وتريدون قتلى، اغربوا عن وجهى، اتركونى.

ثم انتابته حالة من الهياج الشديد فأخذ يضرب ويركل برجله كل ما يقابله ، فحاول أخوه"سارى"الإمساك به وتهدئته، فأفلت منه وصاح بقوة:

- أين"سيلين"حبيبتى؟ قتلتموها أليس كذلك؟

ليس لى إلا هى، كانت تحبنى بصدق، لكنكم حرمتمونى منها أيها الأوغاد، سأقتلكم جميعا وأنتقم منكم أيها الأشرار.

ما زال جميع الحضور ينظرون للملك"ساران "فى ذهول وشفقة من حالته، فاقتربت منه"سماريدس"واحتضنته بقوة وهى تبكى وتصرخ:

- أخى، حبيبى، ماذا حدث لك، نحن لا نريد قتلك ولم نقتلها أرجوك يا أخى عد إلى صوابك.

أخذ"ساران"يتطلع إليهم بعض اللحظات ولم تستطع قدماه أن تحمله فساعدته أخته على أن ينام مرة أخرى على فراشه، فصاح"سارى"بحزن:

- أرأيتم حالة الملك، هل نتركه على تلك الحالة حتى يموت، لابد أن نجد الدواء الشافى لحالته مهما كلفنا الأمر.

و فجأة قبل أن يرد أحد على كلام"سارى"سمعوا"سماريدس"وهى تصرخ بكل قوة، فالتفتوا جميعا ناحيتها وذهلوا مما شاهدوه.

****

داخل القاعة الكبيرة بالقلعة الحصينة، جلست العجوز الماكرة"دنهش" على كرسيها الكبيرة فى وسط مائدة الاجتماعات وبالقرب منها تجلس "شاروسة"تتحدث معها وتواسيها بعد مقتل ابنها الملك"ميمون"على يد "سارى"، وحولهم بعض الحراس يجمعون بعض الأشياء التى سيأخذونها معهم، بعدما فرض عليهم"سارى"إعلان الإستسلام وترك ديارهم واللجوء للملك"مُرة الأحمر"ملك بنى الاحمر.

دخل الحارس يعلن عند قدوم الملكة"ميرة"، بعدما أرسلت العجوز "دنهش"فى طلبها، أذنت لها العجوز بالدخول، فدخلت تجر فستانها وخلفها بعض جواريها، فنظرت لها"دنهش" فى حزن وغضب، ثم وقفت واقترب منها وقالت بسخرية:

- مرحبًا بالملكة"ميرة "سليلة بنى الأحمر وزوجة الملك العظيم"برقان"و والدة المعلون "سارى" والمعلونة "سماريدس".

فهمت"ميرة "ما ترمى إليه العجوز الماكرة، فقالت ردًا على سخريتها:

- ماذا تقصدين بهذا الكلام أيتها الملكة؟

قالت الملكة"دنهش"بأسى:

- أقصد أن ابنك"سارى"قتل العزيز"ميمون"، ولن أتركه يفلت بفعلته هذه وسيأتى اليوم الذى أنتقم منه.

فصاحت"ميرة" فى وجهها قائلة:

- ابنك الملك"ميمون"هو الذى بدأ بالقتل، وكان ابنى الملك "سارى" يأخذ بثأر الملك"ساران".

اقتربت منها"دنهش"وأمسكت بذراعها وقالت بغيظ:

- لك الحق أن تدافعى عن ولدك الملعون"سارى"ولما لا وأنت السبب فى كل ما نحن فيه، عندما سلمت نفسك للملك"برقان" وجلبت لنا العار، حتى وصلت الحماقة بابنك أن يفرض شروطه علينا ويطردنا من ديارنا التى قضينا فيها عمرنا كله.

ضحكت الملكة"ميرة"بسخرية وهى تتجول بالقاعة، ثم استدارت نحو "دنهش"وقالت لها وهى تشيح بيدها وتصيح:

- ومن الذى أهدانى كجارية للملك"برقان"،أليس هو ابنك "ميمون" السبب فى ذلك؟ ، ماذا كنت أصنع وأنا جارية فى قصر ملك أراد أن يختلى بى، هل كنت أملك الرفض؟، أم ليس للجارية إلا السمع و الطاعة.

دافعت"دنهش"عن ابنها الراحل"ميمون"فقالت:

- ابنى لم يكن يعرف أنك وسط الجوارى التى أرسلها للملك "برقان" لكن على الأقل أنت تعرفين وكان من الممكن أن تصرحى للملك بحقيقتك فيتركك تعودين إلى وطنك، لكنك تعلقتى به وأحببت كونك جارية، بل الأكثر من ذلك سمحتى لنفسك أن تنجبى من"برقان" وأنت تعرفين جيدًا نتيجة ذلك على بنى جنسنا.

تعمدت الملكة"ميرة"الضحك بسخرية لتغيظ العجوز الماكرة، ثم قالت متعجبة:

- نتيجة هذا على بنى جنسنا!، أرى أن الملكة المقدسة تقصد الانتقاص والإضعاف من قوتنا الشريرة، وهل التقليل من الشر يعتبر خطأ فى رأى الأم المقدسة"دنهش".

جذبتها"دنهش"من ذراعها، حتى أصبحت فى مواجهتها:

- أيتها البلهاء الغبية، وهل تفوقنا على بنى جنسهم على مر العصور إلا بفضل تلك القوة التى كانت اختبار وتحدى لنا، فتلك القوة هى التى تمنحنا البقاء والقدرة على إغوائهم.

مطت"ميرة"شفتيها متعجبة من كلام"دنهش"وقالت:

- وهل الإغواء والتحريض على الفساد ميزة تتفاخرين بها أيتها الملكة ال..... مقدسة.

اقتربت"دنهش "من المائدة وضربتها بيدها ثم نظرت نحو"ميرة"وصاحت فى وجهها وهى تشير بيدها:

- أرى أن دروس الملك"شمهورش"قد أفسدتك على بنى جنسك تبًا له من عجوز خرف أفسد علينا بناتنا، فما أسمعه منك الآن سمعته قبل ذلك من العزيزة"سيلين"التى قُتلت أيضا بسبب غبائها.

ثم اقتربت من"ميرة"وتصنعت الود وقالت وهى تربت على كتفها:

- العزيزة "ميرة"، أرجو أن تساعدينا على تخطى هذه المحنة.

****

كانت "سماريدس"تصرخ بصوت عال، فالتفت نحوها أخيها "سارى" الذى كان يعطيها ظهره ويتحدث مع الوزير والطبيب فى حضور"سواتن" عن الحالة الغريبة التى يمر بها الملك"ساران"، فإذا به يراها تمسك وجه "ساران"بين يديها وهى تبكى وتصرخ وتقول:

- أخى حبيبى ماذا حدث لك!

فاقترب"سارى"فوجود الرعشة أصابت أخيه"ساران"والدماء تتساقط من عينيه ، ففزع مما رآه وجرى نحو أخيه وأمسك به وهو يصرخ ويصيح وينظر للطبيب:

- لا بد أن نجد حلا، لا بد أن نجد دواء، لن أترك أخى على هذه الحالة.

وقفت"سماريدس"وأخذت تلطم وجهها وتصرخ، فاسرع"سواتن" وأمسك بيدها وحاول تهدئتها ، بينما اتجه الطبيب نحو الملك"ساران" وأخذ يتفقد عينيه ليعرف ما سبب تلك الدماء المتساقطة منها، بينما وقف"سارى"والوزير ينتظران ما سيقوله الطبيب، وما أن انتهى الطبيب وقف واتجه نحوهما وقال وهو ينظر للأرض:

- للأسف يا جلالة الملك، حالة الملك"ساران"تزداد سوء، وأرى أن السم لم يكن عاديا بل كان سحرًا، ولن يبطل مفعول هذا السحر إلا من قام به وإلا ستكون النتيجة للأسف هى موت الملك لكن بعد أن يستنفذ السحر كل طاقته ومقاومته.

انتبه الجميع لكلام الطبيب، فنظر الملك"سارى"للوزير و قال:

- ماذا يقصد هذا الطبيب، أيها الوزير الحكيم"يوشهور"؟

حاول الوزير التخفيف عن الملك"سارى"فقال له:

- مولاى الملك، أن تعلم جيدًا أن العدو اشتهر بالسحر منذ الأزل وتعرف كيف يستخدم مسه وسحره فى الضر، والطبيب يقصد أن جلالة الملك"ساران"تعرض للمس والسحرعندما أصابته تلك الحربة الملعونة.

صرخ الملك"سارى"وقال:

- أنا لا أحتاج إلى شرح، فقط أسال عن حل.

قال الطبيب:

- لقد قتل المعلون"ميمون أبا نوخ"وهومن ألقى الحربة المسمومة

قاطعة الوزير الحكيم"يوشهور"قائلًا:

- وهل" ميمون "يستطيع فعل شىء بمفرده، إنما كل ذلك من تدبير وترتيب الملعونة العجوز"دنهش".

نظر"سارى"لأخيه الراقد فى فراشه يصارع المرض، فوجده قد استكان بعض الشىء وما زالت"سماريدس"بجواره لا تفارقه لحظة، و"سواتن" يقف مستمعًا للحوار، فقال"سارى"بسخرية ردًا على كلام الوزير:

- وهل الملعونة "دنهش"ستوافق أن تساعدنا فى إبطال مفعول السحر وعلاج الملك"ساران"وقد قمنا بقتل ابنها"ميمون".

فكر الوزير الحكيم"يوشهور"ثم قال:

- قد توافق إذا ساومناها على البقاء فى القلعة مقابل الحصول على ترياق لهذا السحر.

أجاب الملك"سارى"بسرعة فقال:

- أنا مستعد أن أفعل أى شىء مقابل أن أرى أخى مرة أخرى وقد استعاد عافيته وقوته.

قال الوزير وقد بدا عليه الحماس للفكرة:

- وماذا ننتظر؟ علينا إرسال رسالة على وجه السرعة لهذه الملعونة نعرض عليها الصلح وفك الحصارمقابل أن ترسل لنا الترياق.

قال الملك"سارى"للوزير:

- فى هذه الحالة لا تنفع الرسائل المكتوبة، لابد من إرسال شخص قادر على التفاهم مع المعلونة وليس هناك أفضل من الوزير الحكيم يقوم بتلك المهمة الصعبة.

كان"سواتن"يقف معهم لكن قلبه كان مع"سماريدس"وكل فترة ينظر إليها ليشعرها أنه يحس بما تكابده، وأنه يتألم لألمها، فانتبه للحوار وقال متشجعًا:

- بل أذهب أنا لهذه العجوز الماكرة وأعرض عليها الأمر ولن أعود إلا والترياق الشافى معى أوأقتل دونه.

قال جملته ونظر إلى"سماريدس"فوجدها تنظر إليه و كأنها تترجاه أن يفعل هذا الأمر من أجلها ومن أجل حبهما الذى لم يطلع عليه أحد غيرهما إلى الآن.

****

وما أن جاءه الأمر حتى جرى مسرعًا نحو فرسه الواقف بالقرب من الأسوار الخارجية للقلعة، امتطى الفرس واتجه ناحية الباب الكبير للقصر القابع فى الجزء الجنوبى من القلعة، استأذن بالدخول فأذن له، فسارعدة أمتار فى الطرقة المؤدية لقاعة الاجتماعات حتى وصل إلى الباب فاستقبل الحارس واستوقفه حتى يستأذن له فى الدخول على الملكة المقدسة، وبعد لحظات عاد وسمح له بالمرور، وما أن دخل وقدم التحية للملكة حتى نظرت له وقالت:

- ماذا وراءك أيها الفارس؟

انحنى الفارس ثم استقام وقال:

- مولاتى الملكة المقدسة، هناك رسالة من الملك"سارى"

قالت"دنهش"بسخرية:

- ماذا يريد هذا المعلون منا، بعد أن فرض علينا ترك أرضنا وديارنا.

ثم أشارت للفارس بيدها وهى تقول:

- هات الرسالة لنعرف لنقرأ ما بها.

انحنى الفارس مرة أخرى وقال:

- عفوا يا سيدتى، فهى ليست رسالة مكتوبة، بل أتى رسول من عند الملك"سارى"يطلب المثول بين يديكم الكريمة.

قالت"دنهش"متعجبة من كلام الفارس:

- وأين هذا الرسول؟ ادخله على الآن، فقد أذنت له، حتى نعرف ما يريده هذا الخبيث"سارى".

- سمعًا وطاعة مولاتى المقدسة.

خرج الفارس وترك"دنهش"تخمن ما الذى يريده"سارى"وهل هناك شيئا أخر بعد فرض شروطه عليهم، واستعدادهم للرحيل فى خلال يومين على الأكثر، بينما كانت"شاروسة"تطمئنها وتقول لها:

- لعله أرسل إلينا يطلب أموالا وجواهر مقابل أن يتركنا نعيش هنا فهؤلاء يحبون المال حبًا جمًا ويفضلونه عن أى شيء آخر.

نظرت لها"دنهش"ببلاهة وقالت ساخرة منها:

- عن أى مال تتحدثين يا"شاروسة"، هل بقى معنا ما نعطيه لهم .

استمرت المناقشة و التخمين بين"دنهش"و "شاروسة"عن سبب قدوم رسول من عند الملك"سارى"حتى جاء الحارس ليبلغهم بأن الرسول يقف على الباب يطلب الإذن بالدخول، فأشارت له"دنهش"بأن يدخله فى الحال.

ما أن دخل الرسول حتى هبت"دنهش"واقفة وصرخت فيه قائلة:

- كيف تجرؤ أن تأتى هنا مرة أخرى بعدما خنت الإتفاق الذى كان بيننا؟ ألم تخف على نفسك أن أعطى الأمر الآن بقطع رأسك أيها الخائن؟

وقف صامتًا بينما جرت نحوه"شاروسة"ووقفت بالقرب منه تنظر إليه وعيونها تنطق بالكثير لكنها فضلت الصمت حتى لا تغضب الملكة المقدسة "دنهش"، فأبتعد بعينيه عنها وقال بحزم:

- لم آت إلى هنا للحديث فيما مضى، ولكن لنتحدث فيما هو أت.

ضحكت"دنهش"بسخرية وقالت:

- وما هو الأتى أيها الأمير"سواتن"،هل جئت لتزف لنا خبر ارتباطك بالأميرة الجميلة"سماريدس"، وتطلب منا أن نحضر زفافكما؟

فالتفت"سواتن"إلى"شاروسة"التى ظهرت الغيرة على ملامحها، فعاد يوجه حديثه إلى العجوز الماكرة، فقال:

- لم يحدث شيئا من الذى تتحدثين عنه، بل جئت حاملا لكم عرضًا أتمنى أن تفكرى فيه جيدًا قبل أن أعرف ردك.

جلست العجوز على الكرسى الكبير، وأخذت كأسًا وتناولت منه بعض الشراب، ثم قالت وهى تتعمد عدم النظرلـ"سواتن":

- هل تبقى فى جعبتكم عروضًا أخرى بعدما قتلتم ابنى الملك "ميمون" وفرضتم شروطكم علينا، وتطالبوننا أن نترك أرضنا وديارنا.

اقترب"سواتن"منها وقال:

- جئت اليوم لأصحح بعض تلك الشروط وأهمها أننا لن نظالبكم بعد الآن بترك أرضكم وديارکم.

جرت نحوه"شاروسة"وقالت متسرعة:

- هل سنعيش كلنا هنا وأنتم معنا، أم ماذا تقصد بكلامك؟

صرخت فيها"دنهش"، وأشارت لها أن تصمت، ثم توجهت بالحديث إلى "سواتن"وقالت له بحدة:

- أكمل العرض أيها الأمير، ماذا تغير من الأمس إلى اليوم لتتنازلوا عن شروطكم بهذه السهولة.

تردد"سواتن"فى الإجابة، لكنه استجمع شجاعته وقال لها:

- سنترككم فى بلادكم ونرحل عنها مقابل أن نحصل على ترياق يشفى الملك مما أصابه.

ظهرت ملامح السعادة على وجه العجوز الماكرة"دنهش"وقالت:

- وهل أصيب الملك"سارى"ويحتاج لدواء يشفيه؟

هز"سواتن"رأسه بالنفى، وقال:

- بل المصاب هو الملك"ساران".

ألقت"دنهش"بالكأس على الأرض وصرخت فى وجهه:

- هل الملك"ساران"مازال على قيد الحياة، ألم يقتله ابنى الملك المعظم"ميمون أبا نوخ"؟، ما الذى تقوله أيها الخرف.

فهم"سواتن"من كلامها، أنها كانت تظن أن الملك"ساران"مات قتيلا بعدما تلقى الحربة فى صدره، فرد على كلامها وقال:

- الحربة أصابت الملك"ساران"ولم يمت بل هو الآن يعانى من أعراض خطيرة قد تودى بحياته إن لم نجد له الترياق الشافى.

تعجبت العجوز من كلامه وصاحت وهى تبتعد عن"سواتن":

- كيف لهذا المعلون تحمُّل السم داخل جسده كل تلك المدة، هذا السم يقتل جمل ضخم فى غضون ساعات قليلة.

كانت"شاروسة"تتابع الحوار وتختلس النظرات لـ"سواتن"فقد افتتنت به فى المدة التى قضاها بينهم، لكنها لا تستطيع أن تصرح بشىء فى وجود هذه

الماكرة، وكان هو أيضا ينظر إليها كل فترة كأنه يحثها أن تقنع الملكة بقبول العرض الذى يقدمه لهم، وظل هو يحاول فقال:

- طالما الملكة عندها علم بأمر السم، فالتأكيد أنها تعرف الآن ما يسببه هذا السم من أعراض خطيرة للملك"ساران".

قالت الملكة"دنهش":

- وهل يخفى على الملكة المقدسة شىء، بالطبع أعلم الأعراض جيدا لكن ما لا أفهمه كيف ظل"ساران"إلى الآن على قيد الحياة.

شعر"سواتن"أن الحوار سيمتد و هو فى عجلة من أمره ويريد أن يعود بالترياق المناسب لحالة الملك"ساران"، فقال:

- لم أسمع رد الملكة فى العرض المقدم من الملك"سارى"باعتباره صاحب الكلمة الآن فهو وريث العرش.

صرخت"دنهش"فى وجه وهى تشيح بيدها:

- كيف تجرؤ أن تطلب منى أن أساوم على دم ابنى، وأعطى لقاتله ترياق يشفى أخيه المريض.

نظر"سواتن"إلى"شاروسة"ففهمت أنه يطالبها بالتدخل، فقالت:

- صبرًا أيتها الملكة الأم، فالملك العظيم"ميمون أبا نوخ"مات وانتهى الأمر ومهما فعلنا لن نعيده إلى الحياة مرة أخرى، و ليس من العقل أن نترك ديارنا ونلجأ لأرض أخرى نعيش فيها كالغرباء والحل بسيط وفى أيدينا، مجرد قطرات من ترياق نشترى بها حريتنا.

ما إن انهت "شاروسة" كلامها، حتى نظرت لها الماكرة، ثم اتجهت نحو المائدة فملأت كأسها بالشراب وجلست صامتة كأنها تفكر فى أمرًا ما فجعبتها لا تخلو من المكائد والحيل، ثم نظرت إليهما وقالت بخبث:

- حسنا أيها الأمير "سواتن"، لكن هل سينفذ الملك "سارى" ما أطلبه منه، لكى ينقد أخيه.

أسرع "سواتن" بالرد قائلا:

- بالطبع، و إلا لماذا أرسلنى إليكم.

هزت "دنهش" رأسها وأشارت لـ "شاروسة" وقالت:

- خذى الأمير "سواتن" لغرفة الضيافة، حتى أحسب النجوم وأتحدث مع رجال الغيب، وفى الغد يحمل ردى إلى الملك "سارى".

****

مر الليل طويلا على "سماريدس"وهى تجلس بجوار أخيها"ساران"الذى يصارع المرض، فلا تمر ساعة حتى يصاب ببعض الأعراض الخطيرة فتارة يصاب بهياج شديد وتارة أخرى تنزف عينيه دمًا، وهو بين كل هذا لا حول له ولا قوة، أصابه الهزال وخارت قواه، فأصبح كالخرقة البالية فوق الفراش.

وها هى"سماريدس"تضع على رأسه بعض الماء البارد بعدما أصيب ببعض أعراض الحمى فارتفعت درجة حرارته وبدأ يهذى ويقول:

- لماذا فعلت هذا يا أبى، لماذا أنجبت أولادًا غيرى حتى يطمعوا فى المملكة، لابد من قتلهم، لابد من قتلهم جميعًا، ابعدهم عنى يا والدى فأنا لا أحبهم.

رغم مرارة الكلمات على قلب"سماريدس"إلا أنها لم تشعر يومًا إلا بكل حب وود تجاهه ، فكانت تقول لنفسها هذه تخاريف الحمى، حتى همس "ساران" مرة أخرى وقال كأنها يتحدث مع والده الملك"برقان":

- أنت لا تحبنى يا أبى، أنجبت من يشاركنى الملك ولم تكتفى بذلك بل طمعت فيمن أحبها قلبى وكنت تريد أن تتزوجها، نعم لقد أحببتها ، أحببت"سيلين"، أنت من قتلتها يا أبى ولن أسامحك أبدا.

كانت"سماريدس"ما زالت تصب على رأسه الماء البارد وتبكى من كلامه التى عرفت منه أنا أخيها تألم كثيرًا لفراق حبيبته"سيلين"، فتذكرت "سواتن"الذى تأخر عن العودة وخافت أن تكون العجوز الماكرة أصابته بسوء،

فنادت على الملك"سارى"الذى كان يجلس خارج الخيمة يناقش بعض الأمور مع الوزير، فجاء مسرعا وخلفه الوزير، وقال لها بقلق:

- هل حدث شيئًا يا أختى، ما حالة الملك الآن.

قالت وهى تمسح على رأس أخيها:

- أظن أن الحمى أصابته فقد كان يهذى ببعض الكلمات، ويتحدث عن حبه لـ"سيلين"، لكننى خائفة على"سواتن"لذلك استدعيتك.

فجلس"سارى"بعد أن اطمأن على أخيه، فأجاب الوزير قائلا:

- لا تخافى يا مولاتى الأميرة فلم يمر وقت طويل، وكما تعرفين الموضوع ليس بهذا السهولة، فالعجوز الماكرة لا تحب الخسارة وبالتأكيد ستحاول أن تستفيد من عرضنا لأقصى درجة.

فنظر لها"سارى"متعجبًا من كلامه، وقال:

- وهل ما نعرضه عليها ليس مكسبًا لها، فبعد انتصارنا الساحق عليهم سنتركهم ونعود إلى بلادنا، بعد كل هذا العناء فى الحرب.

قال الوزير الحكيم"يوشهور":

- ليس الأمر كما تظن أيها الملك، فالعجوز"دنهش"لا يهمها الأرض ولا الحرب، لكن ما تهتم به هو كيف تقضى على بنى جنسنا.

قال"سارى"وهويتجول فى الخيمة ويشير بيده:

- إذن أنت لا تثق بها أيها الوزير الحكيم، فمن الممكن ألا توافق، أو من الممكن أن ترسل لنا ترياق يزيد من آلام الملك، ومن الممكن أيضا أن تقتل"سواتن"، و.....

قاطعه الوزير قائلا:

- دعنا لا نستبق الأحداث يا مولاى، فقد قرب بزوغ الفجروإن لم يعد الأمير"سواتن"سيكون لنا تصرف آخر.

عاد"ساران"لهذيانه مرة أخرى، فأرادت"سماريدس"أن تبعد"سارى"لا يسمع كلام أخيه فيعرف أنه لا يحبه وكان يتمنى أن يقتله حتى لا يطمع فى الحكم، فقالت:

- اذهب يا أخى لتنل قسطًا من الراحة، فأنت لم ترتح منذ عدة أيام.

- كيف أرتاح وأترك أخى هكذا، لن يغمض لى جفن حتى يعود "سواتن"ومعه الترياق الشافى.

ثم شعر أنه أخته ربما تريد النوم، فأشار للوزير بيده، وقال:

- سأجلس أنا والوزير أمام الخيمة و إن حدث شىء نادى علينا.

هزت"سماريدس"رأسها بالموافقة، وما أن خرج الملك"سارى"بصحبة الوزير، حتى هدىء روعها بعض الشىء فهى لا تريد أن يكون فى نفس "سارى"شىء من ناحية أخيه أن سمع هذا الهذيان.

فقامت"سماريدس"وألقت بجسدها على فراش بجوار أخيها وأخذت تفكر فى حالته، ولاحت صورة"سواتن"أمام عينيها وأشتد قلقها عليه فقد تأخرت عودته، وخشيت أن يكون أصابه مكروه، فالقلعة ليست بعيدة عنهم وقد خبرت الكثير عن الماكرة من كلامهم عنها أمامها.

بزغ الفجر مبشرًا بضياء صباح يوم جديد، وأتى الصباح أخيرًا يحمل بين يديه آمال وأحلام ينتظرها الكثير، قد تتحقق فتنبت بذورالخير، وتينع ثمار الأمل، وقد لا تتحقق فتصير الأرض يبابًا،وتتحول الآمال إلى أوهام.

غابت شمس الأمس وتوارت فى كهفها، وها هى تستيقظ بنشاط لمزاولة أعمالها اليومية، فلماذا لم يأت الغائب الذى ننتظر أن يأتى محملا بالخير.

أفكار كثيرة تدور فى رأس"سماريدس"وهى داخل الخيمة التى يرقد فيها أخوها الكبير، حياته معلقة على عودة الغائب، الذى ذهب وأخذ قلبها معه، فأصبحت بين شقى رحى خوفها على أخيها وخوفها على حبيبها.

بينما كانت تصارع الأفكار إذ تنامى إلى قلبها صوته الذى عشقته فصارت تسمعه بقلبها قبل أذنها، فخرجت مسرعة من الخيمة فوجدته يقف بجوار أخيها والوزير ثالثهما، شعر بها فوقعت منه التفاتة أصابت قلبها بسهم الشوق والاشتياق.

عندما وجد"سارى"أن"سواتن"ينظر ناحية الخيمة ، ففهم أن"سماريدس" تقف، فقد كان يشعر بأن هناك شىء بينهما لكنه غير متأكد أوأنه ترك التفكير فيه بسبب مرض أخيه، فالتفت ناحيتها وقال ووجهه يتألق بالبشر والاستبشار ويشير لشىء فى يده:

- لقد جاء"سواتن"بالترياق، وقد أرسلت فى طلب الطبيب، تهلل وجهها بالفرح وأسرعت نحو الخيمة لتطمئن على أخيها النائم فلحق بها الجميع وبصحبتهم الطبيب، الذى تناول الترياق من الملك"سارى"وبهدوء تم أفاقة

الملك"ساران"بمساعدة "سماريدس"التى أسندته من ظهره حتى يستطيع تناول الدواء.

كان"ساران"ينظر لمن حوله ببلاهة وغيروعى فأعادته "سماريدس" إلى فراشه مرة أخرى، فلاحظت أن"سواتن"يشير للملك"سارى"حتى يلحق به فى الخارج فشعرت أن هناك أمرًا هام لكنها فضلت المكوث بجوار أخيها حتى ترى أثر الترياق الجديد وتأمل أن يشفى أخيها من علته.

وفى خارج الخيمة بعيدًا عن أسماعها وقف"سواتن"فى حيرة شعر بها "سارى"فقال له لما لاحظ تردده:

- ماذا هناك يا"سواتن"؟ أرى أن هناك أمرًا تريد أن تحدثنا به، هل هذا هو الترياق المطلوب أم خدعتك العجوز الماكرة.

طأطأ"سواتن"رأسه، ثم استجمع شجاعته وقال للملك"سارى"فى حضور الوزير:

- هذا الترياق مؤقت ولن يشفى الملك إلا بعضة أيام قليلة.

تعجب"سارى"من كلام"سواتن"فاقترب منه وصرخ فى وجهه:

- ماذا هذا الهراء الذى أسمعه؟ ولماذا لم تأت بالترياق الشافى؟

تدخل الوزير قائلا:

- على رسلك يا مولاى حتى نستطلع الأمر.

قال"سواتن": لقد عرضت الأمر على"دنهش"فرفضتت فى البداية أن تساوم على دمها ابنها خصوصا أنها كانت تظن أن الملك"ساران"قُتل فى المعركة بعدما أصابه"ميمون أبا نوخ"بالحربة، ثم بعدأن أوضحت لها الأمر وأنهم

بقبولهم هذا الاتفاق فقد ضمنوا البقاء فى أرضهم.

فقال له"سارى"بضجر: ثم ماذا؟

أردف"سواتن":

- ثم طلبت مهلة للتفكير تستشير فيها النجوم ورجال الغيب، وأمرت باستضافتى حتى الصباح.

تدخل الوزير قائلًا:

- يا لها من عجوز ماكرة!

قال"سارى"وقد بدا الغضب يكسو وجهه:

- اكمل يا"سواتن"، ماذا حدث بعد ذلك؟

قال"سواتن"بتردد:

- وفى صباح اليوم، جاءت وأخبرتنى أنها وافقت على عرضنا لكن هناك أمرين نختار بينهما حتى يبطل أثر السم المسحور إلى الأبد ويسترد الملك"ساران"عافيته وقوته، وأعطتنى ترياق مؤقت أثره لن يتعدى بضعة أيام كمهلة نفكر فيها ونختار بين ما طلبته.

صرخ"سارى"فى وجه"سواتن"وقال له:

- ماذا حل بك يا رجل، أسرع وأخبرنا ماذا طلبت هذه الملعونة.

استجمع"سواتن"شجاعته وقال:

- الماكرة قالت أن معفول السم لن يبطل إلى بمضغة من كبد تلوكها بأسنانها، أوببعض قطرات من دماء عذرية تمزجهم بالترياق، وتركت لنا حرية اختيار أمر من الأمرين، وإلا بعد بضعة أيام قليلة ستزداد حالة الملك سوء

وقد تنتهى حياته.

تعجب الملك"سارى"، وقال للوزير الحكيم وهو يشير ناحية"سواتن":

- هل فهمت شيئًا مما يقوله هذا الأبله؟

وقبل أن يجيب الوزير على تساؤل الملك"سارى"، إذ بـ"سماريدس" تأتى نحوهم مسرعة وهى تنادى على أخيها"سارى"وتقول:

-لقد استعاد أخى الملك"ساران"وعيه، ويطلبكم جميعا للمثول بين يديه حالا.

فنظر الثلاثة إلى بعضهم، ثم أسرعوا ناحية الخيمة وما أن دخلوها فوجدوا الملك "ساران" يجلس مستندا على مخدة وضعت على فراشه فى يده كأس يتناول منه، ما أن وقعت عينيه عليهم حتى لاحت على وجهه ابتسامة وأراد الوقوف فاسرعه نحوه أخوه"سارى"وأرتمى بين أحضانه، وأخذ يبكى حتى سالت دموعه على كتف أخيه فقال له"ساران" بصوت متعب:

- لما كل هذا البكاء يا أخى، فأنا بخير الآن.

ونظر ناحية الوزير و"سواتن"فانحنى الوزير لتحيته، فقال لـ"سواتن":

- شكرا لك يا"سواتن"على ما قمت به من أجلى فقد أخبرتنى أختى بأنك من أحضرتك الترياق من عند العجوز الماكرة.

ابتسم"سواتن"وهو ينظر إلى"سماريدس"وانحنى تحية للملك وقال:

- جيمعنا فى خدمتك أيها الملك الشجاع.

انفرج ثغر"ساران"عن ابتسامة باهتة، ثم قال وهو يتحسس بطنه:

- أشعربجوع شديد كأننى لم أتناول طعامًا منذ سنين.

فضحكت"سماريدس"بسعادة، فى حين طلب"سارى"من الوزير أن يأمر بأن يأتى الطعام حالا، انحنى الوزير برأسه ثم خرج من الخيمة وفى ركابه "سواتن"والطبيب.

كانت"سماريدس"فى قمة سعادتها بشفاء أخيها واستعادته لوعيه، فأخذت تقبله على رأسه وتحتضنه وهو يبادلها الابتسامة ويربت على كتفها.

أحضرت الجوارى الطعام كما أمرالملك"سارى"فساعدت"سماريدس" أخيها وجلست بجواره وأخذت تطعمه بيدها ، فنظر"ساران" لأخيه وقال:

- أريد معرفة كل شىء منذ أن أصابنى الملعون"ميمون أبا نوخ".

أسرعت"سماريدس"قائلة وفى يدها لقمة تقربها من فم"ساران":

- لقد قتل"سارى"الملعون"ميمون"وقطع رأسه، وأخذ بثأرك.

ابتسم"ساران"وهو ينظر لأخيه، فوجده متجهم الوجه ويتصنع الابتسامة فأحس أن هناك أمر ما يشغل باله، فقال له:

- ما بك يا أخى؟ ألست سعيدًا بشفائى.

فخافت"سماريدس"أن يكون"سارى"سمع بعضًا من هذيان "ساران" وعرف أنه كان يريد قتله منذ ولادته، فأرادت أن تستكشف الأمر، فقالت:

- بالطبع"سارى"سعيدًا بشفائك يا أخى، ولكنه لم ينم منذ أصبت لذلك يظهر على ملامحه الإرهاق.

أنقذت كلماتها"سارى"من عناء البحث عن إجابة، فقد كان عقله مشغولا ويفكر فيم طلبته الماكرة "دنهش" من"سواتن"ولم يعرفه حتى الآن فأكل الشوق للمعرفه قلبه واستأذن من أخيه حتى يذهب ليأخذ قسطًا من الراحة ثم

يعود ويقص عليه كل ما حدث، ثم خرج من الخيمة وترك أخيه يكمل طعامه، وسار باحثًا عن "سواتن" فوجده يجلس

بعيدًا فى أقصى المعسكر ومعه الوزير، فاقترب منهما وطمأنهم على الملك، ثم التفت ناحية "سواتن" وقال له:

- اعلم يا "سواتن" إننى لم أفهم شيئا من كلامك منذ قليل

فقال الوزير الحكيم:

- لقد أخبرنا الأمير "سواتن" أن العجوز طلبت أن نختار بين مضغة من كبد أو بعض دماء عذرية لتمزجهم بالترياق الذى سيشفى الملك، لكننا لم نعرف أى كبد وأى دماء تقصد.

ابتعد عنهم "سواتن" بعض خطوات وولاهم ظهره وقال:

- مضغة من كبد "سماريدس" أودماء عذريتها.

****

داخل الغرفة الواسعة التى تشرف نافذتها الكبيرة على مساحة خضراء من الأشجار والأزهار، وتزينها مجموعة كبيرة من الصور لملوك الأسرة يتوسطهم صورة بالحجم الكبير لابنها الراحل الملك"ميمون أبا نوخ". كانت نائلة أم الشعور المائلة الماكرة "دنهش"تتوسد سريرها وهى تمسك فى يدها كأس مملوء بالشراب، تقول لـ "شاروسة "التى كانت تجلس على كرسى بجوار السرير:

- أرأيت يا عزيزتى أن جعبتى لا تنضب أبدا، ولن أعدم الحيلة وسترين عما قريب أننا حصلنا على ما نريد وكسرنا قلوبهم على كل غال لديهم.

جاوبتها"شاروسة"بابتسامة وقالت:

- هل تعتقدين أن الملك"سارى"سيوافق وينفذ شروطنا.

اعتدلت"دنهش"قالت:

- ليس أمامه حل آخر يا عزيزتى، فأما أن ينصاع وينفذ طلبنا أو يفقد أخيه"ساران"للأبد، وأظنه سيفكر ألف مرة قبل أن يرفض.

امدت يدها"شاروسة"لتأخذ كأس الشراب من"دنهش"وقالت لها:

- لماذا إذن أرسلت مع"سواتن"الترياق، ألم يكن من الأفضل أن تضيقى الخناق عليهم حتى تضمنى موافقتهم.

ضحكت"دنهش"بصوت مرتفع وقالت لـ"شاروسة"بود:

- عزيزتى"شاروسة"ما زلت صغيرة حتى تفهمى ما تخطط له الملكة المقدسة ، فأنا منحتهم ثلاثة أيام ليفكروا قبل الرد، وأنا أعلم جيدًا أن بنى

جنسهم يظهرون الحب لبعضهم لكن وقت الشدة يقول أحدهم إن كانت رأسك أخيك جسر الأمان فلتضع قدمك فوقها لتعبر ولا تهتم.

غمزت"شاروسة"بعينها وضحكت وهى تتعجب من دهاء الملكة، ثم قالت:

- كنت أظن أنك ستأمرين بقتل"سواتن"عندما دخل القلعة.

قالت"دنهش"وهى تستعد لمغادرة سريرها:

- ظنك خاطىء يا عزيزتى، "سواتن"ابن عمهم و بالتأكيد توسوس له نفسه ويطمع بأن يكون الملك، ثم أنه يعشق"سماريدس" والعقبة أمامه هم أخوتها، فالتالى الكل الآن لا يفكر إلا فى نفسه كعادة بنى جنسهم.

ثم اتجهت"دنهش"إلى منضدة وضع فوقها قطع شطرنج، أمسكت الملك بيدها ونظرت لحيث تجلس"شاروسة"وقالت:

- سنرى قريبا إن كانوا سيكملون اللعبة بدون الملك أم بغير "سماريدس" أم سيطمع"سواتن"ويقتل الملكين ويصبح هو الملك.

وأغلقت كفها على قطعة الشطرنج وهى تضحك بسخريه والنار تكاد تخرج من مقلتيها وأضافت قائلة:

- وفى كل الأحوال نكون نحن المنتصر، وربحنا بعض قوتنا، ويكون الحكم الفيصل بينا أجل إلى حين آخر، وسيستمر الصراع بين بنى جنسنا وبنى جنسهم إلى ما لانهاية.

وقفت"شاروسة"واقتربت من الملكة"دنهش"وقالت:

- أرى أنهم سيختاروا الشرط الثانى، لأنه يضمن لهم بقاء الملك وأخته على قيد الحياة، أما الشرط الأول يمنح الملك الحياة ويسلبها من أخته.

ضحكت"دنهش"من سذاجة"شاروسة"وقالت وهى تربت على كتفها:

- لو لديك بعد نظر كنت ستعرفين أن تنفيذ كلا الشرطين فى مصلحتنا وأن كنت أفضل أن يختاروا تنفيذ الشرط الثانى، فأن ظهر لهم أسهل لكنه الأفضل بالنسبة لى.

- وكيف يكون تنفيذ الشرط الثانى أفضل لنا مع أن الملك"ساران" سيستعيد عافيته وقوته ويعود لقتالنا مرة أخرى.

قالت"دنهش"بمكر وهى تخرج لسانها بشهوة:

- لكن عندما أمتص دماء عذرية"سماريدس"بلسانى وقتها ستعود إلينا قوتنا التى ضعفت منذ أنجبنت"ميرة"من الملك"برقان"، كما أننى أقدر لحظتها أن أسحرها فلا يستطيع"سواتن"أو أى رجل من بنى جنسهم أن يقترب منها فلا يكون لها بدا من الارتباط برجل من جنسنا.

ابتسمت"شاروسة"ولم تعقب، فبادرتها العجوز قائلة:

- أرى يا"شاروسة"أنك تهتمين بأمر"سواتن"كثيرًا، لا بأس يا عزيزتى أن تتمتعى برجل من جنسهم لكن احذرى الإنجاب منه.

****

كان وقع الكلمات عليه كالصاعقة، فأسرع نحو"سواتن"وجذبه من ملابسه وقال له وهو يشير بيديه متعجبًا:

- ما هذا الهذيان الذى تنطق به يا"سواتن"، هل جنت هذه العجوز لتفرض علينا شروطًا كهذه.

لحق بهما الوزير الحكيم، وقال موجهًا كلامه للملك"سارى":

- صبرًا مولاى الملك، لابد أن نفكر جيدًا، فالغضب لن يخرجنا مما نحن فيه، وكما علمت أن هذا الترياق مفعوله سينتهى بعد أيام فعلينا إذن أن نختار بين حياة الملك"ساران"وبين أى شىء آخر.

ضحك الملك بسخرية وهو يتعجب:

- أيصدر هذا الكلام منك أيها الوزير الحكيم، فى أى شىء نفكر الماكرة تشترط علينا أمرين فى غاية الصعوبة، فهى تضع حياة الملك مقابل حياة الأميرة"سماريدس".

حاول الوزير الحكيم تهدئة الملك، فقال له:

- هناك خيار آخر ننقذ به حياة الملك وفى نفس الوقت لن نضحى بحياة الأميرة"سماريدس".

أسرع"سواتن"قائلا:

- أتقصد أن نترك العجوز الماكرة تمتص دماء عذرية "سماريدس" مستحيل أن يحدث هذا حتى وإن كان آخر يوم فى عمرى.

تعجب"سارى"والوزير من رد فعل"سواتن"، ثم هز الوزير رأسه وقال:

- هل لدى الأمير"سواتن"حل آخر؟

تنهد الملك"سارى"تنهيدة أوبتها الجبال، وقال لهما:

- لنذهب الآن لنطمئن على حالة الملك"ساران"وندع المناقشة بعض الوقت لعلنا نصل لحل مناسب.

عندما وصلوا إلى خيمة الملك"ساران"وجدوه يتحدث ويضحك مع "سماريدس"التى لم تفارقه منذ أصيب، نظر لهم وقال بينما تناوله أخته بعض الشراب:

- أين ذهبتم جميعًا؟ فأنا أنتهيت من تناول طعامى من مدة، وأصرت "سماريدس"أن لا أتركه منه شيء.

ارتبك الملك"سارى"ونظر للوزير وقال وهو يبحث عن الكلمات:

- كنا نناقش بعض أمور الجيش يا أخى، فلا تشغل بالك، عليك فقط أن تهتم بصحتك، حتى تستكمل المسيرة التى بدأتها.

اتعدل الملك"ساران"فى جلسته وقال لهم بعدما شعر بأن هناك أمرًا جلل يشغلهم:

- اتركونى مع الوزير الحكيم، فأنا أحتاج لأخذ رأيه فى بعض الأمور الهامة.

تعجب"سارى"من طلب أخيه، فهو يعرف عنه الفطنة والذكاء وبالتأكيد استنتج بأن هناك شيء حدث، خصوصا موافقة"دنهش"على إرسال الترياق

مع"سواتن"أمر يثير الريبة، لكنه لم يستطع مخالفة أمر أخيه، فأمسك بذراع"سواتن"وخرجا سويا من الخيمة وترك الملك والوزير ومعهما "سماريدس".

تبعهم"ساران"بنظره حتى خرجا، فنظر إلى الوزير وقال له:

- والآن أيها الحكيم أريد معرفه كل شيء، فعندى ثقة أنكم تخفون عنى الكثير من الأشياء، ولدى الكثير من الأسئلة تحتاج لإجابة أولها كيف وافقت"دنهش"بهذه السهولة أن تمنحنا الترياق.

نظر الوزير ناحية"سماريدس"قبل أن يجيب على سؤال الملك، ففطن "ساران"لمقصده، فطلب من"سماريدس"أن تذهب لخيمتها لترتاح بعض الوقت، فتعجبت من طلبه واستأذنت وخرجت، فقال الوزير:

- كما عهدتك دوما أيها الملك فأنت شديد الفطنة، وهناك أمرًا بالفعل لا نستطيع أن نجد له حلا.

- ما هذا الأمر أيها الوزير الحكيم، أرجو أن تخبرنى به فى الحال

قال الوزير وهو يتلفت يمينا ويسارًا:

- لقد منحتنا"دنهش"ترياق مؤقت يزول مفعوله بعد بضعةأيام، ولها بعض الشروط مقابل أن تعطينا الترياق الشافى، وكنت أتناقش مع الملك"سارى"والأمير"سواتن"وهما يرفضان بشدة الموافقة على شروطها.

مط الملك"ساران"شفتيه، وقال:

- وما تلك الشروط أيها الحكيم؟

تردد الوزير فى البوح بالسر لكنه استجمع شجاعته عندما رأى الملك يلح، فقال:

- حياة الأميرة"سماريدس"أودماء عذريتها مقابل حصول مولاى الملك على الترياق الذى يعيد له القوة والعافية.

انزعج الملك"ساران"مما قاله الوزير، فبدا الغضب على وجهه وهويقول:

- الخبيثة تريد الانتصار علينا بالحيلة، هل نسيت أيها الحكيم كلام "سيلين"الذى أخبرتك به، وأنهم لن يغمض لهم جفن حتى يحصلوا على دماء"سماريدس"أوأن تتزوج من بنى جنسهم وتدين ذريتها بالولاء لهم.

هز الوزير رأسه بالإيجاب، فاستكمل الملك"ساران"كلامه وقال:

- لا داعى للحيرة أو المناقشة أيها الحكيم، سينادى فى الجيش الآن بالاستعداد للرحيل والعودة إلى"أقناموس"، وأن انتهى مفعول الترياق فى الطريق ومت فلا تدفنونى إلا بجوار أبى الراحل الملك"برقان".

قال الوزيرمعترضًا:

- و لكن يا جلالة الملك.....

قاطعه"ساران"وقال بحزم:

- لن أدع هذه الماكرة تتحكم فينا، ماذا تساوى حياتى مقابل الحفاظ على أختى"سماريدس"التى ستضمن لنا التفوق الدائم على بنى جنسهم.

وسط نقاش الملك مع الوزير، وفجأة اقتحمت"سماريدس"عليهم الخيمة وهى تبكى وترمى بنفسها فى حضن أخيها

الملك"ساران"وتقول:

- أنا موافقة يا أخى، موافقة على شرط"دنهش"،حياتى فداؤك يا أخى فأنا مجرد فتاة لا تقود جيش أورعاية مصالح ممكلة كبيرة.

احتضن"ساران"أخته، والتفت للوزير الذى كان يتابع ما يحدث وقال له:

- عليك أيها الحيكم تنفيذ ما أمرتك به فى الحال، وإن اعترض "سارى"فأخبره أن هذا أمر الملك"ساران"ولا نقاش فيه.

انحنى الوزير تحية للملك ومضى خارجًا لتنفيذ الأمر، بينما رفع "ساران" رأس أخته من على صدره ومسح الدموع المنهمرة على خديها وأمسك بوجهها بين يديه وتطلع فى عينيها وقال لها بكل ود:

- حبيبتى ، أنت مستقبل جنسنا، فأنت الأرض الخصبة التى ستنبت الزهور الجميلة فتكون واحة الأمان للأجيال القادمة، فعليك تقعد آمال كبيرة فليس من السهل علينا أن نضحى بك بهذه السهولة نعم أنا الملك لكن أبقى مجرد رجل وسيأتى الكثير من الرجال من بعدى، أنت رمز الحياة يا"سماريدس".

أرادت"سماريدس"أن تبدى اعتراضها، فوضع يده على فمها، وأردف قائلا:

- الموضوع أكبر مما تتصورى، أنا أعرف جيدًا هدف"دنهش"من شروطها لذلك لن أسمح لها بالانتصار علينا، سنرحل من هنا ويكفينا أننا قتلنا المعلون"ميمون أبا نوخ"وأفقدناهم بعضًا من قوتهم.

وفجأة أثناء حديثهما أقتحم"سارى"الخيمة وبادر أخيه "ساران"بقوله:

- لماذا قررت العودة إلى"أقناموس"ونحن لم ننهى حملتنا الحربية بعد ولم نقضى على المعلونة"دنهش".

وضع "ساران" يده على أخته، والتفت إلى أخيه "سارى" وقال:

- لن أنتظر هنا وأترك الماكرة "دنهش" تتحكم فينا وتفرض علينا شروطها ويكفينا قتل "ميمون" والكثير من الغنائم التى ربحناها فى المعركة.

اقترب "سارى" من أخيه وجثا على ركبتيه وقال لها بنبرة حزينة:

- أرجوك يا أخى أن تعدل عن قرارك، اتركنا نتفاوض مع هذة العجوزحتى نحصل لك على الترياق الشافى.

قال "ساران" بحزم:

- القرار نهائى يا "سارى" عليك فقط تنفيذه دون جدال أومناقشة، أو يكون لك رأى آخر وتعصى أمر أخيك الأكبر.

أمسك "سارى" بيد أخيه وقال والدموع تترقرق فى عينيه:

- عفوا يا أخى فأنا لا أقدر أن أعصيك أبدا، ولكن مفعول الترياق سينتهى قريباً والمسافة إلى "أقناموس" كبيرة وأخاف عليك.

كادت الدموع أن تسقط من عينى "ساران" لكنه تماسك وقال لأخيه:

- تخشى على من الموت، لماذا لم تقلها، حتى لوحدث ما تقول فسيكون هذا قدرى ووصيتى أن تحملونى لأدفن فى "أقناموس" أم سأكون حملا ثقيلا عليكم.

انهارت "سماريدس" فى نوبة بكاء، بينما انكب "سارى" على يد أخيه وأخذ يقبلها وقال بصوت متقطع من شدة الحزن:

- لا تقل مثل هذة الكلمات يا أخى، فأنت ستظل ملك "أقناموس".

نظر"ساران"فوجد الوزير و"سواتن"يقفا على مدخل الخيمة، فقال لأخيه الذى لم يلاحظ وجودهما:

- كما أوصى أن تتزوج"سماريدس"من"سواتن"ويقام حفل الزفاف فى الميدان الكبير بالمملكة حتى يشهده الجميع ويظل يتحاكى عنه الناس . فتقع على عاتقهما مسئولية الحفاظ على الدم الملكى.

رد"سواتن"بابتسامة وهو ينظر إلى حبيبته"سماريدس"وقال للملك:

- هذا شرف كبير أيها الملك، وسنسعد بوجودك فى حفل الزفاف.

هز الملك"ساران"رأسه ليرد تحية"سواتن"، ثم التفت لأخته وقبل رأسها وتوجه إلى الوزير وسأله عن ترتيبات العودة إلى الوطن، فأخبره الوزير بأن الجيش سيكون جاهز للتحرك فى غضون ساعة، كما أخبره أنه أمر بتجهيز محفة خاصة تحمل الملك لأنه لن يستطيع ركوب جواده فطلب منه"ساران"أن تكون المحفة كبيرة لتسمح له باصطحاب أخته "سماريدس"معه حتى يأنس بها طول مدة الرحلة.

عندما مالت الشمس إلى المغيب كان الجيش على أهبة الإستعداد للرحيل وفك الحصارعن"بنى دهمان"الذى استمر قرابة الشهر، حُمل الملك "ساران"على محفة صممت خصيصًا لتحمله وبجواره أخته الأميرة "سماريدس"التى كانت قلقة عليه من طول الطريق ووعثاء السفر، وأن بدا أنه سيأنس بها فى الرحلة لكنه اصطحبها خوفًا من أن تقوم"دنهش" بحيلة أخرى..... تحرك الجيش وبدأت رحلة العودة.

****

كان يفصل معسكر الجيش عن أسوار قلعة"بنى دهمان"بعض الغابات والأشجار الكثيفة، لذا لم ينتبه الحراس لمغادرة الجيش، وكانت"دنهش" على ثقة من أن الملك"سارى"سيختار أحد الشرطين لإنقاذ أخيه الملك "ساران"من الموت.

فلم تهتم بالسؤال عن وصول أى رسول من عند"سارى"لأنها منحتهم مهلة عدة أيام لذلك كانت تمارس حياتها بشكل طبيعى، فتسهر فى الليل والكأس لا يفارق يدها وفى النهار تذهب إليها"شاروسة"فتحكى لها عن ذكريات الماضى وتفتخر بالحيل التى أوقعت بها الملوك والجبابرة.

وحتى عندما أرسل الملك"مُرة الأحمر"فى طلب ابنته"ميرة"ردت عليه بنفس الحجة وبأنها تعيش بينهم فى سعادة فلا داعى للقلق عليها وكانت تهدف من وراء ذلك أن تستخدم"ميرة"طعم تصطاد به"سارى"وأخته إن اضطرتها الظروف لذلك.

كانت تتحدث مع"شاروسة"فتطرق الحديث إلى"ميرة"، فقالت عنها:

- "ميرة"قريبة الشبة من العزيزة الراحلة"سيلين"، درسا على يده العجوز"شمهورش"قاض الجن، وجد"سيلين"، كنت لا أحبه ولا هو كذلك، لأنه كان يغرس فى نفوس طلابه بعض القيم التى تخالف طبعنا وصفاتنا، حتى نشأ كل من تعلم على يديه يمقت بنى جنسنا ويعتبر كل مهمتنا هى إغواء بنى الإنسان.

ثم ضحكت وقالت:

- العزيزة"سيلين"أيضا كانت لا تحبنى مع أنى جدتها وتحملت مسئولية رعايتها بعد وفاة والدتها، لكن والده"ميمون"أرسلها لتلقى العلم عند صهره"شمهورش"فتشربت بصفاته، وعندما عادت إلى هنا فى شبابها لم نستطع أن نقومها.

قالت لها"شاروسة":

- ولكن كيف تزوجت"ميرة"من الملك"برقان"؟

تنهدت"دنهش"وهى تتذكر ماحدث ، وقالت:

- فى فترة من الفترات كنا على وفاق من الملك"برقان"،فكنا نهادنه لنعمل له الحيلة، فى هذا الوقت قبض جنودنا على بعض قطاع الطرق ومعهم الكثير من الجوارى والأموال والجواهر، وكانت "ميرة"من بين الجوارى، وكانت عائدة من الاحتفال بعيد "القرابين"حيث تجتمع بنات الممالك السبعة كما تعرفين وعندما خطفها قطاع الطرق وقبضنا عليهم، لم نتعرف عليها بسبب حالتها الرثة ، كما أنها لم تصرح لأحد بحقيقتها، فأراد ابنى الملك"ميمون"أن يرسل هدايا للملك"برقان"فكانت"ميرة"من ضمن الجوارى، فقبل"برقان"الهدايا وكان يحب النساء فأعجب بها ودخل عليها وأنجب منها"سارى"وأخته.

قالت"شاروسة":

- هذا بالنسبة لـ"ميرة"، اخبرينى بما حدث مع"سيلين"؟

طلبت"دنهش"منها أن تملأ لها الكأس، ثم تناولته منها وقالت:

- آه يا"شاروسة"يا عزيزتى، أنت تؤنسى وحدتى لكنك تذكرينى

بالماضى وماوقع فيه من أحداث مؤسفة لبنى جنسنا، ثم أضافت:

- منذ عادت"سيلين"من عند جدها"شمهورش"وهى لا تطيق العيش معنا، وصادف ذلك وجود الملعون"ساران"عندنا، كنا نريد قتله لكنها ساعدته فى الهروب ولحقت به، وحدث لها ما حدث وقتلها عبد أسود من عبيد الملك"برقان".

ثم نظرت إلى"شاروسة"التى كانت تتابع تلك الحكايات، وسألتها:

- أرأيت يا "شاروسة"ما فعل معنا هؤلاء، ألا يستحقون أن نفعل بهم الكثير والكثير ولا تأخذنا بهم رحمة.

مطت"شاروسة"شفتيها، مما سمعت، ثم قالت:

- معك كل الحق أيتها الملكة المقدسة ، فهؤلاء لا يستحقون شفقة ولا رحمة يكفى أنهم قتلوا العزيزة"سيلين"والعزيز"ميمون".

اعترضت"دنهش"على كلامها وقالت:

- القتل كان أبسط ما قاموا به، لكن إنجاب"ميرة"من رجل من بنى جنسهم، هو ما سلب قوتنا التى نتميز بهم عنها، لذا سنظل معهم فى حرب حتى نسترد شرفنا وقوتنا المسلوبة"ميرة"سملت نفسها للملك"برقان"وهى تعلم خطورة ذلك علينا، لكنها تربية "شمهورش"الذى لا يهتم إلا بقيمه ومبادئه الباليه، فهو عجوزعف الحروب وجلس تحت شجرة يعلم الصغار من بنى جنسنا.

أثناء حديثهما الطويل، سمعا طرقًا على الباب، فأذنت"دنهش"للطارق بالدخول، فإذا به الحارس، نهرته"دنهش"على اقتحام خلوتهما، فأخبرها أن هناك أمرًا هامًا قد حدث، فانتفضت من مكانه وقالت:

- ما بالك أنت أيها الغبى؟ ما الأمر؟

فاضطرب الحارس من صوتها الأجش، وقال وهو يحنى رأسه:

- جيش"سارى"يا مولاتى المقدسة، لا وجود له.

وقع الخبر على رأسها كوقع الصاعقة، فصمتت هنيهة، كأنه تستوعب ما سمعت، ثم قالت وهى تلوح بيدها فى وجه الحارس:

- ماذا تقول أيها الغبى، ماذا تعنى بأن الجيش غيرموجود، هل اختفى؟

- كنا فى فرقة استطلاع كالعادة، وعندما لم نسمع صوت الجنود اقتربنا أكثر من المعسكر، فلم نجد منهم أحدًا، وتفقدنا الأماكن فعرفنا من أماكن النيران أنهم غادروا بالأمس.

- وأين كنتم أيها الأغبياء، ألم تعلموا أننى فى انتظار رسالة منهم لماذا تغافلتم عنهم، وكيف لا نعلم برحليهم إلا بعد يوم أوأكثر.

لم يستطع الحارس الرد، فاقتربت منها"شاروسة"وهمست:

- أيكون الترياق شفى الملك"ساران"لذلك قرروا الرحيل.

أبعدتها "دنهش"عنها، ونظرت لها بغيظ وقالت:

- عزيزتى"شاروسة"أأنت فرحة بأنهم خدعونا، لك أن تعلمى أنه لا يوجد على ظهر الأرض من يخدع الملكة المقدسة"دنهش".

ثم صرخت بأعلى صوتها، قائلة: إلى حالا بفرقة من"بنى القماقم".

بعد أسبوع من مغادرة الجيش حصار"بنى دهمان"، مر الجيش فيه بالسهول والوديان والجبال ومازال"ساران"يرقد داخل المحفة وبجواره "سماريدس" التى بدأت تلاحظ تبدل حالة أخيها الملك ، بعدما ظل لعدة أيام يتسامر معها ، فيتضحكان على الذكريات التى كان يرويها لها ، عن حياتى وطفولته ثم قص عليها حكايات بطولاته بعد أصبح قائدًا لجيش مملكة"أقناموس".

اقتربت"سماريدس" فى تلك المدة من أخيها و صارت شديدة التعلق به وكلما جاء أخوها"سارى"ليطمئن عليها كانت تثير غيرته فتضحك وتحتضن أخيها"ساران"لكنها باتت قلقة على أخيها بعدما بدا أن مفعول الترياق لن يصبرعليهم حتى يصلوا بلدهم.

أمر"سارى"الجيش بضرب الخيام طلبًا للراحة بعد مسيرة أسبوع كامل يسابقون فيه الوقت للوصول إلى"أقناموس"، فجهز الجنود خيمة للملك وهبط من محفته ومعه أخته"سماريدس"، وكانت حالته مستقرة بعض الشىء، لكنه ليس كمثل الأيام السابقة.

وفى المساء استدعت"سماريدس"أخيها الملك"سارى"فجاء مسرعًا ليرى الأمر ودخل الخيمة، فوجدها تجلس وتضع رأس"ساران"على رجلها وتمسح له عينيه و تبكى، و"ساران"يتطلع لها و يربت على كتفها بكل حب، أثر المنظر فى نفس"سارى"فترقرقت الدموع فى عينيه، فانتبته له "سماريدس"، فقال لها:

- ماذا حدث يا أختاه؟ ماذا أصاب الملك؟

التفت له"ساران"وهو يبتسم ويرحب به، فرأى"سارى"الدماء عادت مرة أخرى تتساقط من عينى أخيه، فاقترب منه وأخذ يمسح على رأسه ويقول:

- ألم يكن من الأفضل يا أخى أن نوافق على شروط"دنهش"؟

حاول"ساران"أن يعتدل فى جلسته فساعدته أخته، فأخذ ينظر لأخيه ويقول:

- هب أنها كانت اشترطت أن نسجد لها حتى أشفى من علتى، هل كنا نوافقها؟، يا أخى نحن فى صراع مع بنى جنسهم منذ بدأ الخليقة وكل همهم غوايتنا، لكن فاز من صبر عندما ابتلى.

ثم مسح الدماء من على وجهه وأكمل موجهًا كلامه لإخوته:

- نحن نفرح بالشمس حين تشرق وتنشر الضياء على الكون، ونحزن حين تغرب ويعم الظلام، لكن لن يغريها فرحنا بالإشراق، ولن يمنعها حزننا من الغروب، هكذا حياة الإنسان كما لها إشراق لا بد لها من غروب.

انهمرت الدموع فى عينى"سماريدس"عندما قال أخوها"ساران" هذا الكلام واحتنضنه، وكانت الدماء جفت بعض الشىء فى عينيه، فطلب من أخيه أن يستكملوا رحلتهم، حتى يكونوا فى بلدهم بأسرع وقت، فانصاع"سارى" لأمرأخيه وأمر الجيش بمواصلة السير.

ساءت حالة"ساران"فى الأيام التالية، فكانت تنتابه حاله من الهياج الشديد مع تساقط الدماء من عينيه، وأحيانا يدخل فى إغماءة طويلة لا يعى ما يدور حوله، وكانت"سماريدس"لا تفارقه لحظة، بينما أصر"سارى" على الإمساك بعنان الجمل الذى يحمل أخيه حتى يكون بالقرب منه.

فى إحدى المرات التى حدثت له حالة هياج شديد أخذ يركل برجله كل ما يقابله، وكادت المحفة تسقط من على ظهر الجمل، لكن أسرعت الجنود نحوه وأمسكوا بها حتى هدأت حالته، فبعدها طلب من أخيه "سارى"وهو يبكى بكاءً أبلى الجبال والصخور:

- أرجوك يا أخى ؛ قيدنى وشد وثاقى جيدًا ، حتى لا أزيد عليكم مشقة السفر.

فاستعظم" سارى "أن يفعل ذلك بأخيه الأكبر، وصرخت"سماريدس" رافضة ذلك رفضًا قاطعًا، ومع اصراره ورفض إخوته، أمر"سارى" الجنود فصنعت محفة واسعة حُملت على ظهر جوادين وشد وثاقها جيدًا حتى لا تسقط.

أصبح الجيش على مسيرة يومين من دخول أرض"أقناموس"، فحث "سارى"الجنود على الإسراع فى السير، فحالة الملك" ساران "تتبدل ما بين الهياج والهدوء.

- أشعر بأننا اقتربنا من بلادنا ، فقد شعرت بهوائها الطيب.

قالها "ساران"وهو ينام على رجل أخته"سماريدس"، فوضعت يدها على رأسه الساخنه بفعل الحمى ، ونظرت فى عينيه وابتسمت والدموع فى عينيها وقالت له:

- معك حق يا أخى، فنحن بالفعل على مشارف بلادنا.

قال لها بصوت مجهد، وهو يمسح دموعها بيده:

- لا تبك يا أختاه ، واصبرى وتحملى ، فأنت الأمل وكل ما نفعله هو من أجل الحفاظ عليك حتى تنجبى لنا من يستكمل المسيرة.

عندما وقف الليل مبتسمًا، يتنظرالشمس أن تغرب وترحل لمستقرها حتى يطرح ستائره السوداء وينشر ظلامه على الكون ، دوت صرخة عالية فزع لها الجيش وتوقف، وتوقفت الألسن عن الكلام، وسكنت الخيول عن الصهيل، وناحت الغربان فى أوكراها، وعوت الذئاب فى كهوفها.

فقد سكنت روح الملك"ساران"وهو على مقربة ساعات من الوصول إلى قصره الكبير فى"أقناموس"، سكنت روحه بعد رحلة طويلة من قيادة الكفاح والجهاد ضد جنس لا يكل ولا يمل من الصراع المحموم.

أسرع الملك"سارى"عندما سمع صرخة أخته، وكشف ستارة المحفة فوجدها تحتضن رأسها أخيها وتصرخ وتهطل الدموع من عينيها على خد أخيها المسجى عليه، فأعاد الستارة وجثا على ركبيته وراح فى نوبة من البكاء الشديد أبكت كل جنود الجيش فصارت الدموع أنهر بإمكانها حمل سفينة.

أسرع إليه"سواتن"والوزير وأمسكا بذراعيه وأوقفاه، فاحتضن"سواتن" وهو ما يزال يبكى وينتحب، وربت الوزيرعلى كتفه وقال له:

- تجلد يا بنى، فلا مفر من المكتوب لأنه كُتب ولابد أن يتحقق فاصبر، واستلم راية الجهاد حتى نحافظ على ما تبقى من جنسنا.

وقال"سواتن"الذى أثر فيه الموقف وبكى كثيرًا على ابن عمه:

- كنت أتمنى أن يحضر زفافى على"سماريدس"كما أوصى، لابد أن يقام للملك جنازة تليق به.

نظر"ساری"للوزير وقال له آمرًا وقد احمرت عينيه من كثرة الدموع:

- أيها الوزير، ينزل جثمان الملك من المحفة ويوضع على خشبه يحملها الجنود حتى القصر، وترسل إلى المملكة بأن يخرج كل الشعب لاستقبال الملك ويطاف بجثمانه كل أنحاء المملكة.

هز الوزير رأسه وقد ابتلت لحيته البيضاء من الدموع، وقال:

- أمرك مطاع يا مولاى وسينفذ فى الحال.

فى مشهد مهيب تشيب له الولدان، دخل الموكب الجنائزى للملك "ساران" المملكة، يتقدمه النعش الذى يرقد عليه جثمان الراحل، ويحمله بعض الجنود ويسير خلفه الجيش بأسره فى مقدمته أخيه"ساری"وعن يمينه أخته تحيط بها بعض جواريها ، وعن يساره ابن عمه"سواتن"ووزيره الحكيم" يوشهور".

اصطف الناس على الجانبين، وعم الحزن والبكاء وعلا النحيب وترددت الهتافات التى تودع الملك الراحل"ساران".

شيع الجميع جثمان الملك"ساران"إلى مثواه الأخير، وفى نهاية اليوم عاد "ساری"إلى القصر وهو فى قمة الحزن والتعب والإعياء، بينما ظلت "سماريدس"صامته وجلست على سريرها واضعة رأسها بين ركبتيها وهى تزرف الدموع على الراحل.

رافضة الطعام أوالشراب، وبجوارها الجوارى تواسيها وتشد من أذرها.

مرت الأيام على نفس الوتيرة من الحزن المستمر، حتى كان اليوم الذى جاء فيه الوزير ودخل على الملك"ساری"وقال له:

- جلالة الملك، لقد مر على وفاة الملك الراحل"ساران"أكثر من أربعين

يومًا، أما آن الآوان لتنفيذ وصيته.

رفع "سارى" رأسه ونظر إلى الوزير، وقال:

- أى وصية تقصد أيها الحكيم؟

فقال الوزير:

- زواجك يا مولاى الملك، كذلك زواج الأميرة "سماريدس" من الأمير "سواتن"، وقد بحثت فى مكتبة القصر كما أخبرنا الملك قبل وفاته وتوصلت لصلة دم بينكم وبين ملك "دمسيس"

قال الملك "سارى" بحزن:

- أترى أيها الوزير أن هذا الوقت مناسب لما تقوله!

اقترب منه الوزير وربت على كتفه وقال له بود:

- يا ولدى، الأيام لا تقف وجنسنا فى خطر كما تعلم، ولن تقف "دنهش" مكتوفة الأيدى ولا بد أنها الآن تخطط لحيلة جديدة فلابد من قطع الطريق عليها، والحل كما تعلم هو زواج "سماريدس و سواتن" حتى نحفظ الدم الملكى ونزيد من قوة جنسنا.

تطلع له "سارى" وقال:

- كما ترى أيها الحكيم فلن أخالف رأيك، ولن أعصى وصية أخى الراحل ، أعد الترتيبات المناسبة ليخرج الحفل كما كان يتمنى أخى، وارسل لملك "دمسيس" بأننا نخطب ابنته.

أعلنت الأفراح فى أرجاء المملكة، وعلقت الزينات فى الشوراع استعدادًا لزفاف الملك"سارى"على ابنة ملك"دمسيس" و"سماريدس" على "سواتن".

وحدد موعد الزفاف عندما يصل موكب عروس الملك"سارى"، ومع تواصل التجهيزات و الاستعدادات تم عمل منصة كبيرة فى أوسع ميادين المملكة ليشهد الحفل جميع طوائف شعب المملكة كما أمر الملك "ساران"قبل وفاته.

وفى الموعد المحدد كانت"سماريدس"داخل غرفتها الكبيرة بالقصر وبصحبتها العديد من الجوارى التى يقمن بتجهيزها لتزف إلى الأمير "سواتن"، فتألقت فى فستانها الأبيض الطويل، وشعرها المنسدل على ظهرها، وعينيها المكحلتين، وخدها المتورد كالرمان، وتكتسى شفتيها بلون الكرز الشهى.

فبدت كأنها حوريه فسبحان من خلقها بهية وحولها الجوارى كالنجوم و هى بينهن كالقمر إذا لاح عنه الغم فنشره الضياء على عتمة السماء.

نفخت الأبواق استعدادًا لبدأ مراسم الزفاف، فصعد"سارى"إلى المنصبة وهو يمسك بيد عروسه، وخلفهما"سواتن"يمسك بيد"سماريدس" وسط الهتافات و الزغاريد التى تطلق فى كل أنحاء الميدان الكبير ثم صعد قاضى القضاه الذى عينه "سارى"ليقوم بعقد الزفاف.

فبدأت المراسم بتزويج الملك"سارى"على عروسه وما إن انتهى العقد حتى عمت الفرحة ودقت الطبول ، وحل الدور على الزواج الثانى فوقف "سواتن"وهو يمسك بيد"سماريدس"وبينهما القاضى وهو يتلو عليهما قانون الزواج.

كان" سواتن"أثناء الزفاف ينظر لعروسه مبتسمًا بينما أجبرها الحياء على عدم النظر إلى عينيه وفجأة على حين غرة صدرت صرخة من "سواتن" فاضطربت"سماريدس"ونظرت له فرأت سهمًا قد غرس فى صدره وكاد يسقط على الأرض، فلحق به بعض الجنود وتحول الميدان لحالة من الهرج والمرج وتبدل الحال وتداخلت الأصوات فلم يعد يُفهم لها معنى، وأسرع "سارى" نحو"سواتن" الساقط على أرض المنصة، فأخذ رأسه بين يديه، وتذكر أخته"سماريدس"فبحث عنها حوله فلم يجدها فصرخ بأعلى صوته قائلا:

- " سماريدس " ، " سماريدس"

****

رجّت ضحكتها القلعة وهى تجوب أرجاء القاعة وفى يدها كأس الشراب والسعادة تعلو وجهها فقد وصلت أخيرًا إلى غايتها، فأخذت تتباهى بما فعلته وتقول لـ"شاروسة":

- أخيرًا يا عزيزتى"شاروسة"أصبحت الملعونة"سماريدس"تحت أيدينا وقد اخترت لها "صاروف"زوجًا سيدخل بها قريبًا بعد أن أشرب من دماء عذريتها.

ثم تذكرت ابنها"ميمون أبا نوخ"وقالت بأسى:

- كنت أود أن تكون زوجة لابنى، لكن هذا الحقير"سارى"سبقنى وسرق روحه، لكن كما ترين يا عزيزتى لقد انتقمت منهم جميعًا فمات الملك"ساران"بعد إصابته، وقتلنا"سواتن"يوم زفافه وخطفنا الأميرة "سماريدس" وهى هدفنا منذ البداية.

ثم أردفت قائلة، وهى تتطلع لكأس الشراب فى يدها:

- كانت فكرة رائعة أن نستعين بفرقة خاصة من"بنى القماقم"فهم يمتازون بالخفة وسرعة الحركة، ونفذوا المطلوب منهم فأصابوا قلب"سواتن"بسهم مسموم أرداه قتيلا فى الحال، واستطاعوا العودة ومعهم "سماريدس".

ظهر على وجه"شاروسة"الحزن، فتصنعت الابتسامة حتى لا تلاحظ "دنهش"حزنها لمقتل"سواتن"فقد كانت تكن له بعض المعزة منذ أن تعرفت

عليه أول مرة وخدعته وأتت به إلى القلعة، لكن حب الأميرة "سماريدس" حماه من الانزلاق فى بئر خيانة بنى جنسه، فالحب الصادق يجعل من الشيطان ملاكًا.

تعجبت"دنهش"من منظرها، فقالت لها:

- ماذا حل بك يا عزيزتى"شاروسة"ألست سعيدة بأننا انتصرنا فى النهاية.

ردت"شاروسة"بعفوية كأنها تفكر فى أمرما:

- لا.... نعم أنا سعيدة حقًا أيتها الملكة المقدسة.

مطت"دنهش"شفتيها، دليلا على عدم تصديقها، لكنها قالت:

- استعدى يا عزيزتى حتى نذهب لرؤية المعلونة"سماريدس"فى الغرفة التى سجنتها بها، لنأمرها بالاستعداد للزواج، لابد أن يتم الزفاف قبل أن يتحرك جيش أخيها"سارى"للبحث عنها.

داخل الغرفة الكائنة فى الطابق الثانى من القلعة، كانت تجلس باكية حبيبها، ناعية حظها، متألمة لفراق أخيها، حانقة على وجودها وسط هؤلاء القوم الذين لا تعرف قلوبهم الشفقة ولا الرحمة.

أحست بحركة خارج الغرفة فهت واقفة وهى ما تزال بفستان زفافها الذى لم يتم وفقدت حبيبها للأبد ، ثم نمى لسمعها صوت ضحكات عالية وفجأة فُتح الباب ودخلت العجوز الماكرة، ففزعت من منظرها وتراجعت للوراء فاقتربت منها"دنهش"وأمسكتها من ذراعها وهى تضحك ، ثم قالت لها:

- مرحبًا بالأميرة"سماريدس"بين أهلها وبنى جنسها.

ثم استدارت للخلف حيث تقف"شاروسة"وقالت لها وهى تشير نحو "سماريدس":

- هل تعرفين يا عزيزتى"شاروسة"أن الأميرة من بنى جنسنا وتحمل نفس دمائنا، حتى أن أمها"ميرة"ضيفتنا الآن جاءت لتحضر حفل زفاف ابنتها الوحيدة على العزيز"صاروف".

أفلتت"سماريدس"ذراعها من يد"دنهش"ونظرت لها بحنق وغيظ وقالت:

- أنا لست من بنى جنسكم، ولن أتزوج منكم حتى لو كان آخر يومًا فى عمرى، لن أستسلم أبدا ولن أسلم مهما حدث.

جذبتها العجوز الماكرة من شعرها، وقالت والشرر يتطاير من عينيها:

- ليس لك اختيار أيتها الملعونة، فهذا أمر الملكة المقدسة ولابد أن تنفذيه وإلا قطعنا رأسك وعلقناها على أبواب القلعة.

رأت"شاروسة"أن الحوار سيتطور، فأرادت أن تهدئ من حدة"دنهش" فقالت:

- أرى أيتها الملكة المقدسة أن تتركينى معها، فأنا فتاة مثلها وأعرف كيف أقنعها بالموافقة.

ثم هزت رأسها حتى تطمئن"دنهش"، التى نظرت لـ"سماريدس"بسخرية واستدارت نحو الباب وغادرت الغرفة وتركتهما، فأخذت"شاروسة"بيد "سماريدس"وأجلستها على طرف السرير و قالت لها بود، حتى تكسب ثقتها:

- لم أكن أعلم أنك بهذا الجمال، له كل الحق"سواتن"أن يحب رقيقة مثلك، لكن تألمت كثيرًا لما حدث له.

تعجبت"سماريدس"من كلامها عن"سواتن"كأنها تعرفه، فقالت لها مندهشة:

- وهل كنت تعرفين"سواتن"ابن عمى؟!

سارت"شاروسة"بعيدا بعضة خطوات واستدارت بظهرها وقالت:

- كنت أعرفه حق المعرفة، فقد قابلته وأتيت به إلى هنا عندما هرب خوفًا بعد مقتل الملك"برقان"، وهنا تقابل مع"دنهش"وطلبت منه أن يساعدها فى القضاء على الملك"ساران"، لكن الواضح أن حبك منعه من تنفيذ اتفاقه مع "دنهش"، يا له حقًا من فارس شجاع.

تغير وجه"سماريدس"بعدما علمت بأنه كان هناك اتفاق بين حبيبها وبين الماكرة لقتل أخيها الملك، فلاحظت "شاروسة"هذا التغير فأسرعت قائلة:

- لا تظلمى"سواتن"، فقد رحل وتركنا ولا يبقى إلا ذكره بالحق وأنا أقر أمامك أنه كان مرغمًا على الموافقة على كلام"دنهش" والدليل أنه لم ينفذ الاتفاق الذى كان بينهما.

أخفت"سماريدس"الدموع التى تتساقط من عينيها حزنًا على حبيبها"سواتن"وقالت وقد اطمأنت لـ"شاروسة"قليلا:

- هل حقا أمى هنا عندكم كما تقول"دنهش"؟

اقتربت"شاروسة" منها وقد ابتسم ثغرها، فجلست بجوارها وربتت على كتفها وقالت:

- والدتك الملكة"ميرة"هنا منذ مقتل الملك"برقان"احتفظت بها "دنهش"هنا وقد طلبها والدها الملك"مُرة الأحمر"أكثر من مرة لكن الماكرة رفضت وتعللت بأنها تعيش بيننا معززة مكرمة.

نهضت"سماريدس"واقفة، وقالت:

- أين هى؟ أريد مقابلتها فلم أرها من سنوات بعيدة، منذ تم اختطافنا أنا وأخى"سارى"من قِبل قطاع الطرق.

- بالطبع يا عزيزتى، سأطلب من الملكة"دنهش" أن تسمح لك بلقاء والدتك الملكة"ميرة"، فلا تقلقى، لكن عليك الآن الموافقة على الزواج كما طلبت منك الملكة.

ثم أمسكت بذراع"سماريدس"وتطلعت فى عينيها وقالت بود:

- وافقى، وثقى بى.

****

امتلأت المائدة الكبيرة بألذ وأطيب أنواع الطعام والشراب، وجلست الملكة المقدسة على رأس المائدة وعن يمينها جلست الملكة"ميرة"بجوارها ابنتها "سماريدس" وعلى يسارها كانت هناك "شاروسة" وبجوارها "صاروف" الزوج الذى اختارته"دنهش"للأميرة"سماريدس".

ابتسمت"دنهش"وهى تنظرإلى"سماريدس"وقالت لها:

- أنا سعيدة جدًا بموافقتك على الزواج يا عزيزتى"سماريدس"لكن لماذا طلبتى أن يكون الزفاف بعد ثلاثة أيام!

ردت"سماريس"بابتسامه ثم خفضت رأسها بحياء، فضحكت"شاروسة" وقالت:

- أرجو من الملكة المقدسة"دنهش"أن لا تسبب الحرج للأميرة.

مطت" دنهش" شفتيها، ثم نظرت بخبث وقالت:

- يبدو أن الأمر كما توقعت، لا بأس، فمازال أمامنا الكثير من الترتيبات فلابد من الانتظارحتى يصل جميع ملوك الممالك السبعة لحضور حفل الزفاف الأسطورى الذى انتظرته منذ مولد العزيزة "سماريدس".

ثم تنهدت وقالت حزن وأسى:

- كنت أتمنى أن يقوم على مراسم الزواج هذا العجوز"شمهورش" قاضى الجن، لكننى لست على وفاق معه وأجزم أنه لن يقبل دعوتنا لحضور حفل الزفاف لذلك سيقوم بالمراسم بدلا منه جدك الملك"مُرة الأحمر".

نظرت"سماريدس"إلى والدتها ثم نظرت إلى"شاروسة"وقالت:

- حقًا ما تقولين أيتها الملكة المقدسة، لكم اشتقت لجدى وأتلهف على رؤيته والتحدث معه فلم أسعد بمقابلته أبدًا.

ردت عليها"دنهش"بابتسامه، ثم نظرت إلى"صاروف"المنشغل بتناول الطعام وقالت له موبخة:

- ماذا حل بك أيها الأبله! أيشغلك الطعام عن مشاركتنا الحديث يا لك من غبى فبعد أيام قليلة ستصبح زوجًا لأجمل فتاة من بنى جنسنا.

رفع"صاروف"بصره وابتسم ابتسامة باهته وقال وفمه مملوء بالطعام:

- أى حديث تقصدين أيتها الملكة المقدسة، فلم انتبه لما قلتِ

فضحك الجميع على منظر جسمه الضخم، وكلامه السفيه، فقالت "دنهش":

- لا عليك، فقط استمر فى غرس رأسك وسط الطعام.

فرغ الجميع من تناول طعامهم فقاموا وتركوا" صاروف "وهو مازال يأكل بنهم .

ذهبت"سماريدس"إلى غرفتها بصحبة"شاروسة" التى أصبحت ملازمة لها منذ حضورها وصارا يقضيان الكثير من الوقت فى الحديث والسهر حتى الفجر.

وفى الصباح بدأ توافد المدعون لحضور حفل الزفاف، فجاءت وفود تمثل جميع ممالك الجن تحمل معها الكثير من الجواهر والهدايا الثمينة ما عدا"بنو النعمان"وكبيرهم"شمهورش"لم يرسل إى هدية أو أى شخص يقدم التهنئة.

كانت"دنهش"مشغولة بترتيبات الزفاف واستقبال الوفود المشاركة وتركت أمر تجهيز العروس"سماريدس"لأمها" ميرة"و"شاروسة" وجلست فى البهو

الكبير وبالقرب منها الملك"مُرة الأحمر"الذى أثنى على مقدرتها وحكمتها، وهنأها بالانتصار على مملكة"أقناموس" ثم قال:

- أنا شديد الشوق لرؤية ابنتى"ميرة"وحفيدتى العزيزة"سماريدس"

هزت"دنهش"رأسها شاكرة له ثناءه عليها وقالت له:

- بالطبع يا عزيزى ستراهما وتجلسوا جميعا تتسامرون، لكن هن الآن مشغولات بالتجهيز للزفاف الميمون.

فى اليوم السابق للزفاف، أقيم حفل استقبال كبير لكى يتعرف الجميع على العروس الجميلة التى انتزعوها من عرين العدو لتعيد لهم قوتهم المسلوبة.

هبطت"سماريدس"درجات السلم وخلفها الجوارى يرفعن لها ذيل فستانها الطويل وبجوارها تتألق"شاروسة"فى فستان أسود كشف عن كتفها ، استقبلها جدها وهو فاتح ذراعيه قائلا:

- أهلا بعزيزتى"سماريدس"لقد اشتقت كثيرًا لرؤيتك.

فأسرعت"سماريدس"نحوه والقت بنفسها بين ذراعيه، فاحتضنها بقوة فقالت له:

- أهلا بك يا جدى العزيز، أنا أيضا اشتقت لك، وقد حدثتنى الملكة المقدسة عنك كثيرًا، وعما فعلته من أجل أن أكون بينكم و سعيدة لحضورك حتى تكون بجوارى يوم زفافى.

ابتسم وقال وهو يحتضنها بيده:

- بالطبع يا حبيبتى، فأنا سأقوم على مراسم الزفاف، لا تقلقى

ثم أراد أن يسألها عن حياتها الماضية فى مملكة"أقناموس"فقال:

- أظن أنك لم تجدى السعادة إلا بيننا نحن نبو جنسك، لكم لاقيت من الشقاء يا عزيزتى بسببهم، أليس كذلك؟

فانتبهت"دنهش"لسؤاله، فصاحت قائلة وهى تقترب منهما:

- أرجو من الملك"مُرة الأحمر"ألا يتحدث عن الماضى، فهى الآن تستعد ليوم زفافها فلا نريد ما يكر صفو سعادتها.

فأحس الملك"مُرة الأحمر"بأن"دنهش"تخفى عنها بعض الأشياء ولا تريد من أحد أن يذكرها بحياتها الماضية مع إخوتها فى مملكة"أقناموس" فهز رأسه وقال:

- أين الملكة"ميرة"ابنتى؟ ولماذا لم تأتى لتشاركنا السهرة؟

أشارت"سماريدس"نحو باب القاعة، فنظر"مُرة الأحمر"فرأى ابنته بصحبتها "شاروسة"يتوجهون نحوهم ، اقترب منها واستقبلها مبتسمًا فاحتضنته وهى تبادله الابتسامة ، ثم رحبت به وأخبرته بأنها اشتاقت له ولمملكتها.

عزفت الموسيقى وبدأ الجميع فى سعادة وفرح، والساقى يدور على الجميع بالكؤوس المملوءة بأجود أنواع الخمور المعتقة منذ أمد بعيد. وكانت"دنهش"تمسك الأميرة"سماريدس"فى يدها وتدور بين الحضور وتعرفها عليهم وتصفها أمامهم بأنها أجمل فتيات بنى جنسهم وستكون فى يوم من الأيام الملكة المقدسة التى ينصاع لأمرها كل ملوك الممالك السبعة.

انتهى الحفل فى ساعة متأخرة من الليلة، فذهب الجميع لأخذ قسطًا من الراحة لأن غدًا هو اليوم الموعود ليقام فيه زفاف"سماريدس"على "صاروف"، هذا اليوم الذى انتظرته"دنهش"طويلا وتمنى نفسها أن يمر بسلام حتى تصل لغايتها المنشودة.

فصعدت"سماريدس"وبصحبتها "شاروسة"كالعادة إلى الطابق العلوى حيث غرفتهم فدخلا وهما يضحكان ويتغامزان، وبعد أن استبدلا ملابسهما اقتربت"شاروسة"منها وهى تضحك وقالت لها:

- فى الغد سيقام لك أكبر حفل شهدته مملكة"بنى دهمان" وتصبحين أجمل وأرق عروس.

ثم مدت لها يدها بكأس الشراب، فغمزت لها"سماريدس"بعينها وهى تضحك وتمد يدها لتتناول منها الكأس.

****

صعدت الشمس من كهفها التى قضت به ليلتها، فاستيقظت مبكرًا ونشرت ضياءها على الكون، فدخلت أشعتها من نوافذ القلعة التى تكتسى جدرانها باللون الأبيض وتحيط بها أشجار الفاكهة من كل الأنواع، وتكثر فى ربوعها المساحات الخضراء ، التى تشعرك بأن مصدرًا لنسيم دائم طوال العام.

استيقظت"سماريدس"وجلست على طرف السرير وبدا عليها الارتباك واستضاف وجهها الحياء فملأه باللون الأحمر، فأصبحت كأنها تنافس ضياء الشمس أو نور القمر.

اقتربت منها"شاروسة"ونظرت لها وقالت:

- ما بك يا"سماريدس"؟ما الأمر يا عزيزتى؟

ثم ضربتها بدلال على كتفها وهى تضحك وتقول:

- الأمر أسهل مما تتوقعى يا عزيزتى، قومى الآن واستبدلى ثياب النوم فقد سبقتنا "ميرة"، ولا بد أن نلحق بها، فالجميع فى انتظارنا بالأسفل.

قامت"سماريدس"واستبدلت ثيابها، وساعدتها"شاروسة"فى اصلاح هندامها وهيئتها، وأمسكت بيدها وخرجًا من الغرفة وتوجها إلى الأسفل ودخلا حجرة الطعام وتناولا الفطور مع الملكة"ميرة" التى سبقتهم بالجلوس على المائدة، وبعد أن فرغوا من طعامهم، أتى لهم الخادم ليصحبهم إلى حيث سيقابلهم الملك.

سارت"سماريدس"خلف أمها و"شاروسة"يقودهم قائد حراس القلعة ، وكانت تتطلع يمينًا ويسارًا فترى المساحات الخضراء فى كل مكان فرأت أشجار وأزهار لم ترها من قبل وبهرت بجمالها ورائحتها الطيبة .

وصلوا إلى أقصى الجهة الشرقية من القصر، فأشار الحارس بيده نحو باب كبير مفتوح على مصراعيه وقال لهم:

- تفضلوا بالدخول حتى يأتى سيدى الملك.

وقبل أن يدخلوا من الباب، سألته"ميرة"عن الملك، فأشار بيده نحو غرفة مفردة فى ركن من الحديقة، غرفة تشبه الصومعة، وأخبرها أن الملك فى خلوته وسيخرج بعد قليل ليقابلهم ويتحدث إليهم، فهو يعلم بوجودهم وأمر بحسن معاملتهم وضيافتهم.

دخلت"ميرة"غرفة الاستقبال ومن خلفها"سماريدس" التى تتشبث بذراعها بينما"شاروسة"تضحك على منظرها.

ظلت"سماريدس"تستكشف أرجاء الغرفة، فرأت الكثير من الكتب الضخمة مرصوصة على أدراج قد علقت على الحائط بلونه الأبيض كباقى غرف القصر، وفى وسط الغرفة علقت صورة كبيرة لرجل تبدو عليه الهيبة ويكسو وجهه لحية بيضاء زادت من وقاره.

بعض لحظات انتبهوا عندما وقف الحارس على الباب، وصاح قائلا:

- سيدى ملك"بنى نعمان"،صاحب التاج الأبيض ، قاضى الجن، جلالة الملك المعظم"شمهورش"يدخل الآن.

ما أن سمعت"سماريدس"بالاسم حتى تشبثت أكثر بأمها"ميرة"و صديقتها"شاروسة"وظهر الخوف جليًا على ملامحها.

دخل الملك"شمهورش"والابتسامه تعلو وجهه والوقار يسير فى ركابه فحياهم بهدوء واتجه نحو كرسى كبير فى الواجهة المقابلة لباب الغرفة، ونظر لهم بود وقال:

- أرى أن العزيزة"سماريدس"خائفة بعض الشىء.

ثم ضحك حتى ظهرت نواجزه وقال حتى يزيل مهابة اللقاء:

- هكذا يفعل الكثيرون عندما يسمعون اسمى، فالملعونة"دنهش" أخبرت الجميع عنى عكس الحقيقة، فأنا لا أرضى عن فعال بنى جنسى وأثرت الابتعاد عنهم بسبب شرهم الدائم.

التفت نحو"ميرة"وقال وهو يشير بيده:

- العزيزة"ميرة"من تلاميذى، تعلمت منى الكثير من الدروس عندما كانت هنا ومعها حفيدتى الراحلة"سيلين".

فهزت"ميرة"رأسها وهى تبتسم، فسكن روع"سماريدس"بعض الشىء عندما شعرت براحة نحو هذا الرجل العجوز، الذى استكمل كلامه قائلا:

- ما الأمر يا عزيزتى"ميرة"؟ فلم أشأ أن أقابلكم بالأمس وفضلت أن أترككم للحصول على بعض الراحة بعد رحلتكم الشاقة.

قالت"ميرة"وهى تربت على كتف"سماريدس"حتى تشعرها بالأمان:

- لم يعد لنا إلا أنت يا معلمى العزيز نلجأ إليه، فقد انقطعت بنا السبل، ولقينا من حياتنا نصبا.

فابتسم لها الملك"شمهورش"وقال لها بلطف:

- أعلم كل شىء يا بنيتى،فقد وصلنى كل ما فعلته معكم"دنهش"

حتى أنها لم تجرؤ أن تدعونى لحفل الزفاف، فهى تعلم جيدًا اعتراضى على كل ما تفعله ، و أنا أيضا أعرف أنها لا تخاف إلا منى ، لذلك فهى تتجنب الصدام معى منذ أن حملتها مسئولية موت ابنتى " ست المحاسن " و من بعدها مقتل حفيدتى العزيزة " سيلين " .

كلامه عن رفضه لكل أفعال " دنهش " ، جعل الراحة تتسلل إلى نفس " سماريدس " فبدأت الابتسامة تعود إلى وجهها ، حتى أنه لاحظ ذلك ، فأشار نحوها و قال :

- أعلم ما حدث لك يا عزيزتى ، لكن ما لا أعلمه إلى الآن كيف هربتن منها

ضحكن جميعًا ، و بدأت " شاروسة " تقص على الملك ما حدث، فقالت:

- عندما علمت بقدوم " سماريدس " إلى القلعة بعد قتل " سواتن " وخطفها على يد قرفة من " بنى القماقم " بالاتفاق مع " دنهش " ثارت ثائرتى وازادد حنقى و بغضى لها ، خصوصًا بعدما تعاملت مع " سواتن " من قبل و أعلم مدى طيبته و أنه رفض الانصياع لها و خيانة أبناء عمه .

كان الملك " شمهورش " يتابع باهتمام ، فأكملت " شاروسة " قائلة :

- و أرادت " دنهش " أن تستكمل خطتها و تزوج " سماريدس " من السفيه " صاروف " حتى تضمن أن يكون تحت طوعها ، فطلبت منى أن أكسب ثقة " سماريدس " ، و أعطتنى ترياق مسحور أقطر منه كل ليلة فى شرابها فيجعلها تكره حياتها الماضية بين إخوتها و تحب " دنهش " و توافق على الزواج ، لكنى أخبرت " سماريدس " بالحقيقة ، و اتفقت معها أن تتظاهر بأنها

تتناول الشراب المسحور و أنه أثر عليها فصارت تطيع " دنهش " فى كل ما تأمرها به .

ضحك الملك " شمهورش " و قال :

- يا لك من ماكرة يا عزيزتى " شاروسة " فحياتك الطويلة مع " دنهش " علمك المكر و الخديعة مثلها تمامًا .

دخل عليهم الخادم يحمل فى يده دورقًا كبيرًا ، و وضعهم أمامهم ، فقال الملك باسمًا :

-تفضلوا الشراب ، ولا تخافوا إنه ليس مسحورًا فهذا شراب التوت الشهى .

ضحكوا على كلام الملك ، و قالت " ميرة " مستكملة حكاية هروبهن من القلعة :

- صدقت " دنهش " أن الشراب أثر على " سماريدس " و جعلها تأتمر بأمرها دون تفكير ، و هذا يرجع لبراعة " سماريدس " فى إتقان دورها .

أراد الملك " شمهورش " أن يزيل الرهبة عن " سماريدس " ، فشجعها بقوله :

- كيف استطعى خداعها يا عزيزتى " سماريدس " ؟

ابتسمت " سماريدس " بحياء و قالت :

- أظهرت لها أن أسير وقف هواها و أن عقلى توقف عن التفكير ، فكنت أنفذ كل ما تطلبه منى ، و استحملت سفاهة المدعو " صاروف " و أخذت ألاطفه أمامها لتتأكد أنى متلهفة على الزواج منه .

تدخلت " شاروسة " قائلة :

- و ليلة الزفاف اتفقت مع حارسين أثق بهما ، فأتيا لى ببعض الحبال وجهزا لنا بعض الخيول و وعدانى بغض الطرف عن هروبنا ، فصعدنا غرفتنا بحجة الحصول على الراحة استعدادًا للزفاف و أغلقنا باب الغرفة جيداً و ربطنا الحبال فى نافذة الغرفة و هبطنا فى جنح الليل ، و تخفينا حتى خرجنا من بوابة القلعة و صرنا بالخارج ، و عندما أصبحنا فى مأمن و تأكدنا من أن القوم لا يشعرون بهروبنا ، و لم يتبع أحدهم أثرنا .

هنا قالت "ميرة" بعدما تناولت بعضًا من شراب التوت :

- بعد هروبنا أشرت عليهم بأن لا مفر و ملجأ لنا نحتمى به إلا أنت يا معلمى، فأنا أعلم جيدًا أن الملعونة " دنهش " لن تجرؤ على المجىء إلى هنا .

قال الملك "شمهورش" بحزم :

- نعم يا عزيزتى ، أنتن فى أمان الآن ، و لن تستطع " دنهش " أن تنفذ إلى أقطار مملكتى إلا بسلطان منى ، فقرن عينًا فأنتن هنا على الرحب و السعة

فقالت " سماريدس " بتردد :

- بالتأكيد أن أخى الملك " سارى " يبحث عنى ، و قد يتعرض للخطر إن اقترب من قلعة الملعونة " دنهش " ، فلابد أن أرسل له رسالة لكى يعرف أنى فى أمان فيطمئن ، فهل يسمح الملك بذلك ؟

نهض الملك " شمهورش " من مكانه و اقترب منها و أخذ يربت على كتفها و يقول : لا تقلقى يا بنيتى ، لكن فى مثل هذة الظروف لا يصح أن نرسل له رسالة بل سنذهب نحن إليه ، فأطمئنى .

مر أكثر من شهر على الحادث الذى وقع فى الميدان الكبير بالمملكة ، منذ مقتل الأمير "سواتن" و اختطاف الأميرة "سماريدس " اتشحت فيه مملكة " أقناموس " بوشاحها الأسود و أعلنت الحداد حزنًا على فراق الأحبة .

و جلس الملك " سارى " فى باحة المُلك تصاحبه همومه و أحزانه ، فدخل عليه الوزير الحكيم " يوشهور " فرق لحاله و قال له بدفء :

- لا تقلق يا بنى ، فقد أخبرتنا مصادرنا أن الأميرة " سماريدس " بخير ولم تتزوج بعد ، و قد أمرت بتجهيز حملة كبيرة و سنحررها قبل أن تجبرها الملعونة " دنهش " على شىء .

فرفع " سارى " رأسه و نظر للوزير ، و قال بأسى :

- لقد فشلت فى تنفيذ وصية أخى الراحل الملك " ساران " ، و ستتزوج أختى " سماريدس " من بنى جنسهم و يضيع كل ما تعبنا فيه من أجل الحفاظ على قوتنا ، و سنصبح بعد ذلك تحت سيطرتهم و غوايتهم و نخضع لهم ، و ستتكرر نفس الحالة التى مر بها " ساران " مع الكثيرين منا .

اقترب منه الوزير الحكيم ، و قال له :

- لا تقل هذا الكلام يا بنى ، فلا يقنط من الرحمة إلا الضالون ، و لابد أن نتمسك بالأمل و نتجلد بالصبر .

هب الملك "ساري" واقفًا ، و سار بعضة خطوات ، ثم التفت للوزير وقال:

- أين هذا الأمل الذى تتحدث عنه أيها الحكيم ؟ ! ، فالواقع الآن يقول أن " سماريدس " تحت أيديهم و لن يغمض لهم جفن حتى يزوجوها أو يقتلوها و يملؤا الكؤوس بدمائها ، و هذا ما خاضوا الحروب من أجله .

ثم أكمل كلامه معاتبًا الوزير :

- لقد قلت منذ اختطافها أن نجهز الجيش و نهجم على قلعة الحقيرة "دنهش" و نحطمها فوق رأسها ، لكنك اعترضت على الفكرة .

دافع الوزير عن نفسه ، فقال :

- كان لابد أولا أن تأكد أن من خطفها هم من أتباع " دنهش " لأن أوصافهم لم تنطبق على جنود مملكة " بنى دهمان " ، و بالفعل كانوا فرقة من " بنى القماقم " .

- أنت تعلم جيدًا أيها الوزير ، أن جميع ممالكم لا تعصى أمرًا للملعونة فهم يعتبرونها ملكتهم المقدسة.

قال الوزير لكى يطمئن الملك الثائر عليه :

- مازال أمامنا الوقت ، و فى الغد سنتحرك بالجيش ، و نحرر الأميرة فلا تقلق ، فعليكم الآن أيها الملك الصعود لغرفتكم لأخذ قسطًا من الراحة .

قال الملك " ساري " و هو يستعد لمغادرة القاعة :

- من أين تأتى هذه الراحة أيها الأب الحكيم ؟ !

غادر " ساري " القاعة و صعد إلى غرفته ، و هو فى قمة اليأس و الإحباط يحمل فوق كتفه من الهموم ما تنوء عن حمله الجبال الرواسى .

فأحست زوجته بما يكابده ففضلت عدم التحدث معه و هو فى هذه الحالة ، فتركته ليرتاح ، و خرجت من الغرفة بعدما جهزت له الحمام، و رتبت له السرير.

انتهى " سارى " حمامه و توجه ناحية السرير فصعده و استلقى على ظهره ، و ثبت بصره إلى أعلى فتخيل صورة أخيه "ساران " و هو يحتضن " سماريدس" و يوصيه بالمحافظة عليها ، و ظل على حالة الندم و التحسر على ما حدث حتى غلبه النوم .

أسرعت " سماريدس " نحوه فاتحة ذراعيها ، فاستقبلها بابتسامة تحاكى ابتسامتها الرقيقة فاحتضنته بشدة كأنها تودعه ،

ثم جذبها من حضنه أناس تكتسى باللون الأبيض فألبسوها فستانًا أبيض فصارت تشبههم ، ثم انطلقت بدلال يضاهى رقتها ، و أخذت تعدو ...

و الأرض تطُوى أمامها و تتسع ، فكانت كلما خطت خطوة نبتت الزهور خلفها ، و ما زالت تجرى و تبتسم و تشير بيدها و الزهور تزداد نموًا و كثرة ، وعلى الجانبين وقف الكثيرون يهتفون باسمها و يقدمون لها التحية .

ظل واقفًا مكانه ينادى عليها و يشير لها بيده أن تعود فلم يصل إليها صوته فقد كانت ابتعدت جدًا ، ثم تحولت لنسر جميل ، نظر النسر خلفه و نفض جناحيه ثم حلق فى السماء و اختفى ، و الناس مازالت تشيعه بنظراتها و تهتف و تودعه .

هب " سارى " من نومه مفزوعًا بعدما سمع طرقًا على باب الغرفة ، فاستيقظ و مازال ما رآه فى نومه معلقًا بذهنه .

إذن للطارق بالدخول ، فإذا هو الحاجب الخاص به انحنى تحيه للملك الذى صاح :

- ما بك أنت ، ما الأمر ؟ !

انحنى الحاجب مرة أخرى و قال :

- عذرًا مولاى الملك ، فالوزير الحكيم فى انتظاركم لأمر هام

قال " سارى " و هو يغادر السرير بتثاقل :

- هل استعد الجيش للتحرك ؟

- الأمر لا يتعلق بالجيش يا مولاى.

فتعجب الملك " سارى " و أشار للحاجب بيده أن ينصرف ، على أن يلحق به.

بعد لحظات كان الملك " سارى " يهبط درجات السلم مسرعًا ، و ما أن وقع بصره على الوزير بادره قائلًا:

- ماذا حدث أيها الوزير ؟ لقد أفزعنى طلبك فى هذا الوقت المبكر .

قال الوزير :

- على رسلك يا جلالة الملك ، فقد وصلنا من حراس الباب الغربى للمملكة بأن هناك موكبًا كبيرًا قد ولج أرضنا

منذ مدة ، و بعد سويعات قليلة سيكون على مشارف القصر .

سار الملك أمام الوزير متوجهًا لغرفة الاستقبال ، ثم التفت للوزير قائلا :

- أى موكب؟ ! و كيف يسمح له بدخول أراضينا دون معرفة سبب قدومه.

فقال الوزير و هو يجلس بعدما جلس الملك و أشار له بالجلوس :

- و هل مثل هذا الأمر يمر على دون تحقق ، لقد تبينت بنفسى أن الموكب يقوده الملك " شمهورش " ، و لم يقصد إلا الزيارة و تقديم الهدايا.

تعجب الملك " سارى " عندما سمع اسم الملك " شمهورش ، فقال :

- و لماذا يأتى إلينا الملك " شمهورش " ، أليس منهم ؟ ! ربما تكون حيلة من حيل الملعونة " دنهش ".

أشار الوزير بيده نافيًا ما قاله الملك " سارى " و عقب قائلًا :

- لاأظن ذلك أيها الملك ؛ " شمهورش " ليس على وفاق مع " دنهش " منذ وفاة ابنته الملكة " ست المحاسن " التى كانت زوجة للملكة " ميمون أبان نوخ " و ازدات القطيعة بينهم بعد عدائها المستمر مع " سيلين " .

أطرق الملك " سارى " رأسها مفكرًا ، ثم قال للوزير :

- المهم ألا تعطلنا هذه الزيارة المفاجئة ، فلابد أن يستعد الجيش للتحرك فى الوقت المحدد

- بالطبع يا مولاى الملك ، سنرحب بالملك " شمهورش " و نعرف سبب الزيارة ثم نتحرك بالجيش .

استأذن الحاجب فى الدخول ، فأذن له ، فأخبر الملك " سارى " بأن الضيوف وصلوا القصر و يطلبوا المثول بين يدى الملك ، فأشار له " سارى " بأن يسمح لهم بالدخول و وضع تاج الملك على رأسه وجلس على كرسى العرش فى انتظار دخول هم.

بعد لحظات أعلن الحاجب عن دخول الضيوف فصاح قائلًا :

- الملك " شمهورش " و مرافقوه يدخلون الآن.

دخل الملك " شمهورش " من الباب و هو يمشى بوقار ، و سكينة ، و هيبة ، زادت منها كبر سنه و طريقة مشيته و لحيته و ملابسه و التاج الأبيض الذى يضعه فوق رأسه ، يسير خلفه ثلاث جوارى ، لا يُرى منهن شىء .

قام الملك " سارى " من على كرسى العرش ، و سار خطوات حتى منتصف القاعة و استقبل الضيوف ، قائلًا :

- أهلًا و مرحبًا بالملك " شمهورش " فى بلادنا ، فقد سمعنا عنكم الكثير لكن هذه المرة الأولى التى نلتقى بكم.

ابتسم الملك " شمهورش " ، ابتسامة أضاءت وجهه ، و قال :

- لنا الشرف يا أيها الملك أن نحل ببلادكم ، و نرجو لكم دوما صلاح الأحوال ، فأنتم خير خلف لخير سلف .

رد الملك " سارى " بابتسامة رقيقة ، و قال :

- عذرنا الوحيد يا جلالة الملك أننا لن نستطيع مرافقتكم أثناء زيارتكم الميمونة ، لكن هذا لا يمنع أنكم هنا على الرحب و السعة و أن قررتم المكوث فى بلادنا حتى نعود فالمكلة تتشرف بكم .

ثم أشار الملك " سارى " لضيفه بالجلوس ، و عاد هو إلى كرسيه الكبير فجلس عليه ، ثم أشار إلى الوزير و قدمه للملك " شمهورش " ، فهز الوزير رأسه تحيه للضيف ، فأبدا الملك " شمهورش " معرفة السابقة بالوزير ، و أثنى على إخلاصه و حكمته.

نظر الملك " سارى " بتعجب للجوارى الثلاثة فما زلن يقفن فى منتصف القاعة تقريبا و لم يسمع لهن أى صوت ، فلم يشأ أن يسأل عنهن، حتى بادره الملك " شمهورش " و سأله ، قائلًا :

- لو سمح لى جلالة الملك ، فقد سمعت منذ قليل أن وراءكم أمر هام و لن نتشرف بمرافقتكم أثناء زيارتنا ، أليس كذلك ؟

هز الملك "سارى" رأسه و قال مؤكدًا على كلامه :

- بالفعل يا جلالة الملك ، فنحن بعد قليل سنتحرك على رأس الجيش فى حملة كبيرة و نتجه إلى ديار " بنى دهمان " لنحرر الأميرة " سماريدس " من قبضتهم ، و الأخذ بالثأر لمقتل ابن عمنا الأمير " سواتن " .

ابتسم الملك " شمهورش " ابتسامه تعجب " سارى " لها ، ثم قال :

- لم يعد هناك داعى لتحرك الجيش و محاصرة " بنى دهمان " .

انزعج " سارى " و نظر لوزير الحكيم ثم التفت إلى الملك " شمهورش " و قال :

- أنا لا أفهم ماذا يقصد الملك " شمهورش " من كلامه ؟ !

ضحك الملك " شمهورش " و وقف من مكانه و اقترب من " سارى " الذى وقف بدوره احترامًا لضيفه و اجلالًا لفارق السن بينهما ، ثم أردف الملك الضيف ، قائلًا :

- هل تذكر يا بنى ، الجواهر الثلاثة التى أعطتهم حفيدتى " سيلين " لوالدكم الملك الراحل " برقان " .

هز " سارى " رأسه بالموافقة ، و قال :

- نعم أذكر ذلك ، فمعى واحدة و أخرى مع أختى " سماريدس " والأخيرة كانت مع أخى الراحل الملك "ساران" ، لكن ما مناسبة هذا الكلام الآن ، و ما علاقة الجواهر بتحرك الجيش و تحرير الأميرة من الأسر .

نظر الملك " شمهورش " إلى الجوارى الثلاثة ، و قال و هو يشير نحوهن :

- لقد جئت لك أيها الملك الصغير ، بثلاث جواهر ، هن أثمن ما فى الدنيا و من كن معه لن يحتاج لقطع المسافات و محاصرة الأعداء ، فهن سيشغلنه عن الدنيا و ما فيها .

ظهرت بوادر الحيرة و التعجب على ملامح الملك "سارى" و أخذ ينظر لوزيره الحكيم " يوشهور " الذى لم تكن حالته أفضل منه ، فأشار " شمهورش " نحو الجارية الأولى ، فتقدمت خطوتين و كشفت عن وجهها ، ثم عقب قائلًا:

- الجوهرة الأولى ، العزيزة " شاروسة "، هى الأقرب لقلب " دنهش "، لكنها ملت من أفعالها و قررت اللجوء إليكم لحمايتها ، فأرجو المحافظة عليها وعدم تركها ، كما حدث مع حفيدتى " سيلين ".

انحنت " شاروسة " برأسها تحية للملك " سارى " و الوزير ، و لم تنطق بكلمة ، ثم أشار الملك " شمهورش " إلى الجارية الثانية فتقدمت و كشفت عن وجهها ، فقال :

- الجوهرة الثانية ، الملكة " ميرة " ابنة الملك " مُرة الأحمر " التى تمردت على الأفعال الشريرة لبنى جنسها و فضلت الزواج من بنى جنسكم ، فتزوجت من الملك الراحل "برقان" ، و أنجبت منه ذكر و أنثى.

ذهل الملك " سارى " عندما رأى أمه بعد كل هذه السنوات حتى كاد ينسى ملامحها ، فذهبت المفاجأة بعقله فلم يستطع أن يتحرك خطوة نحوها ، بينما هى ظلت تنظر له بكل حب و ود ، و لم تتقدم أيضا كأنها تنتظر الأمر ، أكمل " شمهورش " التعارف و قال :

- أما الجوهرة الثالثة ، فهى الأغلى قيمة و الأعلى قدرًا ، لأجلها نعيش ، و نضحى بالغالى و النفيس من أجل المحافظة عليها ، فهى الأرض و العرض ، فهى الماضى و الحاضر و المستقبل ، لأجلها قامت الحروب منذ بدء الخليقة ، لكننا سنحميها و نحافظ عليها .

ثم اقترب منها ، و عندما كشف عن وجهها بدت كالقمر الذى لاح من بعد الغيم ، كانت تتلألأ كالجوهرة ، تبتسم كالأطفال ، تبرق عينيها كبحيره صافية .

ألجمت المفاجأة الجميع ، فأمسكوا عن الكلام ، و اكتفوا بالنظر فى دهشة و تعجب ، فاستكمل الملك " شمهورش " كلامه و هو يشير نحوها :

- إنها هى ، و ستظل هى دائما رغم أنف كل حاقد أو حاسد أو مُستغِل أو مُستغَل أو عميل من هنا أو من هناك

إنها جوهرة الجواهر ، إنها الرفيق و الأنيس و الصحبة و الألفة ..... إنها الأميرة " سماريدس " .

****

أيام صعبة عاشتها " دنهش " بعد اكتشافها هروب الثلاث الجواهر التى كانت تحتفظ بهن لمساعدتها فى خطهها وحيلها فى الصراع مع العدو ، فلم تعد تتقبل أى كلام أو مناقشة مع أحد ، و تبدلت أحوالها و أهملت العناية بنفسها فزدادت قبحًا على قبح .

ظلت ملازمة لغرفتها و لم يستطع أحد الدخول عليها و تركوها بمفردها حتى تعود سيرتها الأولى ، حتى أن الملك " مُرة الأحمر " قرر عدم العودة لمملكته إلى حين الاستقرار على رأى فيما حل بهم من مصيبة هروب " سماريدس " و من معها ، و لما طال به المقام قرر الدخول على " دنهش " غرفتها و مناقشتها فيما يجب أن يفعل ، توجه لغرفتها و طرق الباب فلم ترد عليه ، فأراد أن يعود أرداجه فسمع أنين هامس ثم زاد و أصبح عواءً كعواء الذئب ، فدع الباب و دخل عليها ، فقابلته رائحة نتنة أغلق أنفه على الفور ، و أسرع بشد الستائر و فتح نوافذ الغرفة التى كانت معتمة تمامًا ، و عاد يبحث عن الملكة " دنهش " فوجدها تستلقى على الأرض مسندة ظهرها على طرف السرير و حالتها رثة .

فصرخ بأعلى صوته ، فجاءت الجارية على الفور ، فنهرها على عدم الاعتناء بالملكة ، فأخبرته بأن الملكة المقدسة ترفض المساعدة من أحد حتى أنها أصبحت تبول على نفسها كل يوم ولا تستبدل ثيابها ، و فى كثير من الأحيان تقضى ليلتها و هى فى صراخ متواصل و لا تهدىء إلا بعدما يهزمها النوم ، لقد ذهب هروب " سماريدس " بعقلها ، لا يفارق كأس الشراب يدها ، فأصبحت معظم وقتها غائبة عن الوعى ولا تفق إلا فترات قليلة .

فأمرها أن تأخذها بالقوة و تحممها ، فاستدعت بعض الجوارى لمساعدتها و أدخلوها الحمام و هى تنظر إليهن فى بلاهة ، و كانت تضحك ثم تصرخ ثم تلطم وجهها .

انتظرها الملك " مُرة الأحمر " فى غرفة الاجتماعات ، فجاءت بعد أخذ حمامها تسندها الجوارى حتى أجلسوها على كرسى كبير ، فطلبت منهن الشراب المخصص لها ، نظرت نحو الملك " مُرة " و قالت بكل أسى و حزن :

- أرأيت ما فعلته بنا ابنتك و حفيدتك ؟ ! لقد خانوا جنسنا ، لقد انتهى جنسنا يا " مُرة "، فأرخى الملك عينيه إلى الأرض و أمسك عن الكلام و لم يستطع الرد ، فصرخت فى وجهه ، و قالت:

- لماذا لا ترد على ؟ ! و لو كنت قتلتهما ؛ أكنت تثأر لهما منى.

- ابنتى عندك منذ مدة و لم تفكر فى الهروب ، لابد أن هذا تخطيط الملعونة " شاروسة ".

تنهد الملكة " دنهش " و قالت بأسى :

- آآآآآه منك يا " شاروسة " إن رأيتك مرة أخرى لن يكفينى إلا أن أمزق قلبك بأسنانى يا معلونة، أهذا جزاء تربيتى لك منذ كنت صغيرة.

فاقترب منها و كاد يضع يده على أنفه فتذكر أنها اغتسلت و استبدلت ملابسها ، و قال:

- لم آتى إليك لنتعاتب فيما حدث، بل لنرى ما سنفعله لنعيد هيبتها الضائعة ، و قد وصلتنى رسالة أود أن أطلعك عليها.

مطت " دنهش " شفتيها وقالت:

- رسالة ! ، و هل ستخرجنا تلك الرسالة مما نحن فيه أم ستزيد من همومنا.

قال " مُرة الأحمر ":

- أرجو منك أولا أن تنصتى جيدًا للرسالة و ستجدين فيها إجابات لكل ما يدور برأسك من أسئلة ، و تعرفى من الصديق و من العدو.

هزت " دنهش " رأسها و أشارت إليه بقراءة الرسالة ، ففتحها وبدأ يقرأ قائلًا:

- إليك أيها المغرورة السليطة الماكرة .....

لكم نصحتك بأنهم جاءوا لعمار الأرض و لكنك لم تسمعى للنصح و لم تعملى بالنصيحة ، و ما زلت على نفس حالتك من المكر والأذى لكل ما هو جميل فى الحياة ، و كل هدفك الانتقام من جنسهم لأن بسببهم تم طرد أبينا من الرحمة ونسيت أنه عصى الأمر و أخذ بثأره و تسبب فى طرد أبيهم من النعيم ، و أنا أخبرك بأن " سماريدس " عندى و ستعود لأخيها وتتزوج من جنسهم وتنجب و تعمر الأرض ، و لتعلمى أن كيدك كان ضعيفًا .

ازداد جنون " دنهش " عندما علمت بأن " شمهورش " هو من أرسل الرسالة ، فألقت الكأس من يدها و اسود وجهها و أخذت تدور حول نفسها فى الغرفة و هى و تصرخ و تلطم و تحطم كل ما يقابلها ، ثم اقتربت من " مُرة " وأمسكته من ثيابه ، ثم سقطت على الأرض مغشيًا عليها .

****

أقيمت الأفراح داخل مملكة"أقناموس" فعُلقت الزينات ونُحرت الذبائح ونُصبت الموائد،وخرج الناس فى الشارع فرحين بانتهاء الحرب وعودة الأميرة"سماريدس"إلى ديارها بعد غياب لعدة سنين، لاقت فيها الكثير من الأخطار والأهوال.

كان"سارى" أسعد الناس لأنه استطاع الانتصارعلى العدو وتنفيذ وصيه أخيه الراحل والحفاظ على حياة أخته"سماريدس"، فقرر أن يحل الملك "شمهورش"ضيفًا عليهم لمدة أربعين يومًا، لأن الفضل يرجع إليه فى العودة بوالدته وأخته سالمين وفوت الفرصة على"دنهش"وأعوانها وحرمهم من تنفيذ خطتهم الباغية.

أعادت"سماريدس"الحياة للقصر بل لكل المملكة، فكانت كالفراشة الرقيقة تجرى وتمرح وتوزع السعادة على الجميع وقد خصها الملك"شمهورش" بالجلوس معها طويلا فيذكر لها الكثيرمن علمه وحكمته، فازداد القرب بينما وأصبحت مؤمنة بأفكاره ومبادئه.

وفى ليلة بعد أن مرعلى عودة"سماريدس"حوالى عشرة أيام، كان الجميع على المائدة يتناولون طعام العشاء، طلب الملك"شمهورش"عقد اجتماع مع الملك"سارى"والوزير الحكيم"يوشهور".

فهز" سارى"رأسه مرحبًا بالاجتماع، وبعد الانتهاء من تناول الطعام، توجهوا الثلاثة إلى قاعة الاجتماعات بعد أن أمر"سارى"بإحضار الشراب تحية

للملك"شمهورش"، الذى أجلسه"سارى"على رأس الطاولة تقديرًا لقيمته واحتراما لسنه،فبدأ الملك"شمهورش"الكلام قائلًا:

- منذ بداية الخليقة والكل يعرف أنكم فى حروب متواصلة مع العدو، وكم من جبارحاول اختطاف "سماريدس"منكم لكنه لم يتمتع بها و لم يقدر على الخلاص من لعنتها التى تصيب من يحاول الاعتداء عليها، فكم من مرة تختطف وتعود، تختطف و تعود وفى كل مرة يتم اختطافها نظن أنها ماتت وانتهت؛ لكنها كانت تعود أقوى، وهذا إن دل فإنما يدل على أن هناك قوة عليا تحفظها وترعاها؛ لذا فهى باقية بقاء الدهر.

كان الملك"شمهورش"يتحدث، و"سارى" و وزيره ينصتون باهتمام، لكن الوزيرقاطع كلام"شمهورش"وقال:

- عذرًا يا جلالة الملك ، كلامكم يحتاج للتفسير بعض الشىء.

فوقف الملك " شمهورش " و الابتسامه لا تفارق وجهه و قال موجهًا كلامه لـ" سارى ":

- اعلم يا بنى ، أن " سماريدس " مهما مر ت عليها الأيام و شاخت ستظل بكرًا ، فلن يزيدها مرور الدهر إلا جمالًا و بهاءً و قدرًا و قيمة ، تؤتى أكلها كل حين لأنها أرض خصبة.

ثم توقف عن الكلام ، فنظر له " سارى " و احس بتردده ، فقال له :

- و بم تشر علينا أيها الملك الحكيم للمحافظة عليها ، فالعدو لن يهدأ وسيحاول أن ينتقم منا مرات و مرات .

تناول الملك " شمهورش " من الشراب ، ثم طأطأ الملك رأسه إلى أسفل وقال :

- القوة العليا التى ترعاها هى الوحيدة القادرة على حمايتها و المحافظة عليها ، فلابد من التضحيه بها لإنقاذها و انقاذكم.

مط " سارى " شفتيه و ضيق عينه متعجبًا و نظر للوزير ، و قال بعصبية :

- كيف تكون التضحية بها هى السبيل لإنقاذها ؟

هل بعد كل تلك الحروب و الدماء التى بذلناها ، نضحى بها بسهولة .

ثم هب واقفًا و توجه ناحية باب القاعة مغادرًا الاجتماع بعد لم يعجبه رأى الملك " شمهورش " و ما أن فتح الباب حتى فوجىء بـ " سماريدس " تصرخ فى وجهه و تقول:

- ماذا حدث يا أخى ؟ ! و لم ارتفع صوتك فجأة ؟ ولم تركت الاجتماع؟!

نظر " سارى " خلفه و أشار بيده نحو الملك " شمهورش " الذى كان يقف عند الباب و بجواره الوزير ، ثم استدار و نظر لأخته ، و قال :

- لقد أحسنا ضيافة هذا الملك ، لكنه الآن يهذى بكلام مثل كلام الملعونة " دنهش "، و يريد أن نضحى بك بحجة إنقاذك و إنقاذ بنى جنسنا.

قالت " سماريدس " لأخيها:

- لا تقل هذا الكلام على الملك " شمهورش " فهو ليس مثل " دنهش " و إن كان من بنى جنسهم ، لكنه مختلف عنهم ولا يحب الظلم أو الغواية.

ثم أسرعت نحوه و أمسكته من ظهره و الدموع فى عينيها ، و هى تقول:

- لقد منعتنى من التضحية من أجل أن يعيش أخى العزيز " ساران " ولن أسمح لك الآن أن تحرمنى شرف إنقاذ بنى جنسنا جميعًا ، أنا موافقة على رأى الملك الحكيم " شمهورش " إن كان سينهى هذا الصراع .

فالتفت لها " سارى " و احتضنها بقوة ، فاقترب منهما الملك " شمهورش " و رتب على كتفه و قال :

- استسلم للأمر يا بنى ، و اعلم أننا لا نفرط فيها ، بل نحن نحافظ عليها و علينا ، و كن على يقين أنها لن تموت و ستعود أقوى ، ستعود روحها و تسكن جسد فتاة بكر مثلها ، فـ" سماريدس " معنى و المعنى لا يفنى .

فتدخل الوزير الحكيم " يوشهور " فى الحوار و قال :

- كم من بطل ضحى بروحه و قُتل فى الحروب مدافعًا عن أرضه وعرضه فقد قتل الملك المعظم " برقان " و من بعده ولده الملك " ساران " التى قتل غدرًا بعد رحلة طويلة من الكفاح ، و رفض أن يعيش على حساب حياة غيره ، و استسلم للقضاء ، هب أن الأميرة " سماريدس " كانت رجلًا و قتل فى الحرب ، أكنت معترضًا على القدر ؟ !

لم يستطع " سارى " الرد عليهم ، فافلت من حضن أخته و سار حتى أقرب كرسى و ألقى جسده فوقه و هو يضع يده على وجهه ، فجاءت أمه" ميرة " مسرعة و خلفها " شاروسة " فقد علما بالأمر عندما ارتفع صوت"سارى"، فأرادت الأم أن تعترض فاستوقفتها " سماريدس " قائلة بحزم و هى تسير بينهم:

- لقد تم اختطافى منذ كنت صغيرة و كان من الممكن أن أموت أو أقتل ، و تم بيعى كجارية و أنقذنى أخى " ساران "، و تم إلقائى فى اليم و أنقذنى أخى " سارى "، و قتل حبيبى " سواتن " يوم زفافنا أمام عينى و اختُطفت وكان من الممكن أن أقتل أو أتزوج الأبله " صاروف " وأنقذنا الملك "شمهورش " ، فى كل مرة كان من الممكن أن أقتل رغمًا عنى ، لكن الآن سأموت باختيارى لأمنح الحياة لغيرى .

ثم بكت بحرارة و أبكت من حولها ، و جرت نحو " شاروسة " واحتضنتها ، ثم احتضنت أمها الملكة " ميرة "و نظرت بابتسامة تزينها الدموع للملك " شمهورش " ، وقالت :

- عليكم فقط أن تجهزوا ليوم عرسى حتى أذهب لحبيبى" سواتن " ، أريد عرسًا يتحاكى عنه البشر ما بقيت الحياة ، و لا أريد رؤية دموع بعد الآن ، فحتى يحين يوم زفافى لا أريد إلا أن أرى الابتسامة على وجوهكم .

لم يستطع " سارى " أن يتحكم فى دموعه ، فتركهم و صعد إلى غرفته ، وألقى بجسده المنهك على السرير ، و فجأة تذكر الحلم الذى رادوه منذ عدة ليالى و أيقن أنها رسالة له ، و عرف أن النسر الذى حلق فى السماء و اختفى هو أخته ، و الزهور التى كانت تنبت خلفها هم بنى جنسه الذين ستنقذهم التضحية بها ، فغلبه النوم بعد ساعات من التفكير المضنى الذى أرهق عقله .

مر ثلاثة أيام و الملك " سارى " لا يخرج من غرفته و لا يتحدث مع أحد ، وفى صباح اليوم الرابع استدعى الملك " شمهورش " و الوزير الحكيم "

يوشهور " لاجتماع عاجل و دخل الثلاثة قاعة الاجتماعات الكبرى بالقصر وأغلق الباب .

و بعد أكثر من ساعة من الحوار و المناقشة و الشد و الجذب ، جاء الأمر بالتجهيز لإقامة حفل كبير تزف فيه الأميرة "سماريدس " للسماء ، على أن يكون الحفل بعد غدًا حيث سيكون القمر فى قمة تمامه و ضيائه و بهائه ، و أن تخرج جميع

طوائف الشعب للساحة الكبيرة بالمملكة لحضور الحفل .

و فى اليوم الموعود علقت الزينات فى الشوراع و بدأ توافد الجموع لكى يشهدوا الحفل الكبير ، و الكل يتهامس و يتحدث عن الأميرة التى ستفتدى الناس بروحها ، البعض يعظمها و يقدر من شأنها لأنها ستجنبهم ويلات الحروب و لقبوها بـ " رمز الحياة " ، و البعض يشفق عليها و يتمنى ألا تضحى الأميرة الشابة بحياتها .

و عصرًا ، كانت العروس قد أتمت زينتها ، فارتدت فستانها الأبيض المطرز بأغلى الجواهر ، و وُضع على رأسها تاج من الزهور ، و حُملت على محفة كبيرة يحملها بعض الجنود طافوا بها شوارع المملكة ، و الناس تهتف باسمها و تقول :

سماريدس

سما ... عروس السما

سما ... خصوبة و نما

تتردد الهتافات باسمها ، و هى على محفتها توزع عليهم الابتسامات ، و تشير لهم مودعة فينثرون عليها الزهور و الورود ، و أطلقت الزغاريد و تعالت الصيحات ، فى موقف تعانقت فيه الدموع بالابتسامات .

اتجه الموكب المهيب إلى الساحة الكبيرة ، حيث كان فى انتظارها أخوها الملك " سارى " و قد ارتدى زيه الحربى ، و يقف بجواره أمها الملكة " ميرة " وزوجته و " شاروسة " و كن جميعن دامعات العين ، بينما وقف الملك " شمهورش " و الوزير الحكيم و قاضى القضاه أعلى المنصة ، هبطت " سماريدس " من على المحفة ، فاستقبلها أخوها فعلقت يدها فى يده و صعد بها المنصبة ، وسار معها حتى أجلسها على كرسى كبير صنع خصيصًا لها .

ثم بدأت مراسم الحفل ، فتحدث الملك " شمهورش " عن الأميرة " سماريدس " و عدد مناقبها و تضحياتها ، و طلب من الناس إقامة الاحتفالات كل عام فى مثل هذا اليوم و أخذ القدوة و المثل من " سماريدس " و العمل على رفعة شأن بنى جنسهم حتى لو كان ببذل الروح و التضحية بالنفس .

أنهى الملك " شمهورش " كلامه و اتجه نحو " سماريدس " و فى يده قِدْرٌ صغير وضع بداخله قلب " سواتن " ليصاحبها فى مقبرتها ، لكى تتآلف روحهما و تعود فى عصر غير العصر و زمان غير الزمان ليحدث بينهما الارتباط مرة أخرى ، تسلمته منه " سماريدس " و احتضنته و هى دامعة العين .

ثم وقف الوزير الحكيم و خطب فى الناس ، قائلا :

- إن السماء تبكى بدموع الغمام ، و يخفق قلبها بلمعان البرق ، و تصرخ بهدير الرعد ، و إن الأرض تئن بحفيف الريح ، و تضج بأمواج البحر ، و ما بكاء

السماء و لا أنين الأرض إلا رحمة بالإنسان ، و نحن أبناء الطبيعة فلنجارها فى بكائها و أنينها .

إن اليد التى تصون الدموع ، أفضل من اليد التى تريق الدماء ، و التى تشرح الصدور أشرف من التى تبقر البطون ، فالمحسن أفضل من القائد و أشرف من المجاهد ، و الفرق كبير بين من يحيى الميت و من يميت الحى .

إن الرحمة كلمة صغيرة ،و لكن بين لفظها و معناها من الفرق مثل ما بين الشمس فى منظرها و الشمس فى حقيقتها.

ثم صعدت فتاة صغيرة تحمل كأسًا من الزجاج الشفاف اقتربت من الأميرة " سماريدس " و مدت لها يدها بالكأس فنظرت " سماريدس " إلى أخيها الوقف و بجواره " شمهورش " الذى انحنى تحية لها و ابتسم و هز رأسه لكى تأخذ الكأس ، فأمسكت به ، و تطلعت للجموع التى تهتف باسمها ، ثم رفعت الكأس على فمها و تناول ما فيه من الشراب .

و قام جنود الجيش المصطفون حول المنصة بأداء التحية العسكرية لها ، و أخدها أخوها الملك " سارى " من يدها و هبط بها المنصة و حملت مرة أخرى على المحفة و عادت إلى القصر ، ثم صعدت إلى غرفتها و قد زين سريرها بالزهور و الورود الجميلة.

نامت الأميرة فى سريرها تحتضن قلب حبيبها " سواتن " تحيط بها الزهور .

و فى الصباح دخلت عليها الأسرة لإلقاء نظرة الوداع عليها ، فوجدوها تنام على ظهرها و قد أضاء وجهها و انفرج ثغرها عن ابتسامة راقية رقيقة رقراقة .

فعلا نحيب أمها و صديقتها " شاروسة " و زوجة " سارى " و بعض جواريها ، فأمر الملك " سارى " بإخراجهم ، و بقى هو يصاحبه الوزير الحكيم و الملك " شمهورش " الذى قرأ بعض التعاويذ الخاصة أثناء تجيهزها للدفن ، فربط يديها على صدرها و هى مازالت تحتضن قلب حبيبها ، انتهى تجيهزها كما يجب كما أشار " شمهورش " و حصنها ببعض المتعلقات و الأقوال . ثم وضعت فى التابوت الخاص بها و معها جواهرها و متعلقاتها و حملت على الأعناق وخرجوا بها من القصر ، حيث شعيها الجميع بالهتافات و الصيحات و ما زال الجميع يرددون :

سما ... عروس السما

سما ... خصوبة و نما

إلى جهة غير معلومة فى أقصى صحراء مملكة " أقناموس " حُمل جثمان رمز الحياة الأميرة " سماريدس " و لم يتبعها إلا أخوها الملك و الوزير و القاضى و الملك " شمهورش " الذى أشار بذلك حتى لا يعرف أحد مكان مقبرتها التى أعدت لها بمعرفته.

انتهت مراسم الدفن ، و الملك " سارى " ما زال فى ذهوله لا يصدق ما حدث ، و الوزير بجواره يواسيه ، بينما وقف الملك " شمهورش " على مقبرتها ، و قال :

- ارقدى يا " سماريدس " فى سلام ، و اهدىء ، فمن سيحاول أن يمس مقبرتك بسوء ستحل عليه اللعنة ، فأنت"سفيرة الأحلام " .

و لن يمس مقبرتك أنس و لا جان حتى يأتى من سكنت روح حبيبك" سواتن " جسده ؛ فيفتح المقبرة و يتزوج من سكنت روحك جسدها .

تمت